أخلاق الإمام علي عليه السلام

١ - ٢

تأليف

محمد صادق السيد محمد رضا الخرسان

دار المرتضى

www.haydarya.com

باسمه تعالى

هدية تقدير لجهود القائمين في مكتبة العتبة العلوية المطهرة

١٧ شوال ١٤٣٦هـ

أخلاق الإمام علي عليه السلام

الجزء الأول

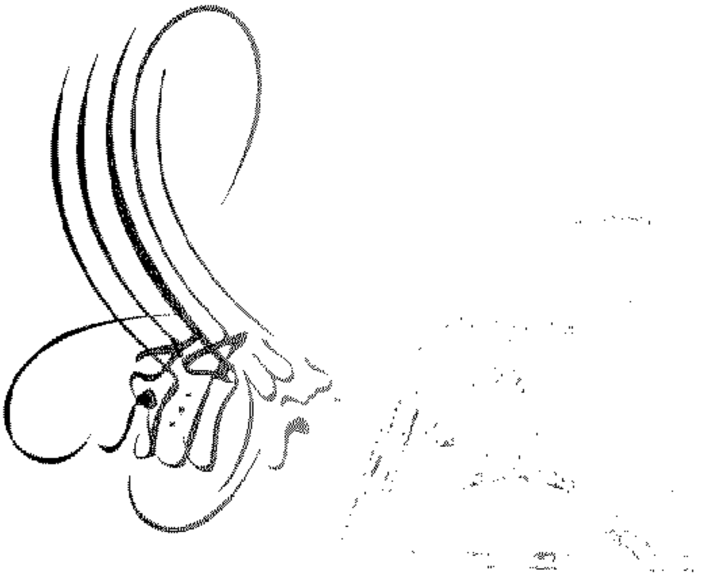

أخلاق الإمام علي عليه السلام

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ٩٥٤١١٧
التاريخ / [illegible]

الجزء الأول

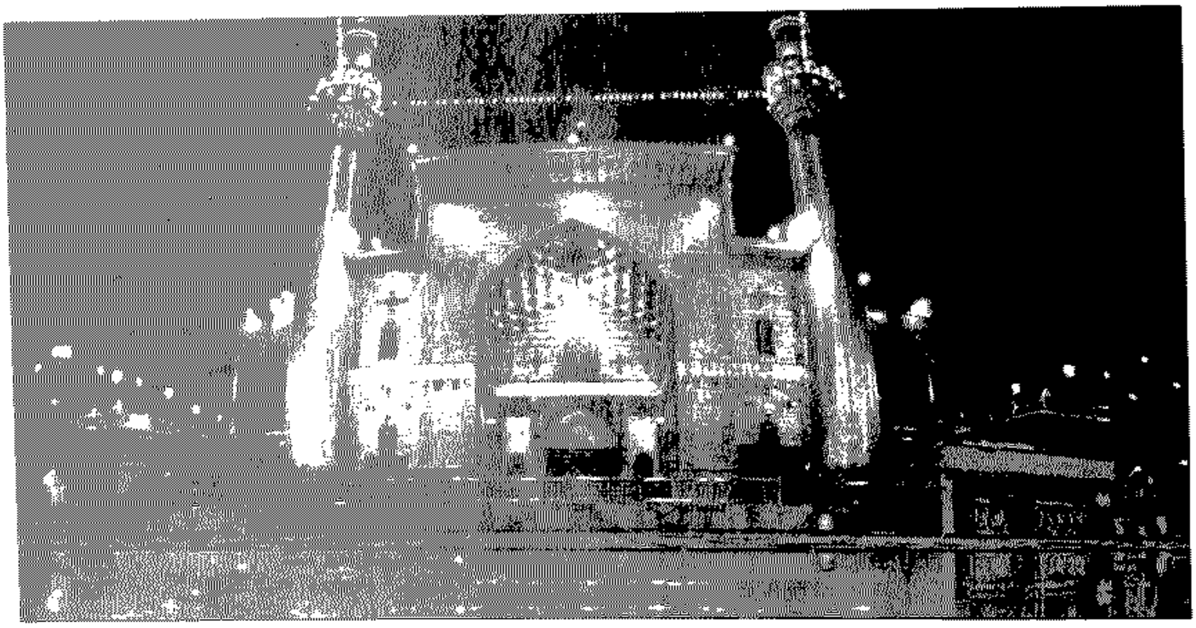

تأليف

محمد صادق السيد محمد رضا الخرسان

الطبعة السابعة
جميع الحقوق محفوظة
١٤٣١ هجرية
٢٠١٠ ميلادية

دار المرتضى

طباعة، نشر، توزيع
لبنان- بيروت، ص.ب: ٢٥/١٥٥ الغبيري

هاتف فاكس: ٠٠٩٦١١٨٤٠٣٩٢

E-mail: mortada14@hotmail.com

جميع حقوق الطبع والاقتباس محفوظة
ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة طباعة أو ترجمة الكتاب أو جزء منه إلا
بإذن خطي من المؤلف والناشر

تمهيد الطبعة السادسة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الصادق الأمين محمد وآله الطاهرين.

وبعد..

فقد كانت فكرة تأليف هذا الكتاب قد انبثقت منذ مدة، بعدما دُعيت للمشاركة في موسوعة الإمام علي عليه السلام، وقد ارتأيت وقتها:

أولاً: أن اختار من قصار الحِكم في آخر نهج البلاغة لتكون محور بحثي.

وثانياً: أن اختار فئة الطلاب والطالبات من نشئنا الصاعد في مراقي الحياة، ليكونوا مَنْ أُخاطبهم، متوخياً من ذلك تقديم مادة علمية نافعة يتزودون بها في مراحلهم الحياتية، ولا يحتاجون بعدها إلى ثقافة التسطيح التي يُراد منها إلهاء النفوس وإشغال الطاقات بما يستنفد الجهد والوقت من دون أن يعود على الإنسان بما يتناسب مع حجمه الإنساني، مما تعرضه قنوات إعلامية أو يبرز في ملتقيات الدراسة والعمل؛ بحيث يأخذ بالفرد إلى مهاوي الابتذال، أو يقوده إلى مراحل نهايته الإنسانية، مما يشكِّل في حياة الكثير فراغاً عملياً، فأردت

أن أُسهم في ملئه فكرياً؛ حيث لم أجد اهتماماً من المعنيين بتعريف هذه الفئة العزيزة على تراثنا الأصيل، وفكرنا الأمثل الذي تلقيناه عن عظماء الإسلام بل الإنسانية، وهذا ما أثّرَ عملياً على سلوك البعض بل طريقة تفكير البعض الآخر فتجاذبتهم الأهواء، وأدى ذلك إلى افتقادهم القيم الأصيلة التي يمكن استلهامها من هذا التراث العلوي الكبير؛ حيث نجد الإمام علياً عليه السلام ينظِّر للإنسان في شتى المجالات التي يحتاجها ليعالج بذلك أدواءً يعانيها، وليساعده على استئصال أورام يكابد آثارها؛ حرصاً منه عليه السلام على تحصين الفرد، وتوخياً لحماية المجتمع؛ باعتبار ما يمثله الفرد من نواة في تركيب خلية المجتمع، فما لم تُعدُّ النواة في مراحل نموها الأولى إعداداً صحيحاً لتنشأ قويمة يؤمل منها أن تستقيم مهما تجاذبتها الرياح أو الأمواج، فلا يمكن أن تتكون الخلية في أجواء نقية بعيداً عن مؤثرات سلبية عديدة، تهدد الوجود الصالح للمجتمع المسلم، بل الإنساني، وهذا ما يجعلنا - جميعاً - أمام مسئولية يلزمنا النهوض بها وصولاً إلى تأهيل المجتمع، من خلال بث المُثُل الأخلاقية في أفراده وتربيتهم عليها، بما يؤمن عليهم من شرور أنفسهم وسيئات أعمالهم.

وإننا إذا اهتممنا بالأخلاق بما تعنيه من الطبايع والسجايا التي من خلالها ينطلق الإنسان في آفاق الحياة ليشارك في ترتيب البيت الكبير للمجتمع الذي يلتئم معه، فستتجاوز الكثير من العقبات التي حرص الآخرون على تفاديها بسنِّ القوانين وتشريعها، وتأهيل الإصلاحيات وتكثيرها توصلا إلى هذه الغاية، مع أننا قادرون على الوصول إليها بهذا الطريق الأمثل، الذي كان الإمام علي عليه السلام ممن عبّده بما وجه إليه الأمة بمختلف المستويات، من حيث طول الكلام وقصره، ومن حيث أساليب البيان في اختيار الجمل والمفردات، ومن حيث اختيار المناسبة الدقيقة للتوجيه.

وقد بدأت فعلاً في انتقاء الكلمات وانتخابها مع ما في ذلك من صعوبة بعد أن تكون جميعاً صالحة للإرشاد والتقويم، وان لم تكن كذلك في التلقي والفهم، ولذا كانت عملية تتسم بالدقة؛ كونها تستشرف حاجة الناس على اختلافهم في درجات الوعي والثقافة، ثم عكفت على الاستظهار منها بما يتسع له المحدود أمام باب مدينة علم رسول الله صلى الله عليه وآله بما لا يكون تحميلاً للنص ولا يترك جانباً ينفع في التقويم.

وبعد أن تم الكتاب حالت ظروفٌ دون أن يتولى طبعه مَنْ دعاني أولاً، فبادرت إلى نشره بطريقة الاستنساخ كونها الوسيلة المتاحة -في فترة مظلمة عانيناها في العراق، وكان للنجف الأشرف قسط وافر من ذلك في الشأن الثقافي بخاصة-، لئلا يتعطل الكتاب عما أريد له من دور رسالي، وتكرر نشره مراراً بتلك الطريقة حتى شق طريقه إلى الكثير في العراق وخارجه ممن وجدوا فيه مادة نافعة لهم، ثم رغب بعض دور النشر طبعه بعنوان (أخلاق الإمام علي عليه السلام)، بعدما كان عنوانه (من هدي الإمام علي عليه السلام في الأخلاق الفاضلة) لدواعٍ تخص دار النشر، فعزَّ عليَّ الاستبدال بعدما رُؤي الكتاب بهذا العنوان بين يديَّ الإمام عليه السلام، بما جعلني أومل القبول، وأن يلحظني بعين الرضا يوم أفدُ وكتابي بيميني، ولكن أيضا لئلا يتعطل الكتاب عن أداء دوره المرتجى ولاسيما وأن ثمة مدارس قد يتاح لها فرصة التعرف على ما احتواه من قيم أمير المؤمنين عليه السلام وأخلاقه، فاستجبت مرتئياً -في هذه الفرصة الجديدة لنشره- أن أمهد بما يتناسب مع العنوان الذي طُبع الكتاب به لمرتين في بيروت، عسى أن أُؤدي حق العنوان مع ما له وما فيه من جزالة وفخامة حيث يتردد الإنسان وهو يسجل لمحات أخلاقية أمير المؤمنين عليه السلام، فكيف وهو يتصدى لبيان أخلاقه عليه السلام، لكن مهما كان الأمر فلابد من دلالة الأمة على هذا المنبع الصافي عسى أن يعودوا إليه

فيعبّوا منه ما يروّي ظمأهم.

فلابد أولاً من التعرف على معالم الأخلاق لديه عليه السلام، ثم التعريف ببعض النماذج التطبيقية الدالة على ذلك ثانياً، مما يوضح حدود المنظومة الأخلاقية عنده عليه السلام، لنقارن بينها وبين ما يُعرض كقوانين يُراد منها تعويد الناس على التزام طبايع وسجايا حميدة، بينما أنّ ثروة كبرى قد احتواها نهج البلاغة، ولم يعرفها كثير.

وإن البحث عن الأخلاق بعامة أمرٌ دقيق، والبحث عن أخلاق الإمام علي عليه السلام بخاصة أدق؛ لما تمثله الأخلاق من منظومة قيم ومجموعة التزامات يفترض في الإنسان أن يتطبعها لتكون طبايعه وسجاياه التي يتصف بها، كما لتعكس ما ينطوي عليه في نفسه، وما ينطلق منه في ضميره من مبادئ، يتحلى بصالحها، ويخلى عن طالحها، فيلتزم بفضائلها ويبتعد عن رذائلها.

وإنّ هذه العملية لتبدو شاقة على النفس التي لم تتعود الانضباط، لذا كان من المناسب التدريب على ذلك من خلال استعراض نماذج ينشدُّ الإنسان إليها؛ كونه يتمثلها في حياته قدوة ورمزاً، ليساعده ذلك على التطبيق؛ حيث ارتكز في النفوس حبّ المحاكاة للذوات التي تنال الإعجاب.

وقد وقع الاختيار لأخلاق الإمام علي عليه السلام:

أولاً: كونه يمثل قمة من قمم الإنسانية التي امتازت بالأخلاق.

وثانياً: كونه نفس النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ بنص آية المباهلة.

وهو ما يوفر لنا غناءً أخلاقياً؛ حيث نعتقد بما صرح به القران الكريم من أنه صلى الله عليه وآله قد حاز مرتبة العظمة في الأخلاق، مما يؤسس لحالة متكاملة بأقصى ما يتصور حتى لتصل إلى كمال دون الكمال المطلق لله تعالى، وهذا مالا يتوفر لنا عند غيره إلا نفسه.

وثالثاً: كونه الشخصية الوحيدة التي تشرفت بإشرافه صلى الله عليه وآله المباشر على سيرها التكاملي نحو الكمال؛ حيث قال عليه السلام في خطبته القاصعة: (ولقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة... ولقد كنت اتبعه اتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً، ويأمرني بالاقتداء به)(١).

ورابعاً: كونه الفرد الأوحد الذي يحبه اللهُ ورسولُهُ، كما صرح بذلك صلى الله عليه وآله عندما قال يوم خيبر: (لأعطينَّ هذه الراية رجلاً يفتح الله على يديه، يحبّ اللهَ ورسولَهُ، ويحبه اللهُ ورسولُهُ...)(٢)، ومن المعلوم أنّ حبَّ الله تعالى ورسوله الكريم صلى الله عليه وآله لا يتم لأحدٍ ما لم يكن مستكملاً محاسن الأخلاق ومحامد الصفات، وإلا لزم أن تكون مساوئ الأخلاق والصفات محبوبة لهما، مع أنها ممقوتة لغيرهما فضلاً عنهما، وبالتالي نستخلص استجماعه عليه السلام لخصال عزَّ أن تجتمع في غيره، إلا نفسه وأخيه وابن عمه صلى الله عليه وآله، فما أحرانا أن نتبين ولو جانباً من جوانب صفحته الأخلاقية لتكون قدوة لنا، كما والأجدر بنا أن نستهديه ولو من خلال سيرته العملية لنتعرف عثار طريقنا الحياتي فنتوقاها، ويرشدنا لمآمنه فنسلكها، عسى أنّ ذلك يحفظنا وينجينا.

وحيث أننا لا نحيط بكامل أخلاقه وتمام سجاياه فلا بأس علينا أن نقتطف بعضاً منها، لئلا نهمل أنفسنا ومجتمعنا، مع مطالبتنا جميعاً - بحسب درجة المسؤولية وإمكانية التأثير- بترشيد الحالة وتطوير الوضع، وعدم الاستسلام للآفات والمشكلات التي تعترض بيننا؛ لأنها كانت ومازالت وستبقى، ما لم نتدبر الأمر، ونصلح أنفسنا، بسلوك هذه الطرق الأمينة.

---

(١) نهج البلاغة ٢/ ١٥٦.

(٢) ظ/ صحيح مسلم ٧/ ١٢١ والسنن الكبرى للنسائي ٥/ ١١١.

ومَنْ أولى منه عليه السلام أن نسترشده و نستهديه..

أ- بعد أن كان بتلك المكانة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم القائل: (أدبني ربي فأحسن تأديبي)(١)، فنكون قد استرشدنا الأمين، واستهدينا الدليل.

ب- وبعد أن ترك لنا تراثاً ضخماً من القيم الأخلاقية والمواد التربوية، التي تمثل بمجموعها أطروحة إصلاحية راقية؛ لاحتوائها على أمثال:

عهده عليه السلام لعامله على مصر مالك الأشتر.

ووصيته عليه السلام لولده الإمام الحسن عليه السلام.

ووصيته عليه السلام لأولاده عند وفاته.

وكتابه لعامله على البصرة عثمان بن حنيف.

وكلماته القصار. هذه التي اقتبسنا منها نوراً يهدينا طريق الحق؛ لنحافظ على إنسانيتنا - التي يُراد مصادرتها، و إفراغنا من خصوصياتنا-؛ لاعتقادنا بأن الأخلاق تمثل نبض الإنسانية، فلو توقف ماتت، ليتحول الإنسان إلى جهاز يتعاطى مع مفردات حياتية عديدة، لكنه لا يكتسب منها شيئاً، سوى كونه العامل الفاعل المباشر، وهذا ما لا يحقق الهدف المنشود لنا، ومنا، قرآنياً؛ حيث يتخذ التعامل مع الإنسان طابعاً مختلفاً، وذلك من خلال التعامل معه روحاً وجسداً، بينما إذا تحول الإنسان إلى أداة فانه يتخلى بذلك عن تفاعلاته الروحية، ويكتفي بمنجزاته الجسدية، وهذا ما سبّب الكثير من الحروب والدمار والانتكاسات المستمرة في العالَم؛ حيث لم يُلحظ الإنسان -في كثير من الحالات- أنه المخلوق المستخلَف الذي يقيم العدل، وينشر الحق، بل بما هو طاقة توفر إنتاجاً معيناً، يستفاد منه عملياً فيستحق الحياة، ولا يستفاد منه هناك

(١) الجامع الصغير للسيوطي ١/ ٥١ وكنز العمال للمتقي الهندي ١١/ ٤٠٦.

فتُسحق حياته وتُصادر.

كما أنه لم يُتعامل مع الإنسان على أساس قاعدة المبدأ والمعاد، بمعنى الإيمان بوجود هدف يسعى لتحقيقه، وأنه بمقدار ما يمتلكه من طبائع وسجايا يرقى ويعلو، أو يهبط وينخفض، بل نجد تعطيلاً - تقريباً - لفكرة المعاد من خلال إبعاده عما يذكره به، ولذا لا يجد الفرد محفزاً يدفعه للتحلي بفضائل الأخلاق أو يمنعه عن رذائلها، وإنما تبتني طريقتهم في التعامل على فكرة ﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾[1]، من دون التفات إلى حقيقة ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ * وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[2].

وذلك باعتبار أن الشقاء والسعادة لم يكونا بتأثير قسري خارجي، بل بفعل اختياري داخلي، بمعنى صدوره من الإنسان ذاته، ويتمثل الفعل هذا مرةً بمساوئ الأخلاق فتوجب الشقاء، كما يتمثل أخرى بمحاسنها فتؤثر السعادة، فكانت نظرية الأخلاق في الإسلام قائمة على أساس وجود دور للإنسان، وأنه ليس استهلاكياً يؤدي وظيفته كأي جهاز آخر، بل له إمكانية توفير الرصيد ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[3]، وبهذه المنهجية نكون قد ضمنّا ايجابية الإنسان في سلوكه العام، أو الحدّ من سلبيته على أقل تقدير، وهو انجاز مهم لا نجد أصداءه عند آخرين، إذ أن القانون الوضعي - مثلاً - ينظّر لالتزام الإنسان لكنه لا يستطيع الحد من سلبيته؛ لكونه قد تعاطى معه على حدود هذه الدنيا من دون الآخرة، لذا لا نتفاجأ عندما يخل بعض المسؤولين

(١) الأنعام: ٢٩.

(٢) هود: ١٠٥ـ١٠٨.

(٣) الشعراء: ٨٨ـ٨٩.

عن تطبيق القانون به، وخاصة بعد انتهاء عمله؛ لأنه لم يتمثل القانون كمجموعة قيم ومبادئ، نعم قد يلتزمه لكونه عادات قد درج على الالتزام بها، فإذا اقتضت مصلحته التخلي عن ذلك لم يصمد أمامه طويلاً.

كل هذا لو قارنّا بين نظرية الأخلاق في الإسلام وقانون الالتزام الوضعي، وأما لو قارنّا بين تطبيق المسلمين وقانون الالتزام الوضعي فلا يمكننا الحصول على تلك النتائج، بسبب عدم تحلي بعضهم بل تخليهم ولو لوجود مؤثرات خارجية، أو لعدم تأهلهم نفسياً للعمل على ذلك، أو لغير ذلك مما ينتج وجود فارق بين النظرية والتطبيق، وهو ما ينعكس سلبياً لدى البعض ليحكم بفشل النظرية لخطأ التطبيق، مع أن الأمر ليس كذلك أكيداً؛ لأن المعيار على النظرية إن أثبتت هداها وصوابها، لا على التطبيق الذي يتوزعه الناس والذي يمثل انعكاسات لأفعالهم التي قد تكون غير منسجمة مع المبادئ، وعندها فيشترك التطبيق مع القانون الوضعي في عدم التخطيط لما بعد الموت، بل الاقتصار على سبل تحصيل السعادة من دون وعي للمخاطر التي تحصل بعد ذلك، كما هو الحال في:

أ- تعاطي بعض المسلمين للممنوعات الشرعية؛ حيث يطلبونها كهدف ولو أدى إلى مخاطر وخيمة، كالانهيار النفسي الحاصل نتيجة المخدرات والخمر وما إلى ذلك، والانهيار الأسري والاجتماعي الحاصل نتيجة الزنا والشذوذ وما إلى ذلك.

ب- وتعاطي بعض الملتزمين بالقانون بحرفيته، من وعي لما يترتب على ذلك، فنجد الموظف يمارس وظيفته وهو نسبي الشعور بل فاقده -أحياناً- لكنه لا يُعتبر غائباً، فلا تطاله يد القانون، وأيضاً السائق الذي يلتزم بالتعليمات المرورية لكنه لا يعي ما وراء ذلك، فيمارس القتل تحت تأثير المسكر لأنه بذلك

يخفف عنه الحكم بسبب حالته تلك، فهو ملتزم بالقانون بل قد احتمى به، لكنه لم يدخل إلى أعماق نفسه، لذا ارتكب جرماً.

وما ذلك إلا لأنه لم يؤمن بأنه سيسمع نداء: ﴿وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا * وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[1]، مما جعله في فسحة من الالتزام بأخلاقية القانون، وعندها حصلت المفارقة بين ما يسعى الإسلام في نظريته الأخلاقية لتجذيره في النفوس، وما عليه الواقع القانوني المُعاش، لذا إننا بحاجة إلى تعميق حالة الالتزام بأخلاقية المهن، والتثقيف الجماهيري لممارسة الأعمال بأخلاق، وبث الوعي في أن ننطلق في رحاب الحياة بأخلاق، لنقلل مما اعتاده البعض من التنفيذ ثم الرجوع إلى الأخلاق، فإذا ما وجد التباين بين ممارساته وأخلاقه لا يغيّر شيئاً؛ لأنه قد تعوّد الحالة حتى صارت مألوفة له، ولاسيما وأنّه يُرفع عسكرياً شعار (نفِّذْ ثم ناقش)؛ الأمر الذي يساعد على تعوّد الآلية وعدم إفساح المجال لمراجعة النفس وتقييم الأمور بميزانها وما يقتضيه.

ومن هنا يُلاحظ توفير القانون الحماية والحصانة لرجاله ومنفذيه، من دون أن يضمن للمجتمع عدم تعسفهم في التعامل، أو أن يكون بطريقة وسطى بين تنفيذ مقتضيات القانون والأخلاق؛ لئلا يُحرم الأفراد من الرأفة والإنسانية، وذلك لسببين:

١ - أن لا يفقد القانون مرونته فينكسر، شأنه في ذلك شأن الجاف الصلب.

٢ - وأن لا يُبتعد عن الهدف من تطبيق القانون، كونه أداة صالحة لحماية

---

(١) الكهف: ٤٨-٤٩.

المجتمع، فإذا أُسيء استخدامه مع أفراد المجتمع، فإنه دالّ على افتقاد عنصر الإنسانية، سواء من المطبِّق، أم المطبَّق عليه؛ ولذا لم ينل من الرأفة والرحمة شيئاً.

وهذا خطير للغاية؛ كونه يحوِّل الإنسان إلى أداة وجهاز، ومعناه إلغاء الأخلاق أو تحجيم مساحتها، وهو نقيض الغرض المطلوب تماماً؛ لإيماننا بأن مجتمعاً تسوده الأخلاق أكثر حيوية من غيره؛ كونه أكثر تأقلماً مع الحدث، بخلاف الآخر الذي تعم فيه الغلظة والجفاف، فيتوقع له الانهيار؛ باعتبار عدم ابتنائه على أُسس أخلاقية التعامل، وأخلاقية التعاطي، بل ضمن قالبية القانون وحدوده المحددة.

وإننا نعتقد عدم صوابية التعامل مع الإنسان كمفردة حياتية دنيوية فقط، بل لابد من الإيمان بكونه موجوداً أُخروياً، فيلزمنا أن نتقبل وجوده على مستويين:

أ- العامل.

ب- والمُجازى على عمله.

لأنه عندما نعزله عن أحدهما، فاما يتحول إلى أداة فاعلة، وهو بخلاف الغرض من ايجاده وتسخير الطاقات الجبارة له، واما يفقد كوابحه التي تعترض تقحمه كل عقبة وهضبة؛ مع أن ﴿**الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ * لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ**﴾(١)، ﴿**يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾(٢)، ﴿**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ**﴾(٣)، فهو بحاجة إلى التذكير

---

(١) الواقعة: ٥٠.

(٢) المطففين: ٦.

(٣) آل عمران: ٣٠.

بأنه مسئول عن عمله، وأنه مجزي عليه، لئلا ينجرّ وراء أفكار وقناعات تحوله إلى آلة إنتاج، وعجلة عمل، بلا أن يكون لروحه دور، ولا لقابلياته الذاتية فاعلية، وهذا ما يقتل فيه الإبداع، ويحجم من مساحة الخير فيه، فلا يسعى لنيل مكرمة أخلاقية، ولا يتخلى عن منقصة اعتادها، وهو نقيض لما نجده في وصايا المصلحين، ممن ينشدون في الإنسان الخير، ويحفزوا فيه مكامن ذلك، وينشطوا خلاياه، فينصحوه بالخُلق الصالح، ويصفون له محاسنه، ويدلوه على مواضعه ويحثوه على التخلق به، وسأختار نماذج تُظهر هذا الجانب المشرق، من حِكَم الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، لما فيها من ومضات ونفحات، تبعث على الأمل في إمكانية الانطلاق نحو التصحيح وتدل على أنه عليه السلام يثق بقدرة الإنسان على ترشيد عمله وتزكيته مما يلحق به من شوائب، وأنه غير مجبور على شيء.

وأمام هذه المنظومة الأخلاقية يقف الإنسان متهيباً؛ إذ يصعب عليه الإعراب عن ذلك التراكم المعرفي، بهذه الصفحات المتواضعة، فأخلاق الإمام علي عليه السلام، تعني الأطروحة المثالية التي تناسب مقاسات الجميع؛ حيث لا يعرض لشيء يصعب التطبع عليه، فهو متاح يمكن الوصول إليه، ويكفينا للبرهنة على ذلك استيعاب ما سيأتي والتأمل فيه.

وقد تلت هذا التمهيد مقدمة، ثم وطئت بذكر ملامح عن تاريخ نهج البلاغة، ومؤلفه ومن كان كلامه مادة نهج البلاغة، سائلاً منه تعالى العون والتوفيق فإنه القادر على ذلك.

النجف الأشرف	٢٠ شوال ١٤٢٨هـ
	١/ ١١/ ٢٠٠٧م

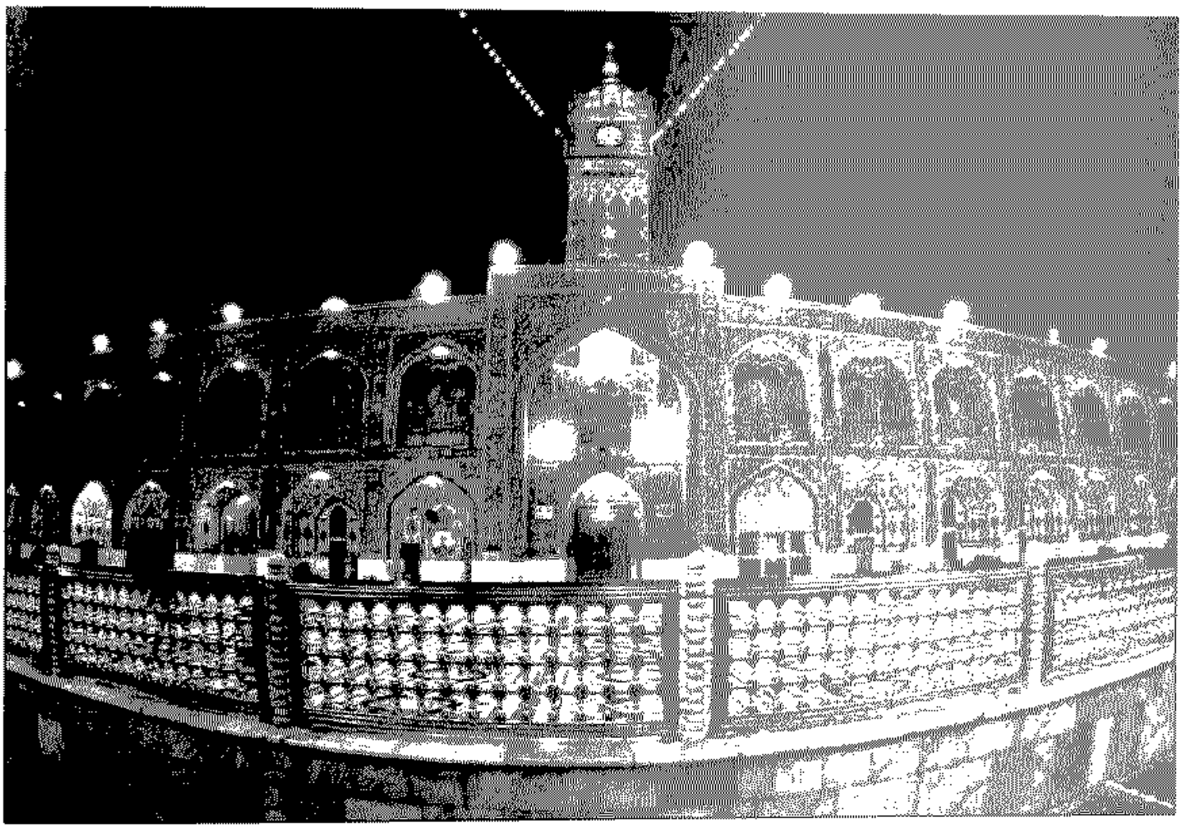

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمـد لله رب العالمـين والصلاة والسـلام على خاتم الانبياء والمرسـلين سيدنا محمد بن عبد الله وآله الطاهرين.

وبعـد، فهـذه صفحات بـين يدي القـارئ الكريم اعرض فيها شـيئاً عن شـخصية الإمـام أمير المؤمنـين عليه السلام وما قيل فيه نثراً وشـعراً مما سـاقته القرائح للتعبير عن الإعجـاب بمواهبه المتعددة وقدراته التعبيرية البلاغية التي هيمنت عـلى النفوس واسـتقطبت الاهتمام من جموع غفيرة مسـلمين وغيرهم، فكانت محط اهتمامهم ولذا عبروا عن ذلك بما يأتي ذكر بعضه.

كما اعرض فيها شرحاً لمجموعة من الحِكَم المختارة من كلامه عليه السلام مستلة مما جاء في الجزء الأخير من كتاب نهج البلاغة للشريف الرضي راعيت في عملية اختيارها و انتقائها الكلمات المختصرة ذات المفردات الموجزة ولو نسـبياً ليسهل تداولهـا حفظاً وفهماً لعامة الفئات العمريـة، الثقافية، لتكون هذه الحِكَم مصدر قوة ودعم وتوجيه في مسيرة الحياة التي كثر العثار فيها بشكل أصبح يهدد سداد الأفكار وسلامة التوجهات..

فكان لابُدَّ من عرض ما ينفع بهذا الصدد لتقوم الحجة على مَنْ ينحرف ويبتعد بعد هذا عن الخط المستقيم. فقد عالجت الحِكَم بشكلها العام مختلف الجوانب الحياتية التي تهم الرجال والنساء في مختلف شؤون الحياة وخصوصياتها، وقد اتسقت هذه الحِكم المختارة مع طريقة القرآن الكريم والسنة الشريفة من حيث معالجة الهموم الاجتماعية المرصودة التي يهتم المصلحون بإيجاد مختلف الوسائل لمعالجتها ومنع توسع دائرتها وانتشار أخطارها فكان أثر القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة في كلام الإمام عليه السلام واضحاً؛ لأنه تلميذ مدرسة القرآن وربيب النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وهذه مكرمة تضاف الى مكارمه عليه السلام حيث حظي بهذه العناية والرعاية المباشرة ممن لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

ولما كان هدفي تقديم مجموعة من الحِكَم مشروحة بمستوى يعين القارئ على التأمل والتوقف عندها لتأخذ موقعها في قلبه، عقله، تحركاته اليومية، تصرفاته، فلم أتقيد برقم معين وإنما تركت ذلك لئلا تبقى القضية مجرد تقيّد بالرقم دون الاهتمام بالمُرَقّم بل الأمر أهم والعمر أثمن فلابد من صرف الوقت في اللازم لمثل حال الناس الحاضر الذي يفتقدون فيه إلى أبسط المقومات المعنوية لانقطاعهم مدة عن ذلك وانشغالهم بالماديات المغرية الملهية ولذا اصطدموا مع الواقع المؤلم والمرير فكان ما كان..

ومن المعلوم إن حالهم لا يستقيم إلا بالالتزام بخط الإسلام المتمثل فيما نقرأه من القرآن الكريم والروايات عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الطاهرين وما أُثر وحُفظ عن وصي رسول الله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ولا يكفي مجرد قراءة ما لم يتبعها تطبيق وعمل إذ يكون العمل - عادة- بعد اقتناع وتصور تام وهو ما ينفع لتقويم حياة الفرد ومن ثُم المجتمع.

وكان دوري هو شرح المفردات اللغوية الغامضة من خلال الاستعانة

بالمصادر اللغوية المتداولة مع الاهتمام بشأن وضوح التعبير في تلكم النصوص اللغوية الشارحة ولذا قد يقع اختياري لنص من مصدر دون آخر لذلك السبب ولئلا أنقل القارئ من مبهم الى أخر كما هو الملاحظ في الكثير من المصادر أو البحوث التقليدية عندما تشرح بعض المفردات اللغوية، فان المهم توضيح المفردة الغامضة وليس بالمهم -كثيراً- هوية المصدر خصوصاً بعد الاتفاق على ذات المعنى في المعاجم اللغوية العشرة المتيسرة لي وقتئذٍ.

نعم تبقى ثمة مناقشات وإيرادات من ذوي الاختصاص لم أجد كثير فائدة في التقيد بها لذات الهدف المبيّن ولاسيما وان من بعض الفئات المعروض أمامها هذا الشرح بما فيه، هم طبقة أنصاف المتعلمين بل وأحياناً المستمعين من غير المتعلمين أساساً فكان من الضروري تأمين هذا الجانب التوضيحي لهم اهتماماً بشأنهم لأنهم يكوّنون نسبة يعتد بها في المجتمع، لها دورها في تقديم أفكار الإسلام من خلال كلمات عظمائه أمثال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

وقد التزمت في الشرح بان أبين معنى الحكمة حسب المفهوم المتبادر اليه حفاظاً على روح النص من تأثير بعض ما يحمل عليه وهو غير أساسي فيه، وقد لا يكون له أدنى ارتباط وإنما هي استيحاءات شخصية فإن ذلك يتعب القارئ ويبّعد عليه المسافة، وقد قيل إن التبادر آية الحقيقة وعلامتها فيحسن جداً التمسك بذلك حتى لو تفاوتت الأذهان والأنظار في تحديد المفهوم المتبادر اليه من الحكمة، كل ذلك ليبقى النص المعين بعيداً عن التفسير الباطني وما يسببه من إشكالات، ولو كان ثمة عذر لمن يلتزم بذاك الخط في مجالات أخرى فلا أجد عذراً لو كانت المحاولة في هذا المجال التوجيهي والتربوي الذي يعنى بشرائح من القراء والمستمعين لا يهمهم سوى الاستفادة من النص المعروض

كما هو، بعيداً عن الاحتمالات والأطروحات.

خصوصاً وإنّا نعيش في عصر السرعة الذي تكتفي فيه الغالبية بالمعروض السريع، الأسهل تناولاً، الأكثر تلبية للحاجة، فلا بُدَّ من السعي في هذا الميدان المتميز بالتوضيح وتيسير المعلومة الى حد لا يصعب كثيراً، لئلا يفسر الموقف بأنه قصور، أو عدم كفاءة، أو تحجر في عرض المفاهيم الشرعية والتعاليم الإسلامية.

فكان من آثار ذلك الالتزام ببيان المفهوم المتبادر إليه: ان اختصر الشرح في بعض الحِكَم مقتصراً على المعنى ومكتفياً به من دون مقدمة بينما كان المناسب في البعض الآخر تقديماً يسبق بيان المفهوم المتبادر اليه وعادة ما تكون مادة التقديم معلومةً أكيدةً بحيث لا تكون عائقاً عن الربط مع موضوع الحكمة، فهذا عذري في تعدد أساليب العرض لأني أحسب أن جملة وافرةً منها تتسم بعنصر التشويق وكأنه حديث ثنائي، توصلاً لاستجلاء الحقيقة من خلال كلامه عليه السلام.

وقد كان شرح بعض الحِكَم يستدعي توقفاً عند بعض النقاط وتعزيزها بشواهد قرآنية وروائية وقصصية أحياناً خصوصاً وأن ذكر القصص يشد بعض القراء ولكني اكتفيت بالاستشهاد في بعض الموارد بما ورد في الكتاب العزيز والسنة النبوية عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام مما ورد في صحاح المسلمين وكتبهم الحديثية المعتمدة، فإن خير الكلام كلام ربنّا تبارك وتعالى ومن بعد ذلك حديث الصادق الأمين وسائر أوصيائه الأمناء على وحي الله تعالى، ليتعود القارئ بأن لا يقتصر على الشواهد القصصية ليستعين بها على فهم النصوص وهذا يصلح جواباً لمن اقترح عليّ تعزيز الاستشهاد بالروايات بما يناسب من رواياتٍ تأخذ طابع القصة.

كما قد كان شرح بعض الحِكَم يستدعي التقسيم الى عدة أقسام ونقاط

تسهيلاً لإدراك دقائقها وما ينبغي الإلمام به من خلال مناسبة موضوع الحكمة. وبعد هذه المقدمة اتضح أن هذه الصفحات المعروضة تتألف من توطئة يدور الحديث فيها عن تاريخ نهج البلاغة، وجامعِهِ، ومَنْ كان كلامُهُ مادةَ نهج البلاغة وهو الإمام علي عليه السلام. ثم استعراض بعض الحِكَم مشروحة بالطريقة السالفة الذكر.

وأخيراً، فإنّ هذا الجهد محاولة أرجو لها من الله تعالى النجاح وأن تكون مصدر إضاءة لِمن يريد السير على خط الإسلام القويم وما يحققه للإنسان من طموحات وآمال قصرت عن تحقيقها الماديات مع تطورها وتقدمها في ذلك المجال.

وأحمده تعالى على الإنجاز سائلاً منه القبول والتوفيق وإدامة النفع.

وأستميح عذراً سيدي ومولاي وجدي أمير المؤمنين عليه السلام لو تجاوزتُ وحاولتُ شرحَ كلامه الشريف إلا أنها محاولة مبررة بما سبق لأكون ساهمت في تقديم ما يمكن لإنقاذ بعض الناس مما هم فيه من الانهماك في جوانب بعيدة عمّا خُلِقوا لأجله المتمثل بقوله تعالى: ﴿**وما خلقتُ الجنَّ والإنسَ إلّا ليعبدون**﴾[1].

والحمد لله رب العالمين وصلاته وسلامه على سيد أنبيائه ورسله محمد وآله الطاهرين.

النجف الأشرف		١٦ شهر رمضان المبارك / ١٤١٨ هـ

(١) الذاريات: ٥٦.

توطئة

تتضمن ملامح عن:

- ☐ تأريخ نهج البلاغة
- ☐ ومؤلفِهِ
- ☐ ومَنْ كان كلامُهُ مادةَ نهج البلاغة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمدٍ وآله الطيبين الطاهرين.

وبعد، فهذه فرصةٌ لقاءٍ تتجدد مع القارئ الكريم في رحاب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وكلماته الحَكَمِيّة لنتفيأ ظلال دوحة البلاغة والحكمة ونجتني ثماراً شهية ينفعنا التزود بها في رحلتنا عبر مسار الحياة العامة سواء الفردية أو الاجتماعية، ونقوّم من خلالها أسلوبنا في المعايشة لسائر الأفراد مما يكسبنا الود والوئام والصفاء والوفاء وكل خصال الخير التي نشعر -اليوم- بمزيد الحاجة إليها فقد طغت وتحكمت معاني الشر وما يمثله من سلبيات في الحياة حتى باتت تلك الخصال الطيبة صعبة الحصول والمنال، وغير متيسر التوفر عليها والتخلق بها، فإنّ المحيط العام مفتقر إليها ومتطلّع نحوها، فقد تفشى كثيراً التفسخ والانحلال وأصبح الانحراف عن خط الإسلام أمراً مألوفاً فلا يملك أحد أن يغيرّ من ذلك شيئاً ولو ملك الجرأة وصارح بالحقيقة فلا يُصغى اليه ولا يُلتفت الى توجيهه على أساسٍ من التقدم والحرية ومماشاة

الحضارة الموهومة..

فهي فرصة لنا معا للتعرف على معالم الحضارة لدى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ونظرته للمستقبل، وتعاليمه لمحبيه ومتّبعيه أياً كان اتجاههم الفكري، لان الإسلام دين المحبة والتعاون ومكارم الأخلاق ومحاسن الصفات وبث القيم الإنسانية الأصيلة لدى الآخرين مهما كانوا.. فنجد أن الإسلام يؤكد هذا دائماً ويحرص على ترسيخه في النفوس.. ويتمثل ذلك بما حوته السُنّةُ النبوية وروايات آل البيت عليهم السلام، وكان من ذلك: المأثور من كلام الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

وما وصلنا منه وأسعف الحظُ بالاطلاع عليه ينقسم الى عدة أقسام:

الخطب، الكتب والرسائل، الحِكَمْ والكلمات القصار، الادعية.

وما يخصنا فعلاً أن نتعرض لشرح مجموعة من حِكَمِهِ عليه السلام وكلماته القصار في مجال التثقيف الاجتماعي وتربية الإنسان على مختلف المستويات وبمختلف الأساليب، وحيث أني رجعت الى الجزء الأخير من كتاب نهج البلاغة.

فلا بُدَّ أولاً من معرفة شيء من تاريخ نهج البلاغة الذي يمثّل مجموعة وافية من كلامه عليه السلام.

إن (**نهج البلاغة**) هو مجموعٌ من كلام الإمام اختاره الشريف الرضي حسبما صرح به في المقدمة فقال:

(فإني كنت في عنفوان السن، وغضاضة الغصن ابتدأت بتأليف كتاب خصائص الأئمة عليهم السلام يشتمل على محاسن أخبارهم وجواهر كلامهم: حداني عليه غرضٌ ذكرته في صدر الكتاب وجعلته أمام الكلام، وفرغت من الخصائص التي تخص أمير المؤمنين علياً عليه السلام، وعاقت عن إتمام بقية الكتاب محاجزات الزمان ومماطلات الأيام، وكنت قد بوبت ما خرج من ذلك أبواباً

وفصلته فصولاً فجاء في آخرها فصل يتضمن محاسن ما نقل عنه عليه السلام من الكلام القصير في المواعظ والحِكَم والأمثال والآداب دون الخطب الطويلة والكتب المبسوطة، فاستحسن جماعة من الأصدقاء والاخوان ما اشتمل عليه الفصل المتقدم ذكره معجبين ببدائعه ومتعجبين من نواصعه وسألوني عند ذلك أن ابدأ بتأليف كتاب يحتوي على مختار كلام مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في جميع فنونه ومتشعبات غصونه من خطب وكتب ومواعظ وآداب، علماً أن ذلك يتضمن عجائب البلاغة وغرائب الفصاحة وجواهر العربية وثواقب الكلم الدينية والدنيوية ما لا يوجد مجتمعاً في كلام ولا مجموع الأطراف في كتاب، إذ كان أمير المؤمنين عليه السلام مشرع الفصاحة وموردها ومنشأ البلاغة ومولدها، ومنه عليه السلام ظهر مكنونها وعنه أخذت قوانينها وعلى أمثلته حذا كل قائل خطيب، وبكلامه استعان كل واعظ بليغ ومع ذلك فقد سبق وقصروا، وتقدم وتأخروا، لان كلامه عليه السلام الكلام الذي عليه مسحة من العلم الإلهي وفيه عبقة من الكلام النبوي، فأجبتهم الى الابتداء بذلك عالماً بما فيه من عظيم النفع ومنشور الذكر ومذخور الأجر، واعتمدت به ان أبيّن من عظيم قدر أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الفضيلة مضافة الى المحاسن الدائرة والفضائل الجمة وانه عليه السلام انفرد ببلوغ غايتها عن جميع السلف الاولين الذين انما يؤثر عنهم منها القليل النادر و الشاذ الشارد، واما كلامه فهو من البحر الذي لايساجل والجم الذي لا يحافل، وأردت ان يسوغ لي التمثل في الافتخار به عليه السلام بقول الفرزدق:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع)[1].

فعلمنا من خلال مقدمته هذه أن (**نهج البلاغة**) هو من جمعِه وتأليفه وليس من جمع الإمام عليه السلام، نعم هو من كلام الإمام عليه السلام لكنه ليس من تأليفه

(١) مقدمة نهج البلاغة ص١١-١٢.

كما يظن الكثير، وقد تساءل - فعلاً - البعض عن وجود ومكان نسخة الأصل التي بخط الإمام عليه السلام.

والشريف رحمه الله (يلتقط كلام أمير المؤمنين عليه السلام التقاطاً ولا يَقْفُو مع الكلام المتوالي لان غرضه ذكر فصاحته عليه السلام لا غير ولو أتى بخطبِهِ كلها على وجهها لكانت أضعاف كتابه الذي جمعه)[1].

وقد وجد هذا الكلام في مصادر تاريخية قديمه قبل الشريف الرضي مثل الكافي للشيخ الكليني المتوفى سنة ٣٢٨هـ، والتوحيد للشيخ الصدوق المتوفى سنة ٣٨١ هـ، وتحف العقول للحسن بن شعبة الحراني من علماء المائة الثالثة، والعقد الفريد لابن عبد ربه المتوفى سنة ٣٢٧هـ، وتاريخ الطبري المتوفى سنة ٢١٠هـ وغيرها[2] مما يدلل على صحة النسبة وعدم كونه من وضع الشريف وجعله، مع أنه أجّل وأرفع من ذلك، ووثاقته معلومة بها يشهد بورعه وتقواه وترّفعه عن النسبة الباطلة.

مع أن الباحث يجد في بطون أمهات الكتب الشيء الكثير من كلامه عليه السلام، وقد بلغت المصادر وبعضها قبل سنة ٤٠٠هـ وهي سنة صدور النهج -مئة وأربعة عشر مصدرا[3]-، بل أن بعض كلامه عليه السلام كالخطبة الشقشقية وجد (في كتبٍ صُنِّفَتْ قبل أن يُخلق الرضي بمائتي سنة - بل- قبل أن يُخلق النقيب أبو أحمدَ والد الرضي)[4].

كما يجد الباحث أن الشريف رحمه الله يذكر - أحياناً - مصدره كالبيان والتبيين للجاحظ وتاريخ الطبري والجمل للواقدي وغيرها مما يبلغ الخمسة

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد المعتزلي مج١ ص٢٧٣ / ج٣ ص١٥٣.

(٢) ما هو نهج البلاغة ص٤٦-٤٧.

(٣) مصادر نهج البلاغة وأسانيده ج١ ص٢٩-٤١.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد مج١-ص٦٩ / ج١ ص٢٠٥.

عشر مصدراً[١] مما يبعِّد احتمال الوضع و(أنّى للرضي ولغير الرضي هذا النَفَس وهذا الأسلوب)[٢].

وعلى أي حال فقد وَصَلَنا نهج البلاغة محفوظاً متسلسلاً بالاجازة المنتهية الى جامعه مما يؤكد النسبة والصدور، وبذلك حفظ لنا - جزاه الله كل خير - ثروةً فكرية كانت موزعة في بطون المصادر -ولا يزال البعض منها- معرضة للضياع فقد أنعشّ بها الفكر الإنساني بما فيها من أطروحات إصلاحية و تربوية... طرحها الإمام علي عليه السلام بما يفتخر به بنو الإنسان مهما اختلفت مذاهبهم، و أما الملامح التي وعدت بها عن شخصية الشريف الرضي فيكاد أن يكون من السهل الممتنع خصوصاً في هذه العجالة وبما يلائم طبيعة البحث...

فأما السهولة فباعتبار توفر المصادر الباحثة عن حياته، الفاحصة عن جوانب الإبداع فيها وما يستحق الدراسة والبحث وقد قدّمت الأطروحات الأكاديمية وغيرها في ذلك بما يجعل التوفر على ترجمته أمراً ميسوراً لكثرة ما أُعد لهذا الغرض، كما أن من أسباب سهولة الحديث إمكانية التعبير وصياغة العبارة والحمد لله ولكن مع ذلك ما أن يبدأ الباحث بتجميع المعلومات فيقرأ ويقرأ ويفكر ويدوّن حتى يجد نفسه أمام شخصية ملؤها الفخر والافتخار، والعزة والاعتزاز، والنبل والسؤدد، والوفاء والعفة، والإباء وعلو الهمة، والشهامة والشجاعة، والشمم والشعور بالأصالة وكرم الأصل والمحتد، وطيب الأرومة والمنبت، حتى تكوّنت شخصيةً فذةً قلَّ نظيرها وعزَّ مثيلها، يصعب إيفاءها حقها، وتأديتها استحقاقها.

وما أحسب أني مبالغ في وصفه بل أجدني مقصراً في أداء حقه عبر هذه

---

(١) مصادر نهج البلاغة وأسانيده ج١ص٤١-٤٢.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد مج١-ص٦٩ / ج١ ص٢٠٥.

السطور فانه يستحق أن يفرد بالدراسة.. فلقد حفظ للمسلمين بل للإنسانية تراثاً ضخماً كان مبثوثاً بل مبعثراً في الثنايا والزوايا، وما ندري فلعله لولا جهود الشريف الرضي في الاختيار والجمع لضاعت تلك الثروة العلوية ولما وصلت للأجيال كما وصلت إليهم بهذه الصورة البهية المؤطرة بإطار **(نهج البلاغة)** فانه رحمه الله وإنْ شدَّه الأسلوب البياني والأداء البلاغي، وأخَذَهُ حُسْن ذلك وجودته، إلا أنه بوّب ذلك أبواباً فكانت: الخطب، الكتب والرسائل، الكلمات القصار أو الحِكَمْ.

فقد صنَّف ما اختاره وفق ما يناسبه من تلك الأبواب ليجد الباحث بغيته في مظانها وقد صدر لوحده من دون كثير شرح في مجلدٍ ذي ثلاثة أجزاء أو أربعة أجزاء باختلاف الطبعات فجاء والحمد لله مجموعة رائعة تحكي صورة بديعة لحُسن التصوير وبليغ الأداء ومتانة السبك وبراعة الوصول للمراد وسهولة التعبير عن المقاصد بالطرق السهلة السلسة التي تلتئم مع أساليب التعبير العربي وما عُرف به من رصانة ودقة في جانب، وسلاسة ورقة في جانب أخر.. بل وبقيت تلك الطرق المعبِّرة عن المقاصد متلائمة مع سائر الأساليب في بقية العصور التالية لذلك العصر بل في سائر البيئات والثقافات فقد جذب كلامُ الإمام علي عليه السلام -من خلال نهج البلاغة- مَنْ قرأه وأمعن فيه وتأمله وأنصفه، ولم يتحيز، ولم يجانِب الحق والواقع.

اسمه ونسبه

فهو من جهة الأب: محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم المجاب بن الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام علي السجاد بن الإمام الحسين الشهيد بن الإمام علي بن

أبي طالب عليه السلام.

وهو من جهة الأم: محمد بن فاطمة بنت الحسين (أو الحسن) الناصر الصغير بن أحمد بن الحسن الناصر الكبير الاطروش صاحب الديلم بن الحسن بن علي الأصغر بن عمر الأشرف بن الإمام علي السجاد بن الإمام الحسين الشهيد بن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

فهو سليل الدوحة المحمدية، المتفرع من غصن الإمام موسى بن جعفر، بعدما أينعت به أرومة علي وفاطمة، وقد طاب منبته وزكا.

مولده - وفاته - مدفنه

ولد الشريف الرضي سنة ٣٥٩هـ ببغداد.

وتوفي يوم الأحد السادس من محرم الحرام سنة ٤٠٦هـ.

ودفن في الكاظمية ببغداد ويقال أنه قد نقل بعد ذلك الى كربلاء بالقرب من قبر والده أبي أحمد الحسين، وفعلاً يوجد في الكاظمية مزار مشيد عليه قبة قد عُرف أنه قبر الشريف الرضي.

آثاره - مآثره

لقد أهتم بالقرآن الكريم فحفظه في سن الشباب و والى ذلك بأن بحث عن علومه فألّف: **حقائق التأويل في متشابه التنزيل** الذي قال فيه أستاذه ابن جني (صنف الرضي كتاباً في معاني القرآن يتعذر وجود مثله)، **تلخيص البيان عن مجازات القرآن**.

ولم يبتعد كثيراً إذ بحث عن (**المجازات النبوية**) الواردة في الأحاديث

النبوية الشريفة، كما أنه لم يبتعد أيضاً إذ اختار من كلام الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام (**نهج البلاغة**).

فكان تركيزه على هذه المنابع الثلاثة: القرآن الكريم، الأحاديث النبوية، كلام الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو مَنْ قيل في كلامه أنه دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين عدا النبي الأعظم صلى الله عليه وآله.

قد انشأ (**دار العلم**) كمدرسة علمية، وكان خصص لطلبتها جميع ما يحتاجون اليه حتى أنه كان يتبعها مخزن فيه جميع ما يحتاج اليه الطالب من الأمور المادية، كما انشأ مكتبة عُرفت ب.(**خزانة دار العلم**).

كما أنه في سنة ٣٨٩هـ افتدى هو وأخوه الشريف المرتضى ٣٥٥-٤٣٦هـ الحُجّاج الذين اعتقلهم ابن الجرّاح الطائي، بدفعهما مبلغ تسعة آلاف دينار من أموالهما.

كما أنه قد عرف رحمه الله بشفاعته للآخرين وسعيه في قضاء حوائجهم مع ما هو عليه من نفس أبيّة عزيزة ترفض المنة والاستكانة ولكنها في الوقت ذاته نفس كريمة تأبى إلاّ أن تسعف المحتاجين وتنجدهم ولو ببذل الجاه.

كما قد عرف بشدة رفضه للصِلات المادية وتعففه وتمنّعه من ذلك مهما كان المقابل.

وقد تولى نقابة الطالبين وهي الجهة المسؤولة عن إحصاء الطالبيين ورعايتهم ومتابعتهم وحل قضاياهم وما الى ذلك من شؤونهم وشجونهم.

كما قد تولى ديوان المظالم وإمارة الحُجّاج.

وقد تميز بقوة شاعريته وجودة شعره وبراعته في ذلك بما يؤهله لأن يكون أشعر قريش، وقد قيل أن الرضي أعلم الشعراء لولا المرتضى، والمرتضى أشعر

العلماء لولا الرضي.

وقد تساوى شعره في صباه وكهولته وفي فرحه وحزنه.

وفي نهاية هذا التعريف الموجز أرسم لوحة اعتزاز وتقدير وإجلال وإكبار لتلك الشخصية العلوية العربية التي ملؤها الإباء والشموخ.

وأما مَنْ كان كلامه محور الحديث فهو الإمام العظيم سيدُ البلغاء وأمامُ الفصحاء وقائدُ الفرسان والشجعان وأميرُ المؤمنين، الذي أذهل مؤرخيه والباحثين في شخصيته وحيرّهم فأُعجبوا به، وسنستعرض مجموعة نماذج لشخصيات لا تربطهم بالإمام روابط نسبية أو مذهبية دينية وإنما يربطهم به ما هو أقوى وأشد في التأثير والانشداد وهو الفكر فقد وجدوا فيه ما افتقدوه في غيره، وعند غيره.

وأجدُ أن هذا الاساس في التعرف على معالم شخصية الإمام من خلال انطباع شخصيات غير محسوبة عليه مذهبياً هو الأجدى نفعاً.

فيقول ابن أبي الحديد المعتزلي مخاطباً الإمام عليه السلام:

لولا حدوثك قلت إنك جاعـ ـل الأرواح في الأشباح والمستنزع
لولا مماتك قلت إنك باسط الأرزاق تُقْدرُ في العطاء وتوسع
واللهِ لولا حيدر ما كانت الد نيا ولا جَمَعَ البريةَ مجمعُ
من أجله خلق الزمان وضوئت شهب كُنِسْنَ وجنّ ليل أدرع
علم الغيوب إليه غير مدافع والصبح أبيض مسفر لا يدفع
وإليه في يوم المعاد حسابنا وهو الملاذ لنا غداً والمفزع
لولاك ما خلق الزمان ولا دجى غبَّ ابتلاج الفجر ليل أليلُ[1]

(١) الروضة المختارة ص١٤٠-١٤٢-١٤٣-١٥٥.

ويقول الشاعر الأستاذ بولس سلامة:

يا أمير البيان نهجك بحر تتلاقى الأرواح في أثنائه
متعة السمع والقلوب رواء وزئير الأقدار في أنوائه
غضبة للتقى وللزهد دوّت في سواد العراق في بطحائه
يا أمير الزهاد صيتك أنقى من جبين العذراء قبل اصطلائه(١)

ويقول الأستاذ نصري سلهب: (عليّ تجسيد للإنسان على إطلاقه بكل ما في هذا التعبير من معنى آخذ في العمق والشمول، تقرأ سيرته فإذا طالعك خبر موته أحسست بالألم يحز في نفسك كأنما الرجل ميّت منذ يوم، وإذا تتبعت ما جرى له من أحداث بدت لك تلك الأحداث من بنات الحاضر فاذا أنت شاهد عيان بل رفيق تعيش مع عليّ وتمشي معه جنباً الى جنب، تتألم لألمه، تفرح لفرحه، تغضب لغضبه، ترضى لرضاه، تثور معه، تشاركه اختلاجات قلبه وضميره وخاطره.

عليّ حيّ في خاطر كل إنسان، مقيم في ضمير كل إنسان، نابض مع قلب كل إنسان، تخطى الزمان والمكان والقومية والدين، وسما وارتفع حتى غدا ملك الإنسانية جمعاء، ذلك أنه تجسيد للإنسان المطلق كما شاءه الله أن يكون لا كما هو كائن منذ أن كان... لقد كاد أن يكون أسطورةً من أحلى الأساطير، وعلى المرء أن يفتش كثيراً في أروقة التاريخ ليعثر على بشر تحلّى بمثل تلك الصفات التي تجمعت في ابن أبي طالب، لقد كان قمة جاورت الله فارتوت من الينبوع، فإذا به مزيج فريد من دعة وتقوى وزهد وُشّيت جميعها بثاقب بصيرة وعمق تفكير وشجاعة قلما توفرت لرجل، فأنطلق يّعبر عن ذلك كله ببلاغة كانت ولا تزال مدرسة ومنهجاً ولعل خير وصف نصفه به أن نقول: لقد كان علي قرآناً حياً..

(١) ملحمة عيد الغدير ص١٩٩.

ولو لم يكن هاشمياً لسعت الخلافة اليه، ولكان أول خليفة في الإسلام قبل أبي بكر وعمر وعثمان)(١).

ويقول ابن أبي الحديد المعتزلي: (فأما فضائله عليه السلام فأنها قد بلغت من العِظَم والجلالة والانتشار والاشتهار مبلغاً يَسْمُجُ معه التعرض لذكرها والتصدي لتفصيلها فصارت كما قال أبو العيناء لعبيد الله بن يحيى بن خاقان - وزير المتوكل والمعتمد -: رأيتُني فيما أتعاطى من وصف فضلك كالمخبر عن ضوء النهار الباهر والقمر الزاهر الذي لا يخفى على الناظر فأيقنت حين انتهى بيَ القول منسوب الى العجز مقصِّر عن الغاية فانصرفت عن الثناء عليك الى الدعاء لك ووكلت الإخبارَ عنك الى علم الناس بك، وما أقول في رجل أقرَّ له أعداؤه وخصومه بالفضل ولم يمكنهم جَحْدُ مناقبه ولا كتمان فضائله فقد علمتَ أنه استولى بنو أميةَ على سلطان الإسلام في شرق الأرض وغربها واجتهدوا بكل حيلة في إطفاء نوره والتحريض عليه ووضع المعايب والمثالب له ولعنوه على جميع المنابر وتوعّدوا مادِحِيه بل حبسوهم وقتلوهم ومنعوا من رواية حديث يتضمن له فضيلة أو يرفع ذكراً حتى حظروا أن يسمى أحدٌ باسمه، فما زاده ذلك إلاّ رفعة وسموّاً، وكان كالمسك كلمّا سُتر أنتشر عَرْفه وكلما كُتِمَ تضوَّع نَشْرُه، وكالشمس لا تُستَر بالراح وكضوء النهار إن حُجِبت عنه عين واحدة أدركته عيون كثيرة، وما أقول في رجل تُعْزَى إليه كلُ فضيلة وتنتهي إليه كل فرقة وتتجاذبه كلُ طائفة فهو رئيس الفضائل وينبوعها وأبو عُذْرِها وسابق مضمارها ومُجلّي حَلْبتِها، كلُّ مَنْ بزغ فيها بعده فمنه أخذ، وله أقتفى، وعلى مثاله احتذى)(٢) ثم أنه يدلل على ذلك فيبيّن نسبة العلوم والفضائل والطوائف اليه ثم

---

(١) في خطى عليّ ص٣٤٩-٣٥٩-٣٦٠-٣٨٨.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد مج١ ص٥-٦/ ج١ ص١٦-١٧.

يستطرد فيقول: (أحبَّ كلٌّ واحد أن يتكثر به ووَدَّ كلُ أحد أن يتجمل ويتحسن بالانتساب إليه... وتحبه أهل الذمة على تكذيبهم بالنبوة، وتعظّمه الفلاسفة على معاندتهم لأهل الملة، وتصوّرُ ملوك الفرنج والروم صورتَه في بِيَعِها وبيوت عباداتها حاملاً سيفه مشمراً لحربه، و تصّور ملوكُ الترك والديلم صورته على أسيافها: كان على سيف عضد الدولة بن بُوَيْه، وسيف أبيه ركن الدولة صورتُه، وكان على سيف إلب أرسلان وأبنه ملكشاه صورته كأنهم يتفاءلون به النصر والظفر)[١].

وقد قال: الأستاذ فؤاد أفرام البستاني أستاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف ببيروت في كتابه (علي بن أبي طالب):

(لعلي بن أبي طالب شخصية جذّابة حامت حولها أقلام الرواة والمؤرخين، واجتهدت في فهمها عقول النقاد والمفكرين، واهتدت بهديها ميول الزُهّاد والسالكين، وسار تحت لوائها الجم الغفير من المتأدبين ولم تكن الآراء المختلفة والنظريات المتباينة والمجادلات العديدة حوله على كرور الأيام إلا لتزيد الرجل سمواً، وعقليته بروزاً. فمَنْ هذا الرجل العظيم؟ وما هي قيمة رجل الأدب هذا؟ كان كبير القلب، شديد الإخلاص، قوي الإيمان، يذوب غَيرةً في سبيل الدين الجديد... الحكمة عند علي بن أبي طالب وافرة المعنى، جميلة المبنى، يأخذها عقليةً لا لون لها ولا رسم فتمر في مخيلته فإذا هي صورة جميلة تترجرج فيها الحياة.

فهو حكيم قبل كل شيء، حكيم في جميع مواعظه وخطبه)[٢].

فهذه نماذج شعرية ونثرية من صور الإعجاب والتقدير الصادرة من

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد مج١ ص٩/ ج١ ص٢٨-٢٩.

(٢) يلاحظ كتاب الراعي والرعية ص٣٢-٣٣.

شخصيات أنشدّت إليه لما لمست فيه ما افتقدته عند غيره، ولما تجسدت فيه من مقومات النجاح مما جعلته مُصلحاً عاماً وليس حكراً على مذهب أو فئة بل يستنير بتعاليمه الجميع ويتربى بتوجيهاته الكل وقد أجمع المسلمون على فضله وعلمه وأنّ (مَنْ أقتدى في دينه بعليّ بن ابي طالب فقد اهتدى... ومَنْ أتخذ علياً إماماً لدينه فقد أستمسك بالعروة الوثقى في دينه ونفسه)(١) وأنه (ما قاتل علياً أحدٌ الاّ وعلي أولى بالحق منه)(٢).

وقد ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٣) أنه (قال عليّ رضي الله عنه: هذه آية من كتاب الله ما عمل بها أحدٌ قبلي ولا يعمل بها أحدٌ بعدي، كان لي دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم. وسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر مسائل فأجابني عنها. قلت: يا رسول الله ما الوفاء؟ قال: التوحيد وشهادة أن لا إله إلاّ الله، قلت: وما الفساد؟ قال: الكفر والشرك بالله، قلت: وما الحق؟ قال: الإسلام والقرآن والولاية إذا انتهت اليك...)(٤).

ولم يحدثنا التاريخ عن إنسان استجمع كل هذه الصفات أو أُستكملت فيه هذه الكمالات والمميزات، بل نقرأه يحدثنا عن احتياج غيره اليه ورجوعهم الى منهله، فيسجل لنا مسائل في أيام الخلفاء الثلاث من قبله لم يهتدوا الى الجواب الصحيح أو الحل المناسب فيها فلجأوا إليه عليه السلام فأسعفهم به وقد قال له الخليفة

---

(١) تفسير الفخر الرازي ج٦ ص٢٠٥-٢٠٧/ ط٢.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد مج١ ص٢٥٦/ج٣ ص١٠٢.

(٣) سورة المجادلة الآية ١٢.

(٤) تفسير النسفي ج٤ ص٢٣٥.

الأول: (بخ بخ لك يا أبا الحسن، وأين مثلك يا أبا الحسن)[١].

واشتهر عن الخليفة الثاني (لولا علي لهلك عمر)[٢] أو (أعوذ بالله من كل معضلة ليس لها أبو حسن)[٣].

وتستوقفنا اشارة مضيئة في تأريخ حياته وسجل صفاته عليه السلام وهي لا تقبل المراوغة في القبول والإذعان بل تستلزم الجزم إما بالقبول أو الرفض ألا وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (يا علي لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق)[٤].

وفي رواية أخرى (لا يحبك إلا مؤمن تقي ولا يبغضك إلا فاجر ردي)[٥].

وفي رواية أم سلمة (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحب علياً منافقٌ ولا يبغضه مؤمن)[٦].

مما يحتم علينا التأمل والتمهل والتوقف لما في هذه الميزة من دلالة عميقة تدل على مدى علاقته بالله واتصاله الوثيق به، ولم تُذكر هذه ولا نحوها في مناقب غيره مهما بلغ شأوه وجهاده في الإسلام، فنستخلص من ذلك تفرده بهذه المنزلة والمكانة السامية.

ومما يجده المتأمل في سيرة الإمام وتأريخه انه أعطى الدليل القاطع والبرهان

---

(١) المناقب للخوارزمي الحنفي ص٤٥.

(٢) نفس المصدر السابق ص٣٩. ونحوه في تأويل الحديث لابن قتيبة ص١١٠. وتذكرة ابن الجوزي وغيرها من المصادر المذكورة في كتاب الغدير ج٦ ص١٠٢/ ص١١٠.

(٣) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص١١٠ / دار الكتاب العربي – بيروت.

(٤) النصائح الكافية لمحمد بن عقيل العلوي الشافعي ص٨٣، ونحوه في شرح النهج مج١ ص٣٦٤ / ج٤ ص٨٣، وبلفظ آخر روي في مسند أحمد بن حنبل وكنز العمال. والرياض النضرة. لاحظ كتاب فضائل الخمسة في الصحاح الستة ج٢ ص١٩٧–٢٠٠ ط النجف.

(٥) المناقب للخوارزمي الحنفي ص٢٣٤.

(٦) جامع الترمذي ج٤ ص٣٢٧.

الواضح على تقدمه وفضله وعظيم منزلته وعلمه لكل إنسان بما يسعه فهمه وبما تدركه حواسه الباطنية والظاهرية.

فالمتكلم المنطيق والخطيب المفوه ينصت اليه مبهوراً وهو عليه السلام يهدر بذلك الكلام الفصيح والبيان الممتع سواء منه الخطبة الطويلة او الكلمة المقتضبه.

وقد اعجب (نرسيسيان) – رئيس كُتّاب القنصلية البريطانية في بغداد وهو من الأرمن – بحسن التسجيع وكيف يجري الروي كالماء السلسال على لسان الامام عليه السلام[1] حتى قال: (ولو كان يرقى هذا الخطيب العظيم منبر الكوفة في عصرنا هذا لرأيتم مسجدها على سعته يتموج بقبعات الأفرنج للاستقاء من بحر علمه الزاخر)[2].

ويقول (المستر كربنكو الانكليزي أستاذ الآداب العربية في كلية عليكره الهندية عندما اجتمع الأساتذة والأدباء حوله في حفله وسألوه عن إعجاز القرآن، أجابهم: (إن للقرآن أخاً صغيراً يسمى نهج البلاغة فهل في إمكان أحد أن يأتي بمثل هذا الأخ الصغير؟ حتى يسوغ لنا البحث عن الأخ الكبير، وإمكان أن يأتي أحد بمثله؟)[3].

ويقول ابن رشد: (إن في كلام علي من عجائب البلاغة وثواقب الحِكَم ما لا يوجد في الكلام)[4].

ويقول ابن أبي الحديد المعتزلي: (وأما الفصاحة فهو عليه السلام إمام الفصحاء وسيد البلغاء وعن [في خ] كلامه قيل :دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين ومنه تعلّم الناس الخطابة والكتابة، قال عبد الحميد بن يحيى: حفظت سبعين

---

(١)، (٢) ما هو نهج البلاغة ص٧.

(٣) المعجزة الخالدة ص٢٩-٣٠.

(٤) تحت راية الحق للسبيتي ص٤٤.

خطبة من خطب الاصلع ففاضت ثم فاضت. وقال ابن نباته: حفظت من الخطابة كنزاً لا يزيده الإنفاق الا سعة وكثرة، حفظت مئة فصل من مواعظ على بن أبي طالب... وحسبك أنه لم يدوّن لأحد من فصحاء الصحابة العُشر ولا نصف العُشْر مما دُوّن له وكفاك في هذا الباب ما يقوله أبو عثمان الجاحظ في مدحه في كتاب البيان والتبيين وفي غيره من كتبه)(١).

ويقول الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية لسنة ١٨٩٩م: (وليس في أهل هذه اللغة الا قائل بأن كلام الإمام علي بن أبي طالب هو أشرف الكلام بعد كلام الله تعالى وكلام نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وأغزره مادة وأرفعه أسلوباً وأجمعه لجلائل المعاني)(٢).

ويقول بولس سلامة: (ينظر إليه المفكر فيستضيء بهذا القطب الوضاء ويتطلع اليه الكاتب الألمعي فيأتم ببيانه.. أما الخطيب فحسبه أن يقف في السفح ويرفع الرأس الى هذا الطود الشامخ لتنهلّ عليه الآيات من عَل، وينطلق لسانه بالكلام العربي المبين الذي رسخ قواعده أبو الحسن إذ دفعها الى أبي الأسود الدؤلي فقال: أنح هذا النحو. وكان علم النحو)(٣).

ويقول محي الدين الخياط(٤): (لئن فاخَرَ اليونان بديمستينوس والرومان بشيشرون والافرنسيون بفولتير والانكليز بملتون والايطاليون بدانتي فنحن نشمخ بأنفنا بالإمام العظيم والعربي الصميم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رب الفصاحة والبلاغة... وهو أعلم الصحابة بلا استثناء وأفصحهم بلا مراء

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد المعتزلي مج١ ص٨/ ج١ ص٢٤-٢٥.

(٢) مقدمة نهج البلاغة ص٦.

(٣) مقدمة ملحمة عيد الغدير ص٢٧.

(٤) شاعر أديب ولد في صيداء، له تعليق على شرح نهج البلاغة للشيخ محمد عبده -الاعلام للزركلي ج٨ ص٦٧ بتصرف.

وأقضاهم بلا شبهة وأشجعهم بلا ريب وأشرفهم حسباً وأقربهم من النبي نسباً وأذودهم عنه بالسيف والسنان وأدرأهم بالبنان والبيان)[١].

فهذا حال المتكلم المنطيق والخطيب المفّوه وكذلك الفارس الشجاع يترسمه ويتمثل خطاه فإنه (لم تظل السماء أشجع من ابن أبي طالب، فعلي ذلك الساعد الاجدل اعتمد الإسلام يوم كان وليداً، فعلي هو بطل: بدر وخيبر والخندق وحنين ووادي الرمل والطائف واليمن، وهو المنتصر في صفين ويوم الجمل والنهروان والدافع عن الرسول يوم أُحد وقيدوم السرايا ولواء المغازي)[٢].

وكذلك يقتدي به الناسك المتعبد ويردد مناجاته وأدعيته.

وكذلك يحتذي حذوه الحاكم العادل ويسير بسيرته ويلمّ بوقائعه اليومية لينهج نهجاً قوياً في تسييس حكومته.

ويأتي دور الإنسان البسيط غير المتعلم ولا المتكلم ولا الفارس ولا الحاكم بل حتى ولا المتعبد فتجده ينشدّ اليه ويُعجب به ويُعبر عن ذلك الحب والولاء الفطري بوسائل متعددة وكُلٌ حسب طريقته الخاصة...

هذه صفحات مشرقة منصفة مما سجله التأريخ، لكن نقرأ صفحات أخر سجلها التاريخ وحفظ فيها: إن أعداءه حاولوا طمس معالمه فلم يزده ذلك إلا وضوحاً وشهرة وتفننوا في ذلك فيقول: (محفن أبن أبي محفن لمعاوية - متملقاً - جئتك من عند أعيى الناس، قال له: ويحك! كيف يكون أعيى الناس فو الله ما سنّ الفصاحة لقريش غيرهُ)[٣].

---

(١) السبيتي في كتابه تحت راية الحق ص٤٥

(٢) مقدمة ملحمة الغدير ص٢٧.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي مج١ ص٨/ ج١ ص٢٤-٢٥.

أو ترى لايدري أنه كذلك؟! ولكنه أسلوب من أساليب الحملة المضادة للإمام عليه السلام، ثم لتُطالِعُنا شهادة مبطنة ظاهرها لا يتفق مع باطنها (لله أنت لولا دُعابة فيك أما والله لئن وَلِيْتَهُم لتحملنّهم على الحق الواضح والمحجة البيضاء)(١)، ويردّ الامام عليه السلام على هذا التضليل ومحاولة صرف الأنظار عنه بقوله: (عجباً لابن النابغة يزعم لأهل الشام أن فيّ دعابة وأني امرؤ تلعابة أعافس وأمارس، لقد قال باطلاً ونطق آثماً، أما وشر القول الكذب انه ليقول فيكذب أما والله إني ليمنعني من اللعب ذكر الموت، وإنه ليمنعه من قول الحق نسيان الآخرة)(٢).

ثم تستمر الحملة الظالمة الآثمة فكان منها:

أن (كتب معاوية نسخة واحدة الى عمّاله بعد عام الجماعة أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته، فقامت الخطباء في كل كورة يلعنون علياً ويبرؤن منه ويقعون فيه وفي أهل بيته)(٣).

وكان منها أن (كتب معاوية الى عمّاله في جميع الآفاق أن لا يجيزوا لأحد من شيعة علي شهادة)(٤).

ومنها أن (انظروا مَنْ قامت عليه البينة أنه يحب علياً وأهل بيته فأمحوه من الديوان وأسقطوا عطاءه ورزقه... ومَنْ اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم فنكّلوا به واهدموا داره)(٥). ويمرّ عبد الله بن عباس (بقوم ينالون من علي ويسبونه -فيقول لهم-: أيكم الساب لله؟ فقالوا: نعوذ بالله أن نسّب الله، فقال: أيكم

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد المعتزلي مج١ ص٦٢/ ج١ ص١٨٦.

(٢) نهج البلاغة ج١ ص١٤٧ بشرح محمد عبده، ويستحسن للقارئ الكريم مراجعة ما ذكره ابن أبي الحديد في شرحه مج٢ ص١١٥/ ج٦ ص٣٢٨-٣٣٠ ليتضح له واقع الحال.

(٣)، (٥) النصائح الكافية لمحمد ابن عقيل العلوي الشافعي ص٨٧-٨٨.

(٥) النصائح الكافية لمحمد ابن عقيل العلوي الشافعي ص٨٧-٨٨.

السّاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قالوا: نعوذ بالله أن نسّب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: أيكم الساب علي بن أبي طالب؟ قالوا: أمّا هذه فنعم، قال: أشهد لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول مَنْ سّبني فقد سّب الله ومَنْ سّب علي ابن أبي طالب فقد سّبني)[(١)].

ويتساءل معاوية – مستغرباً – من سعد بن أبي وقاص فيقول له: (ما منعك أن تسّب أبا تراب؟ فقال: أمّا ما ذكرتُ ثلاثاً قالهن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلن أسّبه لأن تكون لي واحدة منهن أحب أليّ من حمر النِعم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول له:... أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، وسمعته يقول يوم خيبر لأُعطينّ الراية رجلاً يُحبَّ اللهَ ورسولَهَ ويُحبّه اللهُ ورسولُهُ. قال فتطاولنا لها فقال: ادعوا لي علياً فأُتي به أرمد فبصق في عينه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه، ولما نزلت هذه الآية ﴿فَقُلْ تَعَالَوا نَدْعُ أَبنَاءَنا وَأَبنَاءَكُم﴾ دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: اللهم هؤلاء أهلي)[(٢)].

وبعد استعراض هذه النماذج نجد أنهم (سبّوه على المنابر وهو سيّد المنابر إطلاقاً. فعظُمَ وصغروا ولم يسبّهم بكلمة فأزداد عظماً وازدادوا هم صغراً، لقد أحّب الحق فأبغضه أصحاب الباطل ونقموا عليه)[(٣)]، ويتضح جلياً الدافع وراء هذه الحملة بكل أساليبها وفصولها والتي لو وجهّوا بعضها لخدمة الإسلام والمسلمين لكانوا بأحسن حال ولكنها أحقاد بدرية وخيبرية وحنينية وما تلاها بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنه عليه السلام ما كانت لتأخذه في الله لومة لائم بل

(١) النصائح الكافية ص٩٢ وكفاية الطالب للكنجي الشافعي ص٨٣.
(٢) صحيح مسلم ج٧ ص١٢٠ ورواه الترمذي في جامعه ج٤ ص٣٢٩-٣٣٠، الخوارزمي الحنفي في المناقب ص٥٩، الكنجي الشافعي في كفاية الطالب ص٨٥.
(٣) في خطى علي ص٣٨٦.

اتجه بكله نحو طريق الحق وتحمّل المصاعب والمتاعب لنعرف بعد ذلك أن (حياته حياة عظيم من عظماء البشرية أنبتته أرض عربية ولكنها ما استأثرت به، وفجّر ينابيع مواهبه الإسلام ولكنه ما كان للاسلام وحده)[١] بل شمل بعنايته ورعايته الجميع لأنه دائماً كان يفكر بهم، ويهتم لهم، ويهم عليهم ومن أجلهم لو انحرفوا عن الطريق المستقيم، وهذه مميزات الحاكم العادل الذي لا يترك للمحسوبيات القومية أو المذهبية أو السياسية طريقاً الى نفسه.

بل يعامل الجميع بروح واحدة ومقياس واحد ألا وهو أنصاف المظلوم ونصرته، والحد من الظلم وسطوة الظالمين فكأنه بهذا علّم الأجيال دروساً تربوية في التعايش ليتوحدوا في خط الله ويسيروا على طريق الله ويحقق الجميع الغاية المنشودة المتمثلة في قوله تعالى: (وما خلقت الجن والإنس إلاّ ليعبدون)[٢] لنجد بعد ثلاثة عشر قرناً مَنْ يعي هذه الدروس فيستفيد منها ويدعو غيره إليها فيقول:

(إني وأنا أسير ـ في خطى علي ـ أدعو جميع أخوتي المسيحيين الى الإقبال على (نهج البلاغة) يقرءونه بإمعان وعمق ليتبينوا فيه تلك الخيوط الروحية المشعة التي تشّد المسيحي الى المسلم لأنهما كليهما مؤمنان يغرفان إيماناً من كتاب الله، فلكل مؤمن أن يعمل وفق ما أوصى به دينه، وفي مثل هذه الحال يلتقي جميع المؤمنين في المحبة وفي الله)[٣].

ولنجد أيضاً مَنْ يدرس هكذا شخصية فيخلص إلى:

(أن أقوال علي وأفعاله لتثبت أنه كان بصيراً بالأمور وأبعادها، نافذ

---

(١) مقدمة ميخائيل نعيمه لكتاب الامام علي صوت العدالة لجورج جرداق ص٢٠ ط٢.

(٢) سورة الذاريات الآية ٥٦.

(٣) في خطى علي ص٣٤١-٣٤٢.

الفكر حتى الأعماق، عالماً بنفسية البشر وبما طُبعوا عليه، ذا عقل ملمّ بالشؤون الخاصة والعامة باطنها وظاهرها، حكيماً، لا يطأ إلاّ الأرض الصلبة الصمّاء، وذا منطق سديد أنفذ الى قلب السامع من سهم شديد، وفي نهج البلاغة خطب وكتب كثيرة تثبت صحة ما نقول. وأن بعض هذه الخطب والكتب لتصلح أن تكون نماذج للحكّام –حكّام الأمس واليوم والغد- يرجعون إليها ليتبينوا فيها المبادئ العامة والخطوط الكبرى في سياسة الدولة وإدارة شؤونها وشؤون المواطنين)[١].

ويستمر في تحليله ونظرته لشخصية الإمام عليه السلام من خلال نهج البلاغة فيكتشف أن (له في نهج البلاغة أمثالٌ بَلَغَ عليٌّ قمة المستوى الإنساني، فما هو بعربي يتحدث الى عرب ولا بمسلم يحدّث مسلمين إنما هو مفكر مؤمن يخاطب البشر، جميع البشر منذ كان في الأرض بشر يعقلون الى أن يقرّر الله مصائر خلائقه، ولا عجب.. فعليٌّ قرآن ناطق، عاش القرآن في قلبه وأجراه على لسانه هدى ورحمة للعالمين)[٢].

وليجد أنه عليه السلام بهذا المأثور عنه من الكلام قد (أتحف العربية بسِفْرٍ لا يفوقه بلاغةً إلا القرآن الكريم ولا عجب في ذلك فهذا تنزيل من الله، وذاك من صنع الإنسان وما اقترب امرؤ من الله حرفاً وروحاً كاقتراب عليّ منه في (نهج بلاغتِهِ)[٣] وحقاً ان علياً اقترب من الله وفنى فيه حتى قال: (لو كُشِفَ لي الغطاء ما ازددت يقيناً)[٤] فهل يعجب متعجب، أو يستكثر مستكثر هذا العطاء

(١) في خطى علي ص٢٤٤.
(٢) في خطى علي ص٢٧٥ .
(٣) في خطى علي. ص٣٢٣.
(٤) قرة العيون للفيض الكاشاني ص٣٣٣ ، ونحوه في شرح ابن أبي الحديد لنهج البلاغة مج ٢ ص٢٤٩ = ج٧ ص٢٥٤، وأيضاً ج١٠ ص١٤٢.

عليه؟

حقاً إنه مدعاة للافتخار والاعتزاز والاقتداء وترسم الخطى ولكن كما قال الأستاذ سليمان كتاني (يا سيدي إنهم بدل أن يختلفوا إليك اختلفوا فيك؟! فمنهم من فقدوك وما وجدوك.. ومنهم من فقدوك ثم وجدوك.. ومنهم من وجدوك ثم فقدوك.. إنه لعجب عجاب!)[1] وأيضاً كما قال الأستاذ جبران خليل جبران (فتاهوا بين مناهج بلاغته وظلمات ماضيهم فمَن أعجب بها كان إعجابه موثوقاً بالفطرة ومَنْ خاصمه كان من أبناء الجاهلية)[2].

وهذا مِن بعض الضيم والهضم الاجتماعي للإمام وما يتحلى به فان صور الظلم والتجاوز عليه كثيرة ولكنه بقي مع ذلك محط أنظار العالمين ومعقد آمالهم في الإصلاح والإنقاذ ويبقى علي بأفكاره، بمبادئه، بمواقفه، بمآثره، بتضحياته، بزهده في المناصب، بسعي الدنيا إليه ورفضه لها حتى قال: (يا دنيا يا دنيا إليك عني، أَبيّ تعرضت أم إليّ تشوقتِ هيهات غرّي غيري لا حاجة لي فيك قد طلقتكِ ثلاثاً لا رجعة فيها فعيشك قصير، وخَطَرْك يسير وأَمَلُكِ حقير آه من قلة الزاد وطول الطريق وبُعْدِ السفر وعظيم المورد)[3].

وتصعب هذه المصارحة وتثقل على طلاب الدنيا فيحولون الاتجاه ويحاولون صرف الأنظار والتعتيم من حول الإمام عليه السلام بما أُتوا من قوة وعدة... وحين يُتساءل: هل أثّر هذا عند الإمام علي أو فيه أو عليه أو قلّل من عظمته؟ فيجيب الشاعر السّماوي[4] بقوله:

---

(١) الإمام علي نبراس ومتراس ص٥١ ط٢.

(٢) ملحمة عيد الغدير لبولس سلامة ص٢٢.

(٣) نهج البلاغة ج٤ ص١٦ بشرح الشيخ محمد عبده.

(٤) المرحوم الشيخ عبد الحميد السماوي المتوفى سنة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

وهذا عليّ والأهازيج باسمه تشق   الفضا النائي فهاتوا معاويا
أعيدوا ابن هند إن وجدتم رفاته   رفاتاً وإلا فانشروها مخازيا[1]

وحقاً إنها مخازٍ، لأن الواقف (على قبر معاوية) يجده كما قال الشاعر محمد مجذوب[2]:

كتلٌ من التُرْبِ المهين بخربةٍ   سكر الذباب بها فراح يعربد
خفيت معالمها على زوارها   فكأنّها في مجهل لا يقصد

بينما الواقف - على ضريح علي - يجده مقصد الزائرين وكعبة الوافدين وملاذ المستجيرين ذلك لأن:

تلك العظام اعزّ ربك قدرها   فتكاد لولا خوف ربك تُعبد
أبداً تباكُرها الوفود يحثّها   من كل صوب شوقها المتوقد

ولنفسح الطريق أمام الباحثين ليبحثوا وليتأملوا، ولنبعد عنهم المؤثرات الجانبية ليخلص حكمهم من شوائب التأثر النفسي والانشداد العاطفي ليقولوا كلمتهم وليسمعها الجيل الصاعد من شباب المستقبل لئلا ينجرفوا وراء وسائل التضليل الإعلامي التي كُرست لهم، وصُنعت -خصيصاً- لاستقطابهم، فأُبدلوا بأبطال المسلمين ثمة أشخاص لا يُعرف لهم ماض، وإن عُرف فهو غير مستحق لكل هذا الإعجاب والانقياد لأنه لا يعدو كونه ماضياً لإنسان أو إنسانة سلك مختلف الطرق من أجل الوصول إلى غايته، بينما يطالعنا في هذا الجانب: الماضي المشرق والمشّرف لإنسان ولد في الكعبة في بيت الله الحرام ومات في محرابه في جامع الكوفة، ربّاه في صغره رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم آخاه واستوزره ثم استخلفه فقد قال صلى الله عليه وآله: (إنّ أخي ووزيري وخير مَنْ أخلفه

(١) ديوان السّماوي ص٢٨١ ط١/ دار الأندلس بيروت سنة ١٣٩١هـ.
(٢) مقدمة النصائح الكافية للسيد محمد رضا الخرسان ص١١.

بعدي عليّ بن أبي طالب)[١].

وهـذا مثال لواحد من أولئك الأبطال المسـلمين ممـا يحتّم علينا الالتحاق بركبه والاهتداء بهديه ليتزن سـلوكنا ويحسن تعاملنا ولنعرف أننا مسئولون عن مهـمات، مكلَّفـون بواجبات لم نُترك بـلا رعاية حتى نسـمح للآخرين بالمتاجرة بنا: بأخلاقنا، بمبادئنا، بحل مشاكلنا، باختراق أفكارنا. لأن من أهم ما يُعرِّض الإنسان إلى الخطر هو شعوره بالفراغ النفسي والخواء الفكري، فلا يجد من نفسه الثبـات على أرض صلبة ليسـتطيع من خلال الاعتماد عليهـا مواجهة العاديات والمخاطـر ومكافحة الأوبئة الفكرية ومناهضـة الآراء المنحرفة التي تدخلت في أغلـب تفاصيل الحياة. وعندها تتدهور الحالة النفسـية وتخـرب البنية الداخلية للإنسـان فيبدو مهزوز الشـخصية يسـتجيب بلا مناقشـة، وعندئـذ لا تصعب السـيطرة عليـه ويسـهل الالتفـاف من حولـه ليقع فريسـة، وهذا مـا احتاط له الإمـام عليه السلام بقولـه: (مـا أخـذ الله على أهـل الجهـل أن يتعلموا حتـى أخذ على أهـل العلم أن يعلِّمـوا)[٢]. وهذا إجراء حكيم لحفظ أفكار الطليعة من شـباب المسـتقبل. فألزم بالتعلم وبإزائه التعليم لأنّ ذلك الوسيلة الوحيدة في التحصين الفكري والحماية لأخلاقهم.

ومن هذا المنطلق التقينا في رحاب الإمام عليّ عليه السلام لنهتدي بسيرته ونلتزم طريقته، ولو استهدينا الأدلّاء لأرشدونا إليه.

ألا نسـمع الحسـن البـصري وهـو يقـول: (كانت لـه السـابقة والفضل والعلـم والحكمة والفقه والـرأي والصحبة والنجدة والبـلاء والزهد والقضاء والقرابـة، إنَّ عليـاً كان في أمـره عَليـاً رحـم الله علياً وصلى عليـه... والله إنه آل

(١) المناقب للخوارزمي الحنفي ص٦٢.

(٢) نهج البلاغة ج٤ ص١١٠، بشرح الشيخ محمد عبده.

محمد كلهم)[١].

ونسمع الأستاذ جورج جرداق وهو يقول: (فإذا هو الإمام في الأدب وسرّه البلاغة، كما هو الإمام في ما أثبت من حقوق وفي ما علّم وهدى! وآيته في ذلك (نهج البلاغة) الذي يقوم في أسس البلاغة العربية في ما يلي القرآن من أسس، وتتصل به أساليب العرب في نحو ثلاثة عشر قرناً فتبني على بنائه وتقتبس منه ويحيى جيّدها في نطاقٍ من بيانه الساحر، أما البيان فقد وَصَلَ عليٌّ سابِقَهُ بلاحقه فضم روائع البيان الجاهلي الصافي المتحد بالفطرة السليمة إتحاداً مباشراً إلى البيان الإسلامي الصافي المهذب المتحد بالفطرة السليمة والمنطق القوي إتحاداً لا يجوز فيه فصل العناصر بعضها عن بعض فكان له من بلاغة الجاهلية، ومن سحر البيان النبوي ما حدا بعض إلى أن يقول في كلامه أنه (دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق)، ولا غرو في ذلك، فقد تهيأت لعليّ جميع الوسائل التي تعّده لهذا المكان بين أهل البلاغة فقد نشأ في المحيط الذي تسلم فيه الفطرة وتصفو...)[٢].

ولنسمع الأستاذ بولس سلامة وهو يقول: (إن العروبة المتيقظة اليوم في صدور أبنائها من المغرب الأقصى إلى آخر جزيرة العرب لأحوج ما يكون إلى التمثل بأبطالها الغابرين وهم كثيرون على أنهم لم يجتمع لواحد منهم ما اجتمع لعليٍّ من بطولة وعلم وصلاح، ولم يقم في وجه الظالمين أشجع من الحسين فقد عاش الأب للحق وجرّد سيفه للدفاع عنه منذ يوم بدر، واستشهد الابنُ في سبيل الحرية يوم كربلاء ولا غرو فالأول ربيب محمد والثاني فلذة منه)[٣].

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد مج١ ص٣٦٩ = ج٤ ص٩٦.

(٢) الإمام علي صوت العدالة ج٣ ص١٨٤.

(٣) ملحمة عيد الغدير ص٢٤.

ولنسمع الأستاذ نصري سلهب وهو يقول: (ومهما جلنا في (نهج البلاغة) فلن يسعنا أن نورد إلا نقطة من بحر، أو زهرة من مرج يموج بالإزهار، غير أن علياً نفعنا الله بعلمه وتقواه لا يمكن فهمه والنزول الى أعماق قلبه وفكره إلا من خلال (نهج البلاغة).. ولا تحسبنّ (نهج البلاغة) سِفر سياسة وإدارة وإيمان فحسب، ولا مجموعة مواعظ في شؤن الحياة وشجونها فحسب، ولا هو كتاب حِكَم وعِبَر فحسب، هو ذلك وأكثر من ذلك بكثير.. وخير سبيل إلى النهج قراءته فإليه أدعو قارئي واثقاً من أني أدعوه إلى ما فيه خيره ونفعه وصلاحه.

إن النهج لمدرسة ليست بحاجة إلى معلم فالمعلم الكبير يهيمن على كل صفحة من صفحاته بل روحه تخيم فوق كل كلمة من كلماته!)(١).

ولنقرأ لابن أبي الحديد المعتزلي عندما عَقّبَ على خطبة الإمام عليه السلام التي تتضمن ما للملائكة من المزايا، ويوم البعث والموت، قال بعدها: (مَنْ أراد أن يتعلم الفصاحة والبلاغة ويعرف فضل الكلام بعضه على بعض فليتأمل هذه الخطبة فإنَّ نسبتها إلى كل فصيح من الكلام ماعدا كلام الله ورسوله نسبة الكواكب المنيرة الفلكية الى الحجارة المظلمة الأرضية... فجزى الله قائلها عن الإسلام أفضل ما جزى به ولياً من أوليائه، فما أبلغ نصرته له، تارة بيده وسيفه وتارة بلسانه ونطقه وتارة بقلبه وفكره، إن قيل جهادٌ وحرب فهو سيد المجاهدين والمحاربين، وإن قيل وعظٌ وتذكير فهو أبلغ الواعظين والمذكّرين، وإن قيل فقهٌ وتفسير فهو رئيس الفقهاء والمفسرين، وإن قيل عدلٌ وتوحيد فهو إمام أهل العدل والموحدين:

(وليس على الله بمستنكَرٍ ... أن يجمع العالم في واحد)(٢)

---

(١) في خطى عليّ ص٢٧٤-٢٧٩-٢٨٠.

(٢) شرح نهج البلاغة مج٢ ص٢٣٠-٢٣١ = ج٧ ص٢٠٢-٢٠٣.

وقال في معرض تعقيبه على خطبة أخرى للإمام عليه السلام تتضمن التوحيد: (واعلم أن التوحيد والعدل والمباحث الشريفة الإلهية ما عُرفت إلا من كلام هذا الرجل وان كلام غيره من أكابر الصحابة لم يتضمن شيئاً من ذلك أصلاً ولا كانوا يتصورونه ولو تصوروه لذكروه. وهذه الفضيلة عندي أعظم فضائله عليه السلام)[(1)].

ولنلتزم نصيحة الأدلاء - وهم غير متهمين بجنوح أو انحياز إليه - ولنقرأ كلام الإمام فنتوقف عند كلماته لنفهمها في حياتنا ليعطينا ذلك مناعة قوية ضد الأفكار المسمومة المبثوثة مرئياً أو مقروءاً أو مسموعاً.

وفي نهاية هذا اللقاء في رحاب الإمام عليّ عليه السلام ونهج بلاغته أحسب أني قد وفيّت بحق الصحبة للقارئ الكريم فعرضت أمامه صوراً مما سجله التاريخ عن شخصية الإمام وعن المأثور من كلامه مع الإشارة إلى محاولات التعتيم ليتنبه لذلك وإن كان واقع الحال كما قال الإمام الشافعي (أنكر أعداؤه فضلَهُ حسداً وطمعاً، وكَتَمَ أحباؤه فضلَهُ خوفاً وفَرَقاً وفاض ما بين هذين ما طبّق الخافقين)[(2)] وحقاً أنه كذلك فإن الدارس لشخصيته، والمتأمل فيها لا يملك نفسه إلا أن ينطق بالحق وذلك في سبيل الحق ولأن الحق ينطق منصفاً وعنيداً - كما قيل -.

فإلى الاقتداء والاهتداء به عليه السلام أدعو القارئ الكريم إذ أتمثله عليه السلام وهو يدعونا برفق لتصحيح مسيرتنا في الحياة وتنظيمها وفق مفهوم ومُثُل ترقى بنا نحو مدارج الخير والفلاح والسداد، فإلى هناك ومن الله التوفيق.

---

(١) شرح نهج البلاغة مج٢ ص١٢٠ = ج٦ ص٣٤٦.

(٢) (١) تحت راية الحق ص٤٤.

شرح المختار
من
حِكَم الإمام علي (عليه السلام)

حرف الألف

١ – **قال** عليه السلام :

اتقوا معاصي الله في الخلوات فان الشاهد هو الحاكم.

الدعوة إلى مراقبة الله تعالى دائماً وفي جميع الحالات، خاصةً تلك التي يظن العبد أن الله تعالى غير مطلع عليه، فانه سبحانه محيط بنا ومطلع علينا وقد أودع كلَّ واحدٍ منا ما يسجل عليه أعماله فلا يمكن للعاصي أن ينكر معصيته أو يزوّر في كيفيتها بما ينجي به نفسه، وبموجب هذه الشهادة يصدر الحكم بالإدانة.

٢ – **قال** عليه السلام :

أحبب حبيبك هَوْناً ما، عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هَوْناً ما، عسى أن يكون حبيبك يوماً ما.

الدعوة إلى التوازن في العلاقات الاجتماعية، والاعتدال في الحب والبغض، إذ من البعيد استقرار علاقة فرد بآخر على وتيرة واحدة وإنما تتعرض إلى حالات من المودة الصميمة أو التشنج والتوتر إلى حد النقيض من طبيعة

الحالة السابقة، فلو تعامل كل فرد مع صاحبه بمقياس يحافظ فيه وبموجبه على العاطفة لتكون الحياة مبنية على مزيج من العقل والعاطفة، وعندها لا تصعب المعالجة، ويستحسن أن يكون أساس الحب والبغض مبنياً على ركيزة الحب أو البغض في الله ولله لأن ذلك أضمن في ديمومة العلاقة وأبعد عن القطع، إذ من الواضح جداً أنها لو ارتكزت على المصالح والأطماع المادية الصرفة لتلاشت بانتهاء تلك المصالح والأطماع.

٣- قال عليه السلام:

احذروا نِفار النِّعم[١] فما كل شاردٍ بمردود.

الدعوة إلى التأدب والمعاملة الحسنة مع ما يتفضل به الله تعالى على عباده، والانتفاع من ذلك بما يديم هذه النعم لا بما يسبب زوالها، ونِعم الله كثيرة ولها مستويان مادي ومعنوي.

أما المستوى المادي فيتمثل بمثل الرزق والعافية والصحة وكثرة الإنتاج وطول العمر....

وأما المستوى المعنوي فيتمثل بمثل الأمان والذكاء والوجاهة الاجتماعية وعدم الابتلاء ببلاء الغير....

ولا يقّدر الكثير من العباد بعض هذه النِعم فلا يعطيها حقها من الشكر[٢]

(١) النِّعم جمع النعمة وهي لغةً: الصنيعة والمنة، ما أنعم به عليك من رزق وغيره، المسَّرةٌ، الحالة التي يستلذها الانسان. المنجد ص٨٢١ مادة (نعم).

(٢) مما أُتّفق عليه أن الشكر أمر مستحسن بحكم العقل فانه يحكم بوجوب شكر المنعم ويحث عليه العقلاء دائماً، ويقضي بقبح تركه، وأيضاً قد ورد في الكتاب العزيز ما يحث عليه كما في قوله تعالى:

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ﴾ سورة البقرة/ الآية:١٥٢.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ للهِ﴾ سورة البقرة / الآية ١٧٢.

= ﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلالاً طَيِّبًا وَاشْكُرُواْ نِعْمَةَ اللهِ﴾ سورة النحل/ الآية ١١٤.
﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ سورة العنكبوت الآية ١٧.
﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ سورة سبأ الآية ١٥.
﴿فَخُذْ مَا آتَيْنَاكَ وَكُنْ مِنَ الشّاكِرِينَ﴾ سورة الاعراف الآية ١٤٤.
﴿بَلِ اللهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ سورة الزمر الآية٦٦.
﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ سورة النمل الآية ٤٠.
﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾ سورة ابرهيم الآية ٧.
﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ سورة لقمان الآية ١٤.

وقد ورد في الروايات الشريفة ان (من ألفاظ رسول الله صلى الله عليه وآله لايشكر الله من لايشكر الناس) الوسائل ج١١ ص٥٤٢، وروي عن الامام عليّ بن الحسين عليه السلام (ان الله يحب كل قلب حزين ويحب كل عبد شكور، يقول الله تبارك وتعالى لعبدٍ من عبيده يوم القيامة أشكرتَ فلاناً؟ فيقول: بل شكرتك يارب، فيقول: لم تشكرني اذ لم تشكره، ثم قال أشكركم لله أشكركم للناس) أصول الكافي ج٢ ص٩٩، باب الشكر ح٣.

وروي عن الامام الباقر عليه السلام قال: (من أعطي الدعاء لم يحرم الاجابة ومن أعطي الشكر لم يحرم الزيادة. وتلا ابو جعفر عليه السلام واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم) الوسائل ج١١ ص٥٥٣. وروى ايضاً عليه السلام عن جده صلى الله عليه وآله أنه كان (عند عائشة ليلتها، فقالت: يارسول الله لِمَ تتعب نفسك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر؟ فقال يا عائشة الا أكون عبداًشكوراً...) أصول الكافي ج٢ ص٩٥. باب الشكر ح٦.

وروي عن الامام الصادق عليه السلام (قال: مكتوب في التوراة: أشكر من أنعم عليك، وأنعم على من شكرك فانه لازوال للنعماء اذا شكرت، ولا بقاء لها اذا كُفرت، الشكر زيادة في النعم وأمان من الغِيَر-اي التغير-) الوسائل ج١١ ص٢٤٨.

وروي عنه عليه السلام ايضاً (يقول: أحسنوا جوار نعم الله وأحذروا أن تنتقل عنكم الى غيركم، أما أنها لم تنتقل عن احدٍ قط فكادت ترجع عليه، قال: وكان عليّ عليه السلام يقول قلّما أدبر شيء فأقبل) الوسائل ج١١ ص٥٥١.

وروي عنه عليه السلام ايضاً انه قال: (ما كثر مال أحد قط الاكثرت الحجة لله تعالى عليه فان قدرتم تدفعونها عن انفسكم فافعلوا -فقيل له- يابن رسول الله بماذا؟ فقال: بقضاء حوائج اخوانكم من اموالكم....واشكروا من أنعم عليكم وانعموا على من شكركم فانكم اذا كنتم كذلك استوجبتم من الله الزيادة ومن اخوانكم المناصحة، ثم تلا: لئن شكرتم لأزيدنكم) الوسائل ج١١ ص٥٥٣.

وروي عنه عليه السلام ايضاً (قال: ان الله مَنَّ على قوم بالمواهب فلم يشكروا فصارت عليهم وبالاً، =

مع انه بالشكر تدوم النعم ويحسن التنبيه إلى أن هذا لا يؤثر في مقدرات الله سبحانه وتعالى لعباده ولكنه يؤثر سلبياً في عدم التوسعة والزيادة لأنه إذا أحسن العبد جوار نِعم الله وعاملها معاملة لائقة فانه اضمن لدوامها، والمعاملة الحسنة اللائقة تختلف باختلاف النعم فقد يكون بتوجيه هذه الطاقة نحو الخير، وقد يكون بصرف المبالغ في سبيل الخير، وقد يكون بصرف العمر في الخير،... وقد روي انه (دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على عائشة فرأى كسرة كاد يطؤها فأخذها فأكلها وقال: يا حُميراء أكرمي جوار نعمة الله عليك فإنها لم تنفر عن قوم فكادت تعود إليهم)[1] وهذا يدلنا على أسلوب آخر من أساليب التعامل اللائق مع النِعَمْ التي يغدقها الله تعالى على عباده، كما انه يؤكد مضمون الحكمة أيضاً فان الحديث النبوي والحكمة العلوية يؤكدان على أن النعمة لو سُلبت من أحد فمن المحتمل عدم عودها مرة أخرى.

٤- قال عليه السلام:

احذر أن يراك الله عند معصيته، ويفقدك عند طاعته، فتكون من الخاسرين، وإذا قويت فاقوَ على طاعة الله، وإذا ضعفت فاضعف عن معصية الله.

الدعوة إلى مراقبة الله تعالى وطاعته والتحذير من عمل المعاصي، والحث

= وابتلى قوماً بالمصائب فصبروا فصارت عليهم نعمة) الوسائل ج١١ ص٥٤٢.

وروي عن الامام الرضا عليه السلام (يقول: مَنْ لم يشكر المنعم من المخلوقين لم يشكر الله عزّوجلّ) الوسائل ج١١ ص٥٤٢.

وروي عنه عليه السلام ايضاً (يقول: مَنْ حمد الله على النعمة فقد شكر وكان الحمد أفضل [من] تلك النعمة) أصول الكافي ج٢ ص٩٦ باب الشكر ح١٣.

(١) المحاسن/ ص٣٧٤ ط النجف.

على عمل الطاعات والتخويف من الإتيان بالمعاصي، وهذه أمور من المهم جداً أن يستحضرها كل فرد في حياته فيلزمه امتثال أوامر الله تعالى والانتهاء عن نواهيه عزّ وجلّ لأنه مطّلع على عباده ولا يمكن لأحد أن يخفي شيئاً.

وينبغي أيضاً أن يستعد كل فرد ويتوجه بعزيمة صادقه نحو الأعمال الصالحة، وان يبتعد بالمرة وينصرف انصرافاً نفسانياً عن الأعمال القبيحة التي نهى الله عنها لأنه قد اختبر عباده بهاتين الخصلتين فمَنْ وجده في سبيل الخير أمدّه بعونه وتوفيقه وأفاض عليه نِعَمَهُ ظاهرة وباطنة، ومن انحرف عن هذا الطريق وسلك طريقاً معوجة فيخذله تعالى ويرفع عنه يد العناية فيكون ممن خسر الدنيا والآخرة ومصيره النار، ومن هنا نعرف محاولة الإمام عليه السلام لحفظ الفرد المؤمن من مصائد الشيطان وشراك الباطل المترصد لكثرة ما يستهوي ويستميل في هذا العصر وخصوصاً تلك العناوين البرّاقة الجذّابة التي لا ينكشف عما وراءها بسهولة لكل أحد، وهنا يكمن الخطر ويشتد لزوم الحذر فإنّ الفتنة تسري بيننا بما لا تترك مجالا للتفكير والاختيار، فينبغي أن يختار الفرد طريقه ويحدد هدفه لئلا تتجاذبه الأهواء المضلة وليسد منافذ الشيطان إليه ولا يترك له سبيلاً إلى نفسه.

ومما يؤسف له أن تخلو ساحة الحق ممن ينبغي أن لا يغادرها بينما يلاحظ امتلاء موقف الباطل وتحشّد أتباعه لأسباب تساعد على إضعاف قوته وتخريب عقيدته والحط من مقدساته ورموزه، فنسأله تعالى أن يرشد أمر الجميع ويهديهم سواء السبيل.

٥- قال عليه السلام:

أحسنوا في عَقِبِ[1] غيرِكم تُحْفَظوا في عقبِكم.

الدعوة إلى الإحسان والتعامل الطيب بما يضمن تعاملاً مماثلاً في الحياة وبعد الوفاة لأن مما يهم كل فرد ويناضل من دونه هو أن يعيش هو ومَنْ يتعلق به بأمن وسلام، ومما يوفر ذلك ويؤَمِّن حصوله وديمومته هو التعامل الطيب، وتختلف صور الإحسان والتعامل الطيب، باختلاف الأفراد العاملين والمتعامَل معهم وباختلاف الزمان والمكان وسائر المقاييس الاعتبارية الأخر، لأن من المحسوس والمعايَش للكثير أن معاملة الناس لفرد معين تتسم بطابع خاص ما دام هو في الحياة فإذا غاب تبدلت المعاملة، ولما كان الطمأنينة والعيش بسلام مما ينشده كل أحد فلا بُدَّ من الابتداء بالإحسان ليُضْمَنْ التبادل.

٦- قال عليه السلام:

احصد الشرّ من صدر غيرك بقلعه من صدرك.

الدعوة إلى ترك الحقد ونبذ ما يكنّه الإنسان من دخائل السوء على أخيه الإنسان، وأحسن طريق لذلك أن ينسى الفرد كل ما يُذكّره بِشَر وما يؤجج نار الضغينة، لأن على الإنسان أن يبدأ الآخرين بالإحسان والفضلِ ليساعدهم على مبادلته إياه وإلاّ لو تصّلب كلٌ واحد ولم يتقدم خطوة نحو الخير لاتسعت الفجوة وكثرت الأحقاد والثارات ولما استقام حال الناس وتعقّدت المشكلات اليسيرة التي قلّما يخلو مجتمع منها مهما كان مستواه الثقافي أو الاقتصادي.

---

(١) العَقِب لغة...الولد، ولد الولد المنجد ص٥١٨ مادة (عقب).

وعليـه، لا بُـدَّ من التغـاضي ليتعلم الآخرون درسـاً عمليـاً؛ لأنه أبلغ في الأداء وأرسخ في الأذهان بينما رفع الشعارات وترديد النظريات الإصلاحية لا صعوبة فيه لأنه قد يصدر أحياناً من الذين لا يؤمنون بتلك الأفكار. وعندئذ لا يكون أيُّ فرقٍ بين صاحب الرسالة في الحياة وغيره، فلا بُدَّ من الالتزام بجانب التسامح وحب الخير.

٧- **قال** عليه السلام:

إذا احتشم[(١)] المؤمن أخاه فقد فارَقَه.

الدعوة إلى الانفتاح في العلاقة الأخوية المبنية على أساس الإيمان، والمحاطة بالتـوازن وعدم الانفلات وكسر الحاجز،بل من خلال إبـداء النصيحة وحب الخير والتصافي ومحض المودة وحفظ الآداب العامة والوفاء، بما يهيئ جواً ملائماً للكلمـة الحرة والرأي الصائب مما ينفع الطرف الآخـر ويقّوم اعوجاجه ويدفع عنه السوء ويوصل إليه الخير، لتكون النتيجة الوصول إلى التكامل المنشود.

وإلاّ إذا سكت وأغضى الفرد عما يراه من اعوجاج في سلوك أخيه المؤمن فقد أنسـلخ من أخوّته وتخلى عنها ولم يرعَ أصول ذلك وما يستوجبه من حقوق والتزامات عليه.

كـما يمكن أن نفهـم من الحكمة: الدعـوة إلى عدم التجـاوز والتفريط في حقـوق الأخـوة الإيمانية؛ لأنـه إذا أزعج الإنسـان أخاه المؤمن فيعنـي ذلك أنه غـير ملتزم بحدود الأخوة وما تفرضه مـن آداب والتزامات وأدناها أن يتجنب حالات الإيذاء.

---

(١) احتشـم: أي انقبض عنه، وترد أحياناً بمعنى الاغضاب بأن يسمعه ما يكرهه فيؤذيه. ظ/ لسان العرب مج١ ص٦٤٥ مادة (حشم)، والمنجد ص١٣١ مادة (حشم).

٨- **قال عليه السلام:**

إذا أَرْذَلَ[١] الله عبداً حَظَرَ[٢] عليه العلمَ.

الدعوة إلى تقدير العلم وأهله فإنه منحة الله تعالى لعباده وهي تدل على العناية والإكرام فإنَّ غير اللائق فكرياً لتحمل العلم -بما فيه من مسئوليات وامتيازات- لا يستحق العلم ولا يناله بل يبقى جاهلاً لان العلم يوجب على متعلمه - مهما بلغ - أموراً وقضايا إن لم يلتزم بها صار العلم مصدر إدانة له؛ إذ قد ضيّع ما أعطاه الله ولم يعمل على وفق المطلوب فيُعاقب بالحرمان، هذا وقد تشاء الحكمة الإلهية أن يُحْرَم شخص مّا من نعمة العلم فيبقى جاهلاً لا يعرف شيئاً لأنه غير مناسب وذلك لسوء تصرفه وهو أمرٌ يختلف باختلاف الأشخاص ولكن الجامع المشترك هو: العمل بما لا يُرضي الله تعالى مهما كانت درجته ونسبته، ويبقى الأمر موكولاً إلى حكمة الله تعالى التي لا ندركها لقصور عقولنا البشرية.

٩- **قال عليه السلام:**

إذا ازدحم الجواب خفي الصواب.

الدعوة إلى التأمل والتريث في الجواب عن أيِّ شيء يُسأل عنه الإنسان، وأنْ لا يتعجّل ولا يرتجل الجواب بل عليه أن يختار الكلمات المناسبة فلا يربك السامع بحشد من الكلمات لا كثير فائدة منها؛ لأن ذلك يورّطه في مطبّات لم يكن قد حسب لها فيضطر للإعادة والتكرار. أو يدخل في متاهات الجدل

(١) أرذَلَ بمعنى جعله رذيلاً وهو (الدُّون الخسيس أو الرديء من كل شيء) ظ/ القاموس ج٣ ص٣٨٤.

(٢) حَظَرَ: منع. ظ/ القاموس ج٢ ص١١.

والمغالطة لإثبات صوابه والتغلب على المقابل، ولذلك مضاعفات سلبية:

أولاً: يمنع نفسه من الزيادة فإنه مادام جاهلاً أمكن الغير تعليمه، وأما إن أبدى علمه بكل شيء منع الغير من ذلك، ويكون ضعيف الجانب لأنه لم يتوفر على معلومات غيره بل بقي جامداً على معلوماته التي لا تخلو من الأخطاء والأغلاط - غالباً -.

ثانياً: يتورط في الكذب، إذ يوجد الكثير ممن يتفادى تسجيل حالة الفشل عليه فيجترئ على الكذب مع علمه بحرمته، أو يتورط في بهتان غيره بما وقع هو فيه تخلصاً من حالة الإحراج فينسب القول بذلك إلى مَنْ لم يتفوه به.

ثالثاً: يُتعب نفسه ويخسر جهده ويضيع عليه وقته بينما لو وازن بين السؤال وتأدية الجواب لكان أنفع.

وعلاج مثل ذلك كله أنه إذا سئل أحدٌ: فَكَّرَ جيداً في السؤال ونوعه ثم يفكر في الجواب المناسب وطريقة تأديته؛ لأن الذهن يحتوي على معلومات كثيرة جداً لا يمكنه الاستفادة منها - في مقام الجواب - إن لم يلجأ إلى التنظيم والتبويب وطريقة العرض المناسب لهذا المخزون الفكري. وإلاّ فيتكلم بما هو بعيد عن جوّ السؤال وذلك من علامات الارتجال والاستعجال وعدم التدبر في عرض المعلومة في المحل المناسب. فلابدّ من التوقي من حالات الفشل والإحراج واللف والدوران في الجواب، بالتأمل والتريّث واختيار المناسب ليحصل على الجواب الصواب. كما أنه يمكن استفادة تنبيه الحكمة لأمر يحدث بين بعض الطبقات ولدى بعض الأفراد وذلك بأنْ يبادر للجواب أكثر من شخص فيقع السائل في مشتبك من الأجوبة وقد يخفى عليه الصحيح منها فيزداد حيرة.

إذن على الإنسان أن يلحظ هذا الأمر جيداً من زاويتين:

الأولى: ما يقتضيه الأدب واللياقة في التصرف مع المسؤول.

الأخرى: لأنه يربك الوضع على السائل فلا يخرج بنتيجة مرضية.

١٠ - قال عليه السلام:

إذا أملقتم[١] فتاجروا اللهَ بالصدقة.

الدعوة إلى استعمال علاج نافع في حالات الحرج الاقتصادي الذي يتعرض له كل أحد إلاّ مَنْ شاء الله وذلك بأن يتفقد هذا الفقير أخاه الفقير الآخر ولو لم يكن من أهل دينه - ما لم يكن في تفقده تقوية لغير المسلم - لأنه بهذا التفقد مهما كان حجمه سيضمن به توسعة رزقه من الله تعالى الذي يحث على إشاعة الخير لإسعاف المحرومين ومعاونة الإخوان لأنه ما من فقير إلاّ ويوجد مَنْ هو أشد منه فقراً فإذا تفقد الفقير ذاك الأفقر، وهذا الأفقر ذلك الأفقر منه وهكذا كلٌّ حسب طاقته وكلٌّ حسب موقعه فحتماً ستتاح للجميع فرصة الحياة وتمشية الأمور وتجاوز الأزمات.

ولو تأملنا شرائح المجتمع المختلفة وعرفنا تعدد الطبقات وتعدد المهن والحِرَف وموارد الكسب ومصادر الارتزاق لوجدنا أن الصدقة أنجع دواء وأحسن حل لمشكلة الفقر التي لا يمكن أن يأتي أيُّ نظام عالمي أو اقتصادي أو سياسي.. بحلول أو لوائح للحد أو القضاء على هذه الظاهرة التي وجدت لعدة أسباب منها اختبار صبر الفقير والتزامه الديني.. ومنها اختبار تعاطف أفراد المجتمع ومعرفة درجة التكامل الاجتماعي لدى كل فرد.. ومنها ومنها.. مما يشكل تركيبة مجتمع كامل، لأنه وبحسب القوانين الطبيعية المعتادة لا يمكن أن تتكافأ الطبقات وإلاّ لما صارت طبقات.

---

(١) أَمْلَقَ: أفتقر. ظ/ القاموس ج٣ ص٢٨٤

وبغض النظر عن هذا التحليل الذي يتفاوت الاقتناع به من فرد لآخر لأنه يمثل مستوى تفكير معين إلاّ أن القرآن الكريم حثَّ على التصدق كثيراً وبمختلف المناسبات وهو ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾(١).

فمنها قوله تعالى: ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَصَدَّقُوا خَيرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُم تَعْلَمُونَ﴾(٣).

وقوله تعالى: ﴿لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾(٤).

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾(٥).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾(٦).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾(٧).

وغيرها من الآيات المباركة.

وقد روي عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وأهل بيته الأئمة عليهم السلام الشيء

---

(١) سورة هود آية (١).

(٢) سورة البقرة آية (١٩٦)، (٢٨٠).

(٣) سورة البقرة آية (٢٨٠).

(٤) سورة النساء آية (١١٤).

(٥) سورة التوبة آية (١٠٤).

(٦) سورة يوسف آية (٨٨).

(٧) سورة الحديد آية (١٨).

الكثير[١] من الحث والتأكيد وسائر شئونها مما يؤكد القناعة بضرورة الالتزام واللجوء إليها وسيأتي ما يتعلق بموضوع الصدقة في كلام الإمام عليه السلام.

١١- قال عليه السلام:

إذا تمَّ العقلُ نَقَصَ الكلام.

قد عُرِّف العقل بعدة تعريفات فمنها:

إنّ (العَقْلُ... جوهر مجّرد يُدرك الغائبات بالوسائط، والمحسوسات بالمشاهدة.

العقل: ما يُعقل به حقائق الأشياء، قيل محله الرأس، وقيل محله القلب.

العقل: جوهر مجرد عن المادة في ذاته، مقارن لها في فعله، وهي النفس الناطقة التي يشير إليها كل أحد بقوله (أنا)... وقيل العقل نور في القلب يعرف الحق والباطل).

العقل: (نور روحاني به تدرك النفس ما لا تدركه بالحواس)[٢].

فالعقل ميزان، من خلال توازن كفتيه يعرف الإنسان صحة أو خطأ ما حواليه من أسس ومبادئ في الحياة، وكذلك يعرف به التعادل الصحيح بين الأشياء المتاح له استخدامها والتنعم بها. ومما أنعم الله تعالى به على الإنسان قدرته على إبراز مطالبه وإظهار أفكاره من خلال (الكلام) فانه قد يُستخدم ويكون

---

(١) انظر: كتاب وسائل الشيعة ج٦ من ص٢٥٥ الى ص٣٣٦. وكتاب صحيح البخاري ج٢ من ص١٢٨ الى ص١٣٦.

(٢) تعريفات الجرجاني ص٨٧. وانظر أيضاً معجم المصطلحات العلمية والفنية. اعداد وتصنيف يوسف خياط. المجلد الرابع من مجلدات لسان العرب ص٤٥٥-ص٤٥٦ ط دار لسان العرب- بيروت. وانظر أيضاً المنجد ص٥٢٠ مادة (عقل).

نعمة تُوصل إلى المراد بأقصر الطرق ولكن إذا أساء المتكلم استخدامه فتَرِدْ عليه مجموعة ضخمة من القضايا السلبية جرّها إلى نفسه إذ لم يقيّد لسانه ولم يلحظ بيانه فيواجه مصاعب عديدة يصعب عليه التخلص منها في كثير من الحالات. فالحث على موازنة الكلام جيداً لأنه ما لم ينطق الإنسان كان حراً، واما اذا تفوه أَسَرَتُه كلمتُهُ فإن كان سعيد الحظ كان إساره مريحاً وإلاّ فيبقى يدفع ضريبة ذلك من سمعته، أمواله، حياته... وكلنا نحافظ على ذلك. إذن يلزمنا مراعاة أطراف الكلام وآثاره وتبعاته... وعندئذ يُضمن - غالباً - عدم المساءلة والمساءة.

١٢ - قال عليه السلام:

إذا حُيّيت بتحية فحَيِّ بأحسن منها، وإذا أُسديت[١] إليك يدٌ[٢] فكافئها بما يُرْبِي[٣] عليها، والفضل مع ذلك للبادئ.

الدعوة إلى حفظ المعروف وعرفان الجميل، وعدم التنكر لَمَنْ بدأ بالفضل مهما اختلفت المستويات لكلا الطرفين أرتقت أم تدنّت. إذ لا بُدَّ من المكافأة والمجازاة وإلاّ لأنحرف المسلم عن الخط الصحيح ولم يطّبق التعاليم الإسلامية التي حرص المرشدون على ترسيخها وتركيزها في الأذهان تحسباً للمستقبل وما يحمله من مشكلات التمرد وتناسي الأصول الصحيحة للحياة الكريمة. فإن الأعداء يتربصون الفرصة وينتظرونها لينشروا أفكارهم المشبوهة التي تساعد على الانحلال والتحلل وأنَّ هذه الالتزامات انما هي مجرد قيود للفرد لا تتماشى والتقدم العصري.

---

(١) أسدى اليه: أحسن.
(٢) اليد تستعمل مجازاً بمعنى النعمة.
(٣) أي يزيد.

كل ذلك يخالف الفكرة الصحيحة التي فطر الله الناسَ عليها، ويساعد على تقوّض الأسس المتينة لبنيان المجتمع المسلم فيتفكك بناء الأسرة والعائلة اذ لا ارتباط يربطهم ولا أواصر تشّدهم ولا أخلاق تحدّهم، فيفعلون ما يشاءون ولكن سرعان ما يواجهون الواقع فيصطدمون أشد اصطدام، وتخيب الآمال لأن النزعة الصحيحة لازالت تعيش في داخله وإن كبَتَها بمظاهر خدّاعة تنأى عنها وتبتعد فعندئذ يطلب العون ولا معين، ويَنشد المساعدة ولا مساعد لأنه تخلى.. فقُوبل بالمثل. أما مَنْ يلتزم درب هذه الحكمة فيضمن - إلى حد كبير - عدم التخلي عنه من الآخرين في مواقف الحاجة ومواطن النجدة لأن الناس ينقطعون - غالباً - عمَنْ لا يتواصل معهم كما دلّت التجربة عليه وهي أكبر شاهد.

فالإمام عليه السلام يؤكد المجازاة بالأحسن ولو على صعيد تبادل التحية وهي السلام ويمكن التوسع في تحديد مفهوم السلام(١) وانها: كل ما يقوم مقامه مما تختلف فيه الأعراف والمجتمعات ولو بالإشارة أو الانحناءة أو بعض الكلمات المقتضبة... فإذا بادر شخص إلى احدها ينبغي الرد عليه بالأحسن.

ويضيف عليه السلام أيضاً أنَّ مَنْ أحسن بشيء - مهما كان - ينبغي جزاؤه بما يزيد ويرتفع مستواه عن ذلك وفي ذلك دعم وتشجيع على المعايشة السِلْمِيّة التي ينشدها الجميع لأنهم يعيشون في ظلها مطمئنين مكرمين. ومع افتقادها يبدأ القلق والخوف من المستقبل الذي يُفْقِد الحياة طعَمها.

وأخيراً يؤكد عليه السلام أنَّ الفضل وطيب الذِكر لَمْن ابتدأ وبَادَرَ صاحبَهُ لأن هذه المبادرة تؤشر عن وجود بذرة صالحة طيّبة تنزع نحو الخير والصفاء والمودة

---

(١) قال الراغب الاصفهاني في المفردات ص١٤٠ (وأصل التحية من الحياة ثم جعل ذلك دعاء تحية لكون جميعه غير خارج عن حصول الحياة أو سبب الحياة إما في الدنيا وإما في الآخرة).

للآخرين.

١٣ - قال عليه السلام:

إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه.

الدعوة إلى العفو عند المقدرة والتسامح، وترغيب إلى إشاعة الوئام والائتلاف، وان ذلك كله يقوم على ركيزة نبذ الأحقاد وعدم متابعة الأهواء خصوصاً وأن الظفر بالعدو أو مطلق الخصم له سيطرة على منافذ التفكير فلا يرى الظافر إلاّ نفسه ولا يسمع إلاّ نداء العاطفة، وأنَّ: هذه ساعة طالما طلبتَها وتمنيتَها فلا تفوّتها وانتصر منه وتغّلب عليه كما تغلّب عليك، لكن ينبغي ترك ذلك والتقدم بثقة إلى التصافي والتسامح والتغافل عن الإدانة مهما عظمت، وبخلاف ذلك يحدث العكس فقد ينتصر عليه حالاً لكنه يندم دائماً لأنّ في هذه الحالات يتدخل الهوى ويحاول التحكم، وهنا يعرف الإنسان نفسه، ومدى تطبيقه للمُثُل، وسيطرته على نفسه، وأيضاً يستطيع الآخرون تقييمه من خلالها لأنها حالات حرجة صعبة.

ولا ينبغي أن يفهم من هذا بأنه تشجيعٌ على الاستسلام والاستخذاء، بل العكس تماماً؛ لأن لحظة الانتصار والظفر مما يتمناها كل مظلوم أو مضطهد، ولكن ليعرف أنه لم يحصل عليها إلاّ بفضل الله سبحانه فلينشغل بشكره وذكره عما تحّدثه نفسه من حالات الغطرسة والتعالي وإظهار الشماتة والتنكيل والتبكيت، وبهذا يكسب رضا الله ويحمي نفسه من النار لو اعتدى عليه بما لم يفعله معه فيكون تجاوزاً وظلماً. ويحميها أيضاً من متابعة الهوى الغلاّب فيكون بطلاً في نظر العقلاء لأنه صَرَعَ هواه ولم يصرعه هواه وقد سَيْطر عليه ولم يسيطر

عليه هواه.

١٤- قال عليه السلام:

إذا وصلت إليكم أطرافُ النعم فلا تُنَفِّروا[١] أقصاها بقِلّة الشكر.

الدعوة إلى الشكر وحُسن المعاملة مع ما ينعم به الله سبحانه على عباده لأن ذلك متواصل بفضله ومنّه إلاّ أن قلة الشكر فضلاً عن عدمه يؤثر سلبياً في إعدام النعمة وتحجيمها بما يتناسب وذاك العبد، لأنَّ الله تكفل برزق المخلوقات، لكن مَن يُحسن التعامل في الأخذ ويكون أليق من غيره يُزاد ويُغدق عليه عرفاناً بحسن تعامله.

وهذه النقطة الوحيدة التي يتفاوت فيها كل المخلوقين مما ندركه بحواسّنا وما لا ندرك، الإنسان والحيوان والنبات والجماد، فكلٌ يعبّر عن شكره بطريقتهِ الخاصة وبذلك يتفاوتون مما يتيح الفرصة للازدياد وقد قال تعالى: ﴿**لئن شكرتم لأزيدنكم**﴾[٢] بما يوضح لنا ميزان التعامل في استحقاق المزيد.

نعم، رزقه مضمون لكن زيادتَهُ مشروطةٌ بالشكر وإدامتِهِ؛ لأنه قد تشاء الحكمة الإلهية اختبار عبد معين من خلال زيادة النعمة فإذا لم يتعامل معها بالمناسب سُحبت منه تدريجياً حتى يشعر بتقصيره، وهذا الأسلوب من أنجح الأساليب لتقدير النعمة من المنعِم والمنعَم عليه.

---

(١) تنفروا: تبعدوا.

(٢) سورة ابراهيم، آية (٧).

١٥ – قال عليه السلام:

إذا هبْتَ[١] أمراً فَقَعْ[٢] فيه، فإنَّ شدة توقِّيه[٣] أعظم مما تخاف منه.

الدعوة إلى زيادة الثقة بالنفس، وترك التردد الذي يؤدي إلى عدم الاستقرار، واهتزاز الشخصية مما يؤثر في اتخاذ القرار؛ لأنه ينبغي للإنسان أن يحسب النتائج ويتوقع للمستقبل لئلا يُفجأ بشيء لم يستعد له، ثم ينّفذ ويعمل لأنه جاء أمراً مدروساً مخططاً له، ولابد ألاّ تثنيه احتمالات الفشل وتوقعات الخيبة وعدم النجاح وتحسبات الندم والملامة، فان كثيراً من هذه الحالات تهزم الإنسان من الداخل ويكون اتكالياً فلا يتعود الاعتماد على نفسه بل يبقى خاملاً يريد من الآخرين حل مشكلاته والقيام بواجباته وأدواره. وسيتحول بالتالي إلى إحباط نفسي لا يشعر الفرد لنفسه أية قيمة يمكنه الركون – من خلالها – إلى ما يقرره. وهذا هو المحذور الذي حذّر منه الإمام عليه السلام بقوله فإن شدة توقّيه أعظم مما تخاف منه، لما يجرّه من تأثير سلبي على شخصية الإنسان.

١٦ – قال عليه السلام:

اذكروا انقطاع اللّذات وبقاء التبعات[٤].

الدعوة إلى موازنة تصرفات الإنسان وأن يفكر ويتأمل جيدّاً فيما ينوي القيام به من أعمال ممنوعة شرعاً أو عرفاً أو قانوناً بكل ما لها من لوازم تترتب

(١) أي خِفْتَ شيئاً.

(٢) (الفاء) جواب إذا –ظرف للمستقبل متضمن معنى الشرط– و(قع) فعل أمر من الوقوع.

(٣) التوقي: الحذر والخوف والتجنب.

(٤) جمع التَبِعة: ما يترتب على الفعل من الخير أو الشر إلاّ أنَّ استعماله في الشر اكثر. يقال «لهذا الفعل تبعة» أي لحوق شرٍ وضرر. المنجد ص٥٩. مادة (تبع).

على ذلك العنوان؛ لأنَّ خلاف ذلك يجعل الإنسان في وضع حرج وأمام مساءلة ومحاسبة عن تصرفاته الشخصية، بينما لو توازن في تصرفاته ولم يتجاوز الحدود المرسومة بحدود دائرته كإنسان، مسلم، ملتزم، متحضر، مثقف، محافظ على سمعته الاجتماعية – فإذا لم يتجاوز – كان آمناً من هذه المساءلة.

ولذا فالإمام عليه السلام يهتف لكل مَنْ يُقْدِم على عمل غير لائق: ان يحسب للأمر حسابه ولا ينساق وراء غضبه، شهوته، رغبته، مصلحته الشخصية، مراهنته... لأنه لا تراجع بعد الآن لالتصاق التهمه والتَبِعَة به مهما كان عنوانه الاجتماعي أو محاولاته لسد الأفواه. والسر في هذا الشياع بالرغم من التكتم هو تجرؤه على حُرُماتٍ لم يكن مأذوناً له بها فكان جزاؤه الفضيحة وشياع الأمر بالشكل الذي لا يخدمه في كثير من الحالات والمجالات.

ومن هذه الدعوة نعرف مدى حرص الإمام عليه السلام على صيانة المؤمن وحفظه عن كل ما يشينه فاستعمل معه أسلوباً يُقِرُ به كل عاقل ويتجنب تبعاته كل إنسان يلتزم بمبادئ، فلابد من أن نفكر ونحسب المردود والمكسب من أي عمل محظور نقوم به، ثم نقارنه مع المردود السلبي من جرائه كالمساءلة الإلهية، أو القانونية، أو الاجتماعية... لنعرف الناتج بأنفسنا.

١٧ – قال عليه السلام:

اُزْجُرْ المسيء بثواب المحسن.

الدعوة إلى التعوّد على إشاعة الإحسان والمداومة على فعل الخير وتعميم سُبُلِه وطرقه وموارد الانتفاع به لكل أحد لما يتضمن هذا التصرف من كسبٍ للمعتدي لأنه سيرتدع عن عمله عندما يقابله خصمه بالإحسان ولو لمرات متعددة حتى يُؤّثر فيه عمل الإحسان وفعل الخير لأنه بالتالي يؤثر ولو نسبياً.

وأيضاً فيه كسب للصديق لأنه عمل يحبّه ويرضاه مما يجعله أكثر تمسكاً وتآخياً واحتراماً وهذه أمور ينشدها الجميع أو الأغلبية في صداقاتهم لينتفعوا من ورائها مادياً أو معنوياً .

وأما على خلافه فالخسارة الفادحة حتمية لأنه موقف حساس تتغلب فيه العاطفة والعصبية والمنافع والأطماع. فلا بُدَّ من أن نبقي الطريق مع الله سالكة لأننا ننتفع من خلالِهِ كثيراً.

والالتزام بهذه الدعوة يحقق مكاسب مربحة على صعيد الحياة الاجتماعية لمن يهمه إصلاح المجتمع وتقليل فرص الفساد والتخريب فيه ومنه. وبالطبع الإمام عليه السلام في مقدمة المهتمين بذلك ولنكن معه في هذه الخطوة الرائدة.

١٨ – قال عليه السلام :

أزرى[١] بنفسه مَنْ استشعر[٢] الطمع، ورضي بالذل مَنْ كشف عن ضُرِّه، وهانت عليه نفسه مَنْ أَمَّرَ عليها لسانه.

يحِّذر عليه السلام من عدة أمور:

١ – الطمع، وهو الحرص على الشئ فإنّ مَنْ تكن عادته في الحياة الحرص على تحصيل كل شيء وَاجَهَ في سبيل ذلك المهانة والمقت لأن ذلك لا يلائم الآخرين فيُزجر ويُحتقر. والسبب في ذلك عدم سيطرة الإنسان على رغباته. فينبغي أن يتعود المسلم القناعة والاكتفاء بالميسور والسعي وراء المفقود فيكافح ويحصل عليه بطبيعة الحال وهو أمر مستساغ جداً لأنه مقتضى الطموح.

---

(١) أي عابها ووضع من حقها.

(٢) أستشعر: لبس الشعار وهو ما يلبس تحت الثياب على الجسد مباشرة. المنجد ص ٣٩١ مادة شعر (بتصرف).

والمعروف لدى كل عاقل أن الكرامة والمحافظة على الرصيد الاجتماعي أثمن من كل شيء ولذا نلاحظ الدفاع عن ذلك حتى بالنفس والمال العزيز. فهو أمرٌ غريزيٌ فلا بُدَّ أن لا يضيعه الإنسان نتيجة حرصه على تحصيل ملذة أو مراد.

ويحذر عليه السلام من:

٢- الكشف عن الضر.. وهو الشدة والضيق وسوء الحال كما هو معروف؛ لأن ذلك يؤدي إلى الامتهان من قبل الآخرين لاطلاعهم على واقع الحال مما لا يجعله في الدرجة الأولى في الترتيب الاجتماعي سواء أكان المكشوف عنه الضر في البدن أم في المال. فأن الإنسان عموماً وبحسب طبيعته يطغى فينسى نفسه، وإن من الممكن جداً أنْ يصاب بمثل ذلك فيعمد إلى التشفي إن كان حاقداً أو يحدّث الغير ممن لا يُرغب باطلاعهم -عادة-؛ لأن ذلك من الأسرار الشخصية، فاللازم عدم كشف الضر، والصبر على البلوى مع السير في طريق حلِّها بالسبل الصحيحة لأن الإنسان في الدنيا يُمتحن ليظهر جوهره ويتبين معدنه فيُعرف حاله، لانقسام الناس -عادة- إلى جيّد ورديء، مؤمن وغير مؤمن، صبور وجزوع، مَنْ يتجاوز العقبات بسهولة ومَنْ يتوقف عند أول عَقَبَة،... إذاً نحن بحاجة إلى اكتشاف المواهب وكشف الحقائق لنتعامل مع كلٍ وفق المناسب واللائق لئلا يضيع حق أحدٍ.

ويُحذر عليه السلام من:

٣- اللسان، وهو آلة النطق والذوق والبلع أو تناول الغذاء[1]. ولا طريق للنطق واصدار الأصوات المفهومة إلاّ من خلاله فكانت المخاوف منه والمحاذير مجتمعة من جرّائه لئلا يفلت عن وثاقه ويكون المحذور. والذي يتشكل بأشكال مختلفة باختلاف الأشخاص والحالات الزمانية والمكانية.

---

(١) المنجد ص٧٢١. مادة (لسن).

ولـذا قد ورد الحـث الأكيد الكثير على ضبطـه وتقييده بضابطـة: مراقبة الله تعـالى ومراعـاة الآخريـن وإلاّ فيؤدي بصاحبه إلى أصعـب المواقف وأحرج الحالات.

فلـذا نجـده عليه السلام يؤكـد أنَّ مَـنْ يـترك لسـانه ينطـق بـما جرى عليـه وبما اشـتهى فنفسه عليه هيّنة غير محترمة وإلاّ لانعكس ذلك الاحترام والصون على تصرفاته.

١٩ – **قال** عليه السلام:

ازهد في الدنيا يُبَصِّرْكَ الله عوراتِها ولا تغفل فلستَ بمغفول عنك.

الدعوة إلى الحذر وأخذ الاحتياطات اللازمة لخطر يحدق بالإنسان –مهما كان– فينبغـي التيقـظ والعمـل دائماً عـلى مدافعته لئلا يأخذ فرصتـه في التمكن من الإنسـان والاسـتيلاء عليه.. وذلك هو الاغترار بالدنيـا والوثوق بوعودها وزخرفهـا ومـا تزينّه مـن ملاّذ وبهارج تخطـف الأبصار بل القلـوب أيضاً، ولا يقتصر ذلك على مجال أو وسـيلة بل يغترّ كلٌ بحسـب توجهـه فلا ينجو إلاّ مَنْ اعتصم بالله فعصمه وحماه منها لأنها مزلقة تؤدي إلى الهاوية، ولا يُعلم لها منتهى أو غاية فالمدى بعيد، وقد يندم الإنسان حيث لا ينفعه فيتركه الشيطان عندما لا ينفعه ترُكه، إذ لم يتركه في الوقت الذي يمكنه التدارك، ولم يخلّصه كما كان يغريه في الدنيا...

ولذا يشـعر الإنسان بالندم والذلة والانكسار والفشل خصوصاً اذا رأى مَـنْ اعتصم بـالله فعصمه ويرى نجاته فيعضَّ إصبعه من النـدم وما هو بنافعه؛ لأن الآخرة دار جزاء ولا عمل، والدنيا دار عمل ولا جزاء.

والمتأمل في دعوته عليه السلام هذه يجده يدّله على أمر خفي وهو: أنَّ الزاهد في الدنيا والتارك لها والمعرِض عنها والمتجافي منها ومعلِن الحرب ضدها[1]، يجد عورات وعيوباً ومفاسد ومساوئ ومخازي، مما لم يكن يتوقع فيحمد الله تعالى أنْ نجّاه وأبعده عن ذلك كله. وما ذلك إلا بمتابعة النظام الصحيح للحياة الفُضلى التي أرادها الإسلام للمسلمين، ولأنه عرف أنه مراقَب مرصود لا يُغفل عنه فلا يمكن التستر لأن المراقِب مطّلع على السرائر.

وهذه الحالة تجعل من الإنسان، إنساناً تقياً ورعاً مبتعداً عن الحرام والشبهات وهو ما يسعى لتحصيله العاقل بشتى الطرق ومختلف الوسائل لأنه الطريق المُرضي والمَرضي.

٢٠- قال عليه السلام:

الاستغناء عن العذر أعزّ من الصدق به.

التنبيه إلى أمر يكثر استعماله في المجتمع وهو كثرة الاعتذار مع أن الفرصة كانت مواتيه لأن لا يحتاج الإنسان إلى ذلك بل يبقى عزيزاً كريماً لا يشعر بحاجته إلى إصلاح شيء تجاوز فيه

ولو تنبه الإنسان لذلك و وعى هذه الفكرة جيداً فسيساعد-حتماً- على تقليص حالاتٍ سلبية كثيرة في المجتمع من حواليه: خلف الوعد، عدم الصدق، الاحتيال، التجاوز على حق الغير، الاعتداء وعدم احترام الغير، عدم

(١) بما انها مجرد لَذات ومتابعة الهوى، وإلاّ فيمكن للعامل أن ينعم ويستفيد فيها لنفسه ولآخرته بلا تقديم خسائر تذكر وذلك لأنه أتبع برنامجاً أعّده له الله ورسوله والذين آمنوا، فنجى وجاوز الازمة بسلام. وقد نقل المفسّر الرازي عن سعيد بن جبير أنه قال: (الدنيا متاع الغرور إذا ألهتك عن طلب الآخرة، فأما إذا دعتك الى طلب رضوان وطلب الآخرة فنعم الوسيلة). التفسير الكبير للفخر الرازي ج٢٩ ص٢٣٤ ونقلها عنه في تفسير الكاشف ج٧ ص٢٥٢.

الأمانة...

مما يكثر حدوثها في مختلف المجتمعات إلاّ ما قلَّ حتى عُدنا نستغرب له لو سمعنا بأنَّ إنساناً في مجتمع ما يلتزم بمواعيده أو لا يتجاوز على حق غيره أو يصدق في تعامله أو لا يحتال، مما تفتقده بعض المجتمعات ولا نتجاوز لو قلنا منها المجتمع المسلم، وللأسف، مع اننا محصنون حيث بُرمجت حياتنا العملية -خاصة- ببرنامج دقيق يضمن لكل الأطراف حقوقها المعنوية والمادية، وذلك من خلال النصوص الشرعية، ولكن لما تراجع البعض نتيجة الانشداد والإعجاب والإصغاء إلى مَنْ لا يستحق ذلك فآمنوا بوعود كلامية وهمية وتركوا ضمانات فعلية حقيقية، فحلّ بنا ما نرى، ألا يسمعوا - هؤلاء - قوله تعالى: ﴿**وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقًا**﴾[1] وهم يرون بعقولهم وعيونهم صدق وعده تعالى انه: ﴿**لا يُخْلِفُ المِيعَاد**﴾[2] لأن كل ما حول الإنسان يؤكد هذه الحقيقة.

فيرى الإنسان المسلم ماذا حلّ ويحل بالكافر والمنحرف عن طريق الله تعالى.

كما يرى الإنسان الكافر ماذا يتم ويحصل للمسلم الذي حسُن إسلامه بل ومَنْ لم يحسن، لأن نِعَم الله تعالى، ودفع الله تعالى، وتدبيره، وتسديده، وتهيئته، كل ذلك مما يعجز عنه عقل عاقل بل وغيره من وسائل العصر الحديث الموصوفة بالدقة. وذلك لأمر بسيط جداً لأنه ترك سرّ ذلك إليه لا يعلمه غيره مهما كان فأننا نشاهد ونسمع ونقرأ عن اختراعات متطورة سواء أكان في بناء البشرية أم في تدميرها إلاّ أننا علمنا في الوقت ذاته عجز المخترعين عن إيجاد سر الحياة

(١) سورة الجن آية (١٦).

(٢) سورة آل عمران آية (٩).

وعن إعطاء حالة تشابه في مفعولها الروح؛ لأن ذلك مما اختص الله تعالى به. وهذا كله يدل على عظمته وقدرته مما يدعو إلى الإيمان بالله وعدم الابتعاد عنه.

فالمقصود من هذه الحكمة دعوة الإنسان إلى أن يستغني عن العذر والاعتذار بالالتزام وعدم التفريط لكي يبقى في موقع الرفعة فيحافظ على عزته. وهو أمرٌ يحرص على تحقيقه كل عاقل.

٢١ - قال عليه السلام:

استنزلوا الرزق بالصدقة.

الدعوة إلى أمر اجتماعي بالغ الأهمية حيث يكفل حاجة شريحة ليست بالقليلة في أغلب المجتمعات وذلك هو الصدقة، وطبيعي أن تستفيد منها شريحة الفقراء والمعوزين.

والصَدَقة: عطية يُراد بها المثوبة لا المكرمة[١]. وبتعبير آخر: ما يخرجه الإنسان من ماله على وجه القربة[٢].

فإذا عرفنا أنَّ الصدقة تعطى طلباً للأجر والثواب وتقرباً لله تعالى فسنعرف أمرين:

الأول: أنْ لا يصاحبها استعلاء وامتنان على المدفوع له لأن الدفع كان لأجل فائدة ينتظرها الإنسان وهي توسعة الرزق، وحالة الاستعلاء تنافي ذلك - تماماً - بل يلزم التواضع وعدم إشعار الآخذ بكل ما فيه حساسية بحيث تخجله ويحس بوضعه المتدني إزاء غيره فتُحْدِث له عقدة يسعى للتخلص منها ولا نضمن صحة الطريق الذي يسلكه للتخلص، فقد يستولي على أموال الغير

(١) المنجد ص٤٢٠. مادة (صدق).

(٢) المفردات في غريب القرآن ص٢٧٨.

بـدون وجه صحيح كالسرقة والاحتيال والقتـل والغش و.. و.. فنخسر بذلك عنصراً صالحاً - بحسب طبيعته - ضاع منّا بسبب حب الأنا والتسلط الذي يجر الإنسان إلى مواقف غير محمودة.

الثاني: أن الله تعالى الذي يجزي فلا نتوقع الشكر المكافئ من الآخذ وإنما كان الدفـع توقعـاً لزيادة الرزق، فـإذا عرفنا أننا الرابحون قبل الآخذ فسـيزداد العطاء ونسيطر - نسبياً - على حاجة الفقراء وهذا أمر يحرص عليه الإمام عليه السلام بل كل المصلحين بمختلف مراتبهم؛ لأنه يسـد ثغرة كبيرة من الصعب السيطرة عليهـا لـولا (الصدقة)، وفي المقابـل يضمن عليه السلام للدافع المتصـدق زيادة الرزق وسـعته، وهذا ما يسعى إليه الجميع؛ لأن شغلهم في الحياة الدنيا توسيع مصادر التموين وتكثير الربح فقد هيأ الإمام عليه السلام ذلك ببدل يسير؛ حيث أن الدافع إنما يدفـع القليل - مهما كثـر - إزاء عطاء الله تعالى، إذن فالرابـح هو المتصدق أكثر من الآخذ الفقير.

فإذا توفرنا على هذين الأمرين كان من الممكن أن تسـخو نفوسـنا بالدفع لنتشـل شريحة كبيرة في المجتمع من واقع الفقر ولنسـاعدهم على تكوين وضع مناسـب فيتسـاوى الجميع في العمل وإن لم يتسـاووا في الرزق لأن ذلك بتقدير الحكيم الخبير.

وعندئـذ نضمـن عـدم الفتنـة بكل أشـكالها: السرقـة، القتـل، الاحتيال والتزويـر، أكل أمـوال الغـير بـلا وجـه شرعـي، فـإن كل واحـدة مـن هـذه ونحوها كفيل بإسـقاط الإنسـان في الهاوية وتعريضه للمسـاءلة الإلهية وهذا ما نتعوذ منه.

٢٢- قال عليه السلام:

أشد الذنوب ما استهان به صاحبه.

التنبيه على أمر كثيراً ما يصدر من الناس عامة ولا يقدِّرون عواقبه السيئة، وذلك هو الاستهانة بالذنب فان الإنسان قد يذنب؛ لأن المعصومين من البشر معدودون وهم: الأنبياء والأئمة الاثنى عشر مضافاً إلى الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام ومَنْ عداهم فمعرّض للخطأ وارتكاب الذنب.

فإذا صدر منه ذلك وتاب منه واستغفر، فتشمله رحمة الله تعالى ويسعه عفوه ومغفرته، أما إذا استهان ولم يعتبره ذنباً يستحق الاستغفار؛ لأنه لم يدرك أنه تجاوزٌ وتقصيرٌ ينبغي التراجع عنه وعدم الإصرار عليه، على أساس أن غيره يذنب ما هو أكبر من هذا وما هو أشد ونحو ذلك من المقايسات التي ورد النهي عنها؛ لأن كل ذنب - مهما صغر - كبيرٌ إزاء الخالق تعالى، بعدما انعم على الإنسان بالوجود وبما يستفيد منه في الحياة من حيوان أو نبات أو جماد فلا يناسب أن يقابل ذلك بالجحود والتضييع وعدم المبالاة؛ لأن ذلك مما يسبب - حتماً - الحرمان والضياع وهو ما يخشاه كل عاقل، - فإذا أصر العبد على ذنبه واستهان به - فتترتب العقوبة المضاعفة.

إذن علينا ان نَعِي هذا التحذير جيداً فنستغفر من ذنوبنا ولا نُصرّ عليها وكأنها أمر نعتز به، إنما ذلك من تسويلات الشيطان وتصويرات النفس الأمّارة بالسوء.

وإنّا جميعاً نعلم أنّ كل تجاوز ومخالفة يُعاقب عليهما في القوانين السماوية أو الوضعية إلاّ أن يستسمح بعدما يشعر الإنسان بسوء عمله، فتعطى له فرصة تصحيح خطئه لكن ذلك على نطاق محدود مثل: الجاهل الذي لا يعلم

بالتشريع ولم يسعه التعلم بحكم طبيعة وضعه الاجتماعي أو الجغرافي وهو ما يسمى بـ(القاصر) ومَنْ عداه فيترك الأمر لتقدير المقنِّن والمشرِّع فإن رأى أنَّ من المصلحة والحكمة العفو عنه، عفا عنه ليكسبه لصف المبدأ الذي يتخذه ويدعو اليه، وإلاّ فيطبق عليه القانون بحذافيره ليرتدع هو وغيره.

والذنْب لغة: الجُرم[1]، ويستعمل في كل فعل يُستوخم عقباه اعتباراً بذَنَب الشيء ولهذا يسمى الذّنْبُ تَبِعَةً اعتباراً لما يحصل من عاقبته[2].

ومن هذا التعريف اللغوي يتضح أن الذنب حالة تأخر تحصل عند الإنسان ولا يشعر بذلك الكثير؛ إذ ذَنَبُ الحيوان يكون في مؤخرة جسده كما هو معروف وقد أُخِذَ الذَنْبُ من ذلك كما عرفنا، ولا أحسب أن عاقلاً أيةً كانت ثقافته يرضى بأن يكون بهذه الحالة التي تعتبر جُرماً يعرِّضه للمساءلة والمحاسبة كما تعتبر مؤشراً على تأخره في مستوى تفكيره وعمله، لأن الله تعالى عندما خلق الإنسان أختار له أحسن مستوى إذ جعله عاقلاً فإذا لم يحافظ على ميزان عقله الصحيح نعرف أنه متأخر عن هذا المستوى المتقدم.

إذن فنخلص إلى لزوم الحذر من الوقوع في الذنب وإذا ما حصل ذلك فيلزم الاعتراف والاستغفار وعدم الإصرار عليه لأنه يشكِّل حالة سلبية.

٢٣- قال عليه السلام:

إضاعةُ الفرصةِ غصةٌ.

التنبيه لأمر يهم كل أحد لأننا نتسابق في مضمار الحياة لتحقيق الأهداف والأماني والغايات وربما يتجاوز البعض فيحاول ويسعى لتحقيق ما لا رخصة

---

(١) المنجد ص٢٣٩ ،مادة (ذنب).

(٢) المفردات في غريب القرآن ص١٨١.

فيه، كل ذلك تحقيقاً للذات.

لكن قد تفوت على الإنسان مجالات لتحقيق الذات والإبداع كثيرة وكان هو من أسباب الفوات فالإمام عليه السلام يرّكز على هذا الشأن حتى لا يبقى الإنسان متخلّفاً عن ركب الحضارة والتقدم أو عن مسار أقرانه ثم يندب حظه، أو أن هذا هو (المقسوم) له من الله تعالى.

نعم، كل أحد له (مقسوم) لكن الله تعالى لم يلجئنا إلى عمل أو اختيار أي شيء مهما كان بل ترك الأمر واضحاً جلياً لنختار وفق قناعتنا ورغبتنا بلا مؤثر خارجي لعلمه تعالى بوجود شريحة اجتماعية تحمّل نتائج فشلها في الحياة وعدم تحقيق الأهداف: الآخرين، ولو بأنْ يتظاهروا بالتسليم لأمر الله تعالى مع أنه فسح المجال وهيّأ السُبل للجميع ولم يختص أحداً بفرصة على حساب غيره بل أعطى كلاً حسب كفاءته وانسجامه مع الحالة الصحيحة التي تدعم مسيرة الحياة.

فعلينا جميعاً أن نتهيأ لما نريد وذلك ببذل الجهد المطلوب لتحقيق المراد وإعداد السُبل الكفيلة بإنجاز الغرض. لئلا نكون مقصرين وتفوتنا فرص الحياة فتبقى غصة ذلك مدى العمر، كما علينا أن نحسن استخدام العقل الذي وهبنا تعالى لنضمن الحصول على أفضل النتائج.

٢٤- قال عليه السلام:

اعتصموا[١] بالذمم[٢] في أوتادها[٣].

يبين عليه السلام في هذه الحكمة أمراً يحتاج إليه غالب الناس. فإن الإنسان محتاج إلى سند وقوة وضمان يرتكز عليه عند الحاجة وكانت هذه الأمور كثيرة شائعة في زمنه ولم تقل أهميتها في زمننا إلاّ نسبياً للتفكك الأسري الحاصل في بعض المجتمعات خصوصاً المتمدنة والمنشغفة بحب التطور السريع المفاجئ والتي تحسب كلَّ دعوة إلى التروي والتمهل وأداً لفكرتهم وعرقلة لخطواتهم.

وهذه الحاجة تحتم على الفرد أو المجتمع أن يتكتل ويجتمع مع الآخرين. وهؤلاء - الآخرين - ليسوا على نسق واحد ولا نسج متماسك، فقد يلتجأ الإنسان إلى مَن لا عهد عنده ولا صدق ولا وفاء ولا إيمان بكل هذه المبادئ فيخسر نفسه؛ لأنه أما أن يفشل في محاولته أو يؤثر ذاك الطرف فيه، وفي كلتا الحالتين يترك الأمر ثقلاً على نفسيته وتوجهه الفكري.

فهي دعوة إلى اختيار الجهة المناسبة ليكون الاستناد إلى ركن وثيق ومأوى أمين، وذلك محافظة على الأخلاق الصحيحة والمبادئ الراسخة في النفوس لئلا تتأثر بالاحتكاك خصوصاً إذا أخذنا بنظر الاعتبار ما يفرضه الالتجاء والتعاهد من تبعية فكرية، ثقافية، سياسية، اجتماعية، وحتى اقتصادية فيكون المعاهِد المعتصم تحت الشعاع لا يستطيع التغيير أو التغير. فنخسر المبادئ الصحيحة

(١) أعتصم من الشر والمكروه: التجأ وأمتنع. المنجد ص٥١٠. مادة (عصم).

(٢) الذمم جمع الذِمَّة: الأمان والعهد. الضمان.. ويقال انت في ذمة الله أي في كنفه وجواره. المنجد ص٢٣٧. مادة (ذم).

(٣) أوتاد جمع الوَتَد: ما رُزَّ -أي ثُبِّت- في الحائط أو الأرض من خشب ونحوه. المنجد ص٨٨٥. مادة(وتد).

وهـذا أمر صعـب جداً لأنه يؤدي إلى انهيار في الأخلاق مما يعني التنازل وعدم الأهمية لما نشأنا عليه من أخلاق صحيحة طيبة.

وغالباً ما يحتاج إلى التعاهد الغريبُ، قليلُ العُدة والعدد، ضعيفُ الجانب وإنْ كثر عـدده أو عُدته، فإذا لم تلاحـق هؤلاء التعاليمُ الإسـلامية فيعني ذلك ضياعهم خصوصاً وأنهم يعانون من أزمات نفسية تجعلهم مهزوزي الشخصية قليـلي الإرادة فينصاعون لما يفرض عليهم مـن شروط فيكون المقابل للحماية – أحياناً – هو التخلي عن الأخلاق والمبادئ وهو أمر خطير جداً يُخشى من عواقبه الوخيمة على المسـلمين كافة فينبغي حُسـن الاختيـار والاعتصام بأهل الصدق والأمانة والوفاء لو دعت الحاجة الملحة بحكم الظروف إلى ذلك الاختيار.

كـما يمكن أن نستشـف مـن الحكمة بعض مـا ينفع في هـذه المرحلة التي كثر الاغتراب فيها، لتبرز قضايا ما كانت على السـاحة بشكلها الواضح، ومن تلـك القضايا: الالتزام بقانون بلد اللجوء والإقامة حيث يفترض قانونياً عندما يمنح حق الدخول والإقامة لشـخص أن يحترم القانون ويطبقه مادام في الحدود الدوليـة للبلـد وبعكسـه فيتعـرض للمسـاءلة أو المعاقبـة، فيلاحظ أن مـا قاله الإمام عليه السلام، يمكن تطبيقه على هذا المورد الجديد لنتعرف على أن الإنسـان ليس له أن يتعدى المسموح به؛ لأن تأشيرة الدخول أو اللجوء أو بطاقة الإقامة ونحو ذلك من الوثائق الرسـمية الممنوحة تسـاوي الذمم التي عبر بها عليه السلام، فلابد لمن يريد الإفادة منها أن يكون دقيقا في تعامله معها فلا يتجاوز ولا يزوّر ولا يخالف، ولـو لم يرق له الحال فيمكنه الاسـتبدال ببلد آخر، وماعـدا الالتزام فيعد ناقضاً للذمة وهو مالا يجوز ولا يسوغ شرعاً وقانوناً وذوقاً.

٢٥- قال عليه السلام:

الإعجاب يمنع من الازدياد.

الإعجاب مشتق من العُجْب وهو لغة: الزهو، الكِبْر. والزهو: الفخر، التيه والكِبْر: الظلم[١]، وبحصول أحد هذين الأمرين يقصر الإنسان عن تحقيق المزيد من الطموحات وعن تعديل مستواه الإنتاجي والاجتماعي لأنه تصوَّر في حالة معينة أنه حقق ما لم يحققه غيره مما يعني التقدم فهو غير محتاج إلى المواصلة والعطاء.

وهنا يكمن الخطر لأن روح التقاعس متى سرت في جسد الإنسان سوف تُثْنِيه عن تقديم الأفضل أو البحث عن الأفضل لظنه أن ما أنجزه هو الأفضل فلا داعي لاستكشاف غيره.

ولما كانت مسؤولية تنظيم دور الإنسان في الحياة من المسئوليات المنوطة بالقادة المصلحين الموجهين، نجد أن الإمام عليه السلام يشير إلى أهمية الطموح والتطور والمواصلة وبذل الوسع في إيجاد المزيد وعدم الاقتصار على المنجزات السابقة.

فيريد أن يجعل حالة تسابق مشروع وشريف لدى الأفراد إذ كثيراً ما يندفع الفرد إلى الإنتاج إنْ شعر بمساواة غيره له فيحاول التقدم، وأيضاً يندفع إنْ وجد التشجيع سواء المعنوي أو المادي.

واعتقد أن هذه المتابعة من الإمام عليه السلام تعتبر دافعاً ومحفزاً نحو الأمام ليتطور وضعنا ومِن ثَمَّ الوضع المحيط بنا فننجح في خلق جوّ حماسي ناتج، مثمر، يتقدم فيه البعض على البعض الآخر بمقدار ما ينجزه وبما يرفد به غيره

---

(١) المنجد ص٤٨٨، ص٣١٠. مادة (عجب) و (زها).

من خدمات تُحَسّن وضع المواطنين له.

ولعل مما يشير إلى هذا التسابق والجو للحماس ما ورّد في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من النصوص التي تؤكد على هذا المعنى ضمن إطار قضيتها الخاصة.

فمثلاً قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُم عِندَ اللّهِ أَتقَاكُم﴾[1] الذي يثير في الإنسان حالة الارتقاء والسمو بنفسه وسلوكه واختياراته وانفعالاته ضمن حالة التقوى التي يهتم بها الكثير بل الغالب إلاّ أنها متفاوتة الدرجات فكلٌ بمقدار جهده وما يتوافر عليه من عوامل ضبط النفس - بمفهومها العام الشامل لمصاديق متعددة متكثرة - يحصل على درجة مناسبة.

ومثلاً ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي)[2] الذي يحفز نحو حالة تسعد وترضي كل الأطراف وتبعث على ارتياح النفوس لأن الإنسان المسؤول عن إدارة البيت إنْ سعى لمعاملة عياله -سواء الزوجة أو الأولاد ذكوراً وإناثاً أو غيرهم ممن يعاشر- معاملة طيبة حسنة سيحصل على مبادلة مرضية -إلا ما شذّ وندر من المبتلين بأهل سوء- وإذا حققنا هذا العامل المهم في حياة الرجل ضمنّا حالات تقدم في مسيرة الحياة كثيرة، لاستقراره النفسي وارتياحه العائلي فيكافح من أجلِ تحقيق الأفضل وهذا هو الهدف. إذن تلتقي كل التوجيهات الإصلاحية ضمن خط تحسين الإنتاج وتقديم الأفضل.

ونحو هذين المثالين غيرهما أيضاً مما يكون حاثاً على كيفية معيّنة تتكفل

(١) سورة الحجرات. آية (١٣).

(٢) وسائل الشيعة ج١٤ ص١٢٢. أقول: يمكن قراءة الحديث بصيغتين، الأولى: المتقدمة. والأخرى: خَيّركم خَيْرُكم لأهلِهِ وأنا خَيْركم لأهلي. فلاحظ.

بجانب من جوانب الحياة الاجتماعية سواء الفردية أو العائلية.

ومما ينبغي فهمه أن العُجبَ يختلف عن العَجَب، فإن العَجَب: (انفعال نفساني يعتري الإنسان عند استعظامه أو استطرافه أو إنكاره ما يَرِدُ عليه)(١) فهو أمر طبيعي، بينما العُجب أمرٌ مذموم لأنه يُعوّد الإنسان على ما لا ينفعه بل يحّجمه ولا ينمّيه وهو مع ذلك يخسّره الكثير من الأصدقاء أو الإبداع.

فلذا ينبغي للإنسان العاقل إذا دخله شيء من العُجب أن يتعوذ بالله تعالى من شر الشيطان والنفس الأمّارة بالسوء، ويواظب على ذكر الله تعالى، ويتذكر أعمال غيره ومنجزاته ليعرف أنه سوف يكون كغيره. وأهم شيء في معالجة داء العُجب أن يتواضع للغير لتتعادل لديه الكفّتان: كفة الإعجاب بالنفس، وكفة استصغار المنجزات وأنها بجنب عظمة الله تعالى وما خلقه شيء ضئيل.

فالدعوة إذن إلى الجد والاجتهاد ومواصلة العمل لأنّ حالة الرضا عمّا أنجز مع التكاسل عن أداء المزيد تؤثر في خفض معدل الإنتاج ونوعيته وهو ما يضر مرافق الحياة كافة، لأن كل فرد في المجتمع هو عضو مساعد على تنمية روح الحياة والتفاعل فتعمر الأرض وتدوم الحياة.

٢٦- قال عليه السلام:

أعجز الناس مَنْ عجز عن اكتساب الإخوان، وأعجز منه مَنْ ضَيَّعَ مَنْ ظفر به منهم.

الدعوة إلى المحافظة على العلاقة القائمة بين أفراد المجتمع والتي تسمى (الصداقة) وهو معنى له مدلوله الخاص المشتق من الصدق في المشاعر،

---

(١) المنجد ص٤٨٨ مادة (عجب).

والمعاشرة، والمواساة، والارتباط؛ لأن الإنسان قد يقيم علاقة مع إنسان آخر لكنها لا تعدو أكثر من كونها تعارف تم بين اثنين يؤطره وجود المصلحة وهي في ذات الوقت عمود العلاقة ولذا نرى كثيراً ما تفشل علاقات اجتماعية كانوا يبالغون في وصفها بالأخوة والصداقة الحميمة والحب و.. و... إلاّ أنها أول ما تعرضت لحالة اختبار فشلت ولم تقف صامدة بوجه المصالح لتجعل العلاقة وما تحتمه من وفاء وإخلاص وتضحية فوق كل مصلحة. ولعل من أسباب ذلك هو الانخداع وعدم الانتقاء المناسب للأصدقاء.

فهي دعوة لأمرين يحتاج إليهما المجتمع كثيراً لأنهما يساعدان على تكميل نواة المجتمع الصالح، إذ بدونهما يعوزه الكثير فلا يكون المجتمع متكاملاً:

الأول: الانفتاح على إقامة علاقات اجتماعية مفيدة لما في ذلك من مكاسب روحية ومادية، أخروياً ودنيوياً: فإن الإنسان قد ينفتح على صديقه فيفضي بهمومه وشجونه فيشعر عندئذ براحة نفسية، وقد ينصلح بصلاح صديقه لأنه تأثر به فاستفاد معنوياً وروحياً فسمت روحه وارتفع عن الحضيض وهو مكسب مهم في تاريخ العلاقة قد يعجز عن تحقيقه الكثير وهو إذا تحقق يحوز على رضوان الله تعالى ورضاه وهو غاية ما يتمناه الإنسان المؤمن في حياته وعلاقاته. وقد ينتفع معه بشركة في عمل أو غير ذلك في مجالات الاستثمار والعمل فيستفيد من جراء إقامة العلاقة مادياً فيتحسن وضعه المادي والاقتصادي والاجتماعي.

الثاني: المحافظة على بقاء العلاقة وإدامتها بما يضمن وجودها وتركيزها حتى تدوم المحبة والألفة لتكون قرابة وقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام أن (صحبة عشرين سنة قرابة)[1] وما ذلك إلاّ لعمق العلاقة التي مرت بمختلف الأحوال التي تُظهر الإنسان الصديق على واقعه ويُعرف معدنه.

---

(١) تحف العقول ص٢١٤، ط النجف.

فلا بد من الوفاء للأصدقاء والإخلاص معهم فلا تكون العلاقة مربوطة بالمصالح المؤقتة بل لتثمر ما هو أنفع وهو تكثير عدد الإخوان الذين يحتاج إليهم الإنسان بحسب طبيعته فيتكثر بإخوانه ويتعزز بهم وينتصر بهم ليشعر بالاطمئنان والراحة النفسية من هذه الناحية وهي مهمة جداً.

ومن استعمال الإمام عليه السلام كلمة (الإخوان) بدلاً من (الأصدقاء) نعرف السّر وراء الاختيار فإن الأخ هو (مَنْ جمعك وإياه صُلب أو بطن)(١) ثم استعمل في الصديق الذي لا يرتبط به في صُلب أو بطن وإنما ربطتهما معانٍ سامية تقيّد كلٌّ منهما بها فأخذت بهما إلى حيث الانفتاح والانشداد والحب والوفاء فيجد في لقائه وصحبته متنفَّساً من الهموم المحيطة به فيرتاح إليه.

٢٧- قال عليه السلام:

اعقلوا الخبر إذا سمعتموه عقل رعاية لا عقل رواية فإنّ رواة العلم كثير ورعاته قليل.

الدعوة إلى التأمل والتدبر عند نقل الأخبار وخصوصاً تلك الواردة عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الكرام عليهم السلام لأن الهدف الأسمى الذي لا بُدَّ من السعي نحوه هو الاستفادة العملية من الأخبار لا مجرد الحفظ والترديد بل مضافاً للحفظ والترديد يكون الاستيعاب والفهم ليكون الناقل واعياً لما ينقله مستفيداً منه معتبراً مما فيه متوقفاً عند المحطات التي تستحق التوقف عندها والتفكر فيها ليتطبع على الخير ويتأثر به في مجاله العملي.

وأما لو اكتفى الناقل بالحفظ والترديد فيكون حاله حال الأجهزة الصوتية

(١) المنجد ص٥. مادة (أخا).

التـي تحفظ الصوت وتكرره عند الطلب من دون استيعاب لأنها معدَّة أساساً لهذا الغرض التوثيقي بينما الإنسان - بما أُعدّ له من تراث إسلامي ضخم- قد هُيئ له أن يكون عضواً صالحاً في المجتمع من خلال تأثيره فيمن حواليه من خلال قراءاته ومعلوماته المكتسبة التي تنفعه وتنفع غيره فيرتفع المستوى الثقافي والفكري والديني للمجتمع من خلال هذه البداية البسيطة التي تبتني على الوعي التام لما يقرأه أو يسمعه فينقله ليتعلم تدريجياً الدقة والالتزام.

ومما يساعدنا على فهم هذه الحكمة أكثر والإيمان بأهميتها وجدواها ما نعايشه في حياتنا اليومية من إخبارات الأشخاص الذين لم يتفهموا الخبر بل كان نصيبهم الترديد كالببغاء أو المسجل من دون حساب للنتائج التي يمكن أن تحدث إيجابية أو سلبية.

ومن المؤكد أنّا لا نعتمد على هؤلاء بل نترك باب الاحتمال مفتوحاً فيمكن صحة الخبر كما يمكن العكس بينما لو كان التثبت والتفهم هما الأساس لكان من السهل جداً الاعتماد على إخبارات الأشخاص لأنهم قد استوعبوا ما نقلوا ووعوه وعياً صحيحاً وعندها فلا مانع.

فلا بد أن نسعى لنكون من الرعاة للعلم والحافظين لمحتواه فبذلك يتحسن حال الناس ولا نكتفي بأن نكون من الرواة للعلم والناقلين لألفاظه لأن ذلك لا يغير كثيراً من الواقع. إذ لو كان الغرض يتم بالنقل لكان التعبير بـ(انقلوا) وليس (اعقلوا) فمن التأكيد على اعقلوا يعلم أهمية التركيز والتفهم لينشأ جيل علماء ومثقفين واعين، فيتكامل الناس ويتحسن وضعهم بعدما كان عدد العلماء دائماً أقل من غيرهم بينما عدد غيرهم أكثر فلا حاجة إلى تكثيرهم.

٢٨ – قال عليه السلام:

إغضِ على القذى(١) وإلاّ لم ترضَ أبداً.

الدعوة إلى الإغضاء والتغاضي عما يواجهه الإنسان من مواقف المواجهات التي تتشنج فيها العلاقات وبذلك يكسب الإنسان الغاضي – الذي تحلّم – الحالة فقد تجاوزها بالصبر عليها وتحمّل متاعبها النفسية –المؤلمة– ليصفو العيش من المنغصات والمكدرات لأن الحياة بطبيعتها لا تخلو من ذلك إذ لا يجد الإنسان مَنْ يصافيه تماماً.

فلا بد من استيعاب المشكلات وامتصاصها وأن لا يتوقف الواحد منّا عند كل صغيرة وكبيرة وإلاّ فلا يهنأ أبداً ولا يرضى عن أحد بل ولا يرضى أحدٌ عنه لأنّ الناس يميلون إلى مَنْ يتناسى الإساءة ويحاول مسايرتهم بالشكل المقبول لديهم وإلاّ لانعزل وتحجّم اجتماعياً، وينبغي للإنسان أن يحاول ذلك لكن من دون مساس بالثوابت الإسلامية والإنسانية التي يجب أن تسود ولا يصلها الإهمال والتناسي، ومن الخير أنْ لا ننسى قول النابغة الذُبياني:

ولست بمُسْتَبْقٍ أخاً لا تَلُمُّهُ   على شَعَثٍ أيُّ الرجال المهذب

فلا بد من الإغضاء، والتحمّل، والتحلّم مع القدرة على المواجهة والرد، لأنه لو خسر الإنسان فرداً وفرّط به، فليس بمعلوم إمكان البديل المناسب، المرضي من جميع الجهات، وإلاّ لم يكن إنساناً عادياً.

---

(١) القذى لغة: ما يقع في العين وفي الشراب من تبنة أو غيرها... و(هو يغضي على القذى) أي يحتمل الذلّ والضيم ولا يشكو. لاحظ (اقرب الموارد) ج٢ ص٩٧٦.

٢٩- قال عليه السلام:

أفضل الأعمال ما أكرهت نفسك عليه.

مما لا شك فيه أن عملية الترويض بمختلف أشكاله ومستوياته تثمر نتائج جيدة تنفع في مجالات عديدة، والدعوة من الإمام عليه السلام موجهة لممارسة هذه العملية مع النفس وهو أمر يجمع بين السهولة والصعوبة.

فمن منطلق القرب فالنفس أقرب شيء إلى بدن الإنسان لاحتوائه لها وإدراكه الأشياء عن طريقها فيسهل الترويض.

ومن منطلق التباين بين النفس الإنسانية والتعاليم السماوية تبدأ مرحلة الصعوبة لأن التعاليم تتضمن مجموعة من الأوامر والنواهي التي يصعب على الإنسان الاستجابة لها إلاّ بالترويض والتعويد تدريجياً لأن الفعل المستعجل تكون ردة فعله قوية جداً على مختلف التقادير، فالتدرج ومحاولة الإقناع بالفائدة المرجوّة من العمل أمرٌ ضروري في هذه العملية، فإذا عرف الإنسان أن هذه التعاليم لمصلحته وتدور حول فائدته الدنيوية أو الأخروية، المادية، أو المعنوية، آمن بضرورة الامتثال، أو الانتهاء.

ومن الضروري إيجاد وسائل دعم وتشجيع للمواصلة فكان منها هذه الحكمة ليتحفز الإنسان في أداء العمل المطلوب ولو لم يتلاءم مع هواه، مادام أنه الأفضل وكلنا يسعى نحو الأفضل، فلا بُدَّ من استيعاب هذه الحكمة جيّداً لئلا يقع الإنسان في مطبّات المخالفة والمعصية على أساس أن العمل المنهي عنه من الأمور الشخصية الطبيعية فلا حق لأحدٍ في تحجيم هذه الحرية، أو أنَّ العمل المأمور به مما لا يرغب به. لأن القضية غير متروكة للاختيار بعد الالتزام بموجب الميثاق الإسلامي. ولا بُدَّ من المخالفة للأهواء الباطلة التي تبتعد بصاحبها عن

طريق الحق والصراط المستقيم. وأيضاً لا بُدَّ من تحمّل المتاعب الجسمية انتظاراً لما أعّده الله تعالى في الدنيا والآخرة من الثواب الجزيل بمختلف أشكاله.

٣٠- قال عليه السلام:

أفضل الزهد[1] إخفاء الزهد.

الزُهد من الخصال الحميدة التي ينبغي التحلي بها والاتصاف بها مهما أمكن؛ لأنه يهيئ للإنسان فرصة التوافر على حالات نفسية عالية يبحث عنها الإنسان - غالباً - لأنها تريحه من عناء الدنيا والحياة المادية المتعبة بتطورها وتقنياتها وما تستوجبه من مظاهر تثقل روح الإنسان قبل جسده وتبعده عن ساحة رضوان الله - إلا مَنْ عصمَ تعالى -.

إذن فالإمام عليه السلام يدعو إلى التحلي بهذه الخصلة الحميدة ويؤكد على أمر مهم يكتسب أهمية بالغة وهو ضرورة عدم التظاهر والتجاهر بهذا الشيء لئلا يصاب الإنسان الزاهد بداء الغرور والإعجاب الذي تقل معه فرصة المواصلة والمتابعة على نفس الخطى على أساس أنه واصلٌ إلى هذه المرحلة المتقدمة فلا يلّم بذنب أو لا يضره شيء اتكالاً على الزهد فلا بُدّ من الحذر من مصيدة الشيطان لئلا يقع الزاهد فيها لأنه بمرصد ومرقب من شياطين الجن والإنس فلأنه بدأ أولى خطواته على طريق الله تعالى وبدأ فعلاً بمخالفة هواه ونفسه الأمّارة بالسوء، وهذا أمرٌ لا يروق لأعداء الله تعالى فيحاولون طرح العثرات وتكثير العراقيل فيكون العُجب والإعجاب، استكثار العمل، استقلال عمل الآخرين، عدم الاعتناء بالغير، سوء المعاملة، المجابهة الحادّة، مما لا يتلاءم مع

(١) الزُهْد لغة: الإعراض عن الشيء احتقاراً له، وهو من قولهم (شيء زهيد) أي قليل. المنجد ص٣٠٨ مادة (زهد).

تعريف الزهد؛ لأن مَنْ أعرض عن الدنيا - التي هي موضوع الزهد هنا في المصطلح الأخلاقي - عليه أن يحتقر عملياً كل المغريات والصوارف الطبيعية والمصطنعة لأجل أن يتقرب إلى ساحة عفو الله تعالى و رحمته. ولا يكتفي برفع الشعارات لكسب الثقة مع أن الواقع بعيد و متفاوت مع الظاهر.

فالإمام عليه السلام دلّنا على أفضل الطرق الموصلة إلى الإعراض عن الدنيا بأن يجاهد الإنسان نفسه واقعياً ومن منطلق الداخل والضمير قبل منطلق المظهر الخارجي، فالزاهد حق الزهد مَنْ ابتعد عن الحرام ليتوفر بعد ذلك كله على ما يؤهله للارتقاء في سلالم الكمال. إذ الأمر غير مقتصر على لبس الخشن أو أكل الخشن أو المعاملة الخشنة بل الأمر يتسم بعمق أصيل ومرتكز متجذر - أو يجب أن يتجذّر - في الإنسان ليستقر في الأعماق فتنطلق التصرفات عن قناعة لا تقليد وعن وعي لا محاكاة، نعم لا يُنكر تأثير المحاكاة -أحياناً- إلاّ أن لها مرحلتها و تأثيرها المؤقت بكل تأكيد بينما يريد الإمام عليه السلام منّا أن نتعود ذلك و نتصف به لنكسب الأصدقاء على طريق الله تعالى المتمثل في الدعوة إلى الإسلام ومبادئه ومُثله العليا التي تحقق للإنسانية ما تحلم به وتوفر كل وسائل التحضر والتقدم بأشكاله ومراحله - لكن بالشرط المذكور - أعني تجذّر الإيمان وانطلاق الفكرة من الأعماق.

٣١- قال عليه السلام:

افعلوا الخير ولا تحقّروا منه شيئاً، فإنَّ صغيره كبير وقليله كثير، ولا يقولّن أحدكم إنَّ أحداً أولى بفعل الخير مني فيكون - والله - كذلك، إنَّ للخير والشر أهلاً فما تركتموه منهما كفاكموه أهله.

إن من العوامل المؤثرة في بث الروح الحماسية للقيام بالمهمات هو: عامل

التشجيع والدعم، على أساس أن ليس أحد أحق بالأمر منك، مما يدفع نحو القيام بالمهمة مع الشعور بالأهمية والكفاءة مما يؤثر - حتماً - في تحسين الناتج.

ومن الواضح أن دعوة الإمام عليه السلام تضمنت هذا الأسلوب في الحث: فقد بين عليه السلام أهمية الخير وضرورة إبراز مظاهرِه الحياتية بمختلف صنوفها. و عدم إهمال أيَّ مقدار منه مهما تضائل حجمه التقديري -الحسي- أو الاعتباري لئلا يُحْرَم أفراد المجتمع من ذلك الخير.

ثم بين عليه السلام أن للخير أفراداً كثيرة وصوراً مختلفة لا يمكن حصرها لاتساع الدائرة بحسب الزمان والمكان والأشخاص. فيجب أنْ لا يحتقر صغير الحجم من هذه الأفراد لأنه كبير بمقياس أنه خير. وكذلك لا يستهان بقليل المقدار منه لأنه كثير بمقياس أنه خير، وقد راعى عليه السلام التناسب في المقابلة بين الصغير والكبير، وبين القليل والكثير. وهو أمر مهم من الناحية الأدبية، البيانية، الأدائية.

ثم بين عليه السلام أنه لا ينبغي التواكل في عمل الخير بل لا بُدَّ من المبادرة والمسارعة مهما أمكن لأن ذلك فرصة يصعب تعويضها فقد لا تتاح مرة ثانية، وان الإنسان إذا تعوّد التواكل والاكتفاء بمبادرة الآخرين فسيكونون أولى وأحق منه دائماً لأنه لم يترك الفرصة لنفسه بالعمل ولو مرة واحدة وإنما كان من المتماهلين فحتماً سيتقدم غيره ويتأخر هو، ولا يتصور الإنسان أن العمل المطلوب إنجازه إذا لم ينجزه هو تتوقف عجلة الحياة بل هناك الكثير ممن يبحث عنه ويسعى للحظوة به فيتلقف الفرصة بسرعة، وهنا قد تحدَّث الإمام عليه السلام بشمول، فأن للخير أهلاً وكذلك للشر فلا بُدَّ للإنسان أن يتباعد عن الشر لئلا يكون من أهله و يترك الأمر لمن سخط الله عليه لأن المهم الإقلاع عن الشر والتقدم نحو الخير الذي هو كل فعل إيجابي لا يضر أحداً بما يكون مقصوداً -

وإلا فكل فعلٍ يتصف بموافقته لأحد ومخالفته لآخر-.

٣٢- قال عليه السلام:

أقل ما يلزمكم لله أنْ لا تستعينوا بنعمِهِ على معاصيه.

الدعوة والتنبيه إلى أمر مهم جداً يغفل أو يتغافل عنه كثير من العباد وهو أن الإنسان يتمتع بما أنعم الله تعالى عليه من صحة وعافية وجاه ومال وقوة ونفوذ و.. و... إلاّ أنه قد يستعملها فيما لا يرضي الله تعالى بصرف هذه النِعَمْ فيه كالمحرمات التي نهى تعالى عن اقترافها والاقتراب من حدودها وأمَرَ عزّ وجلّ بالابتعاد عنها والانزجار النفسي عن ممارستها، بينما أن الواقع يفرض مقابلة النِعَم بالتعامل المناسب من الشكر والثناء وعدم التوصل بها إلى ما يغضب المنْعِم - أياً كان - وهذا شيء أساسي تفرضه قواعد الآداب الاجتماعية العامة فكيف - إذن - إذا كان المنْعِم هو خالق السموات والأرض، المحيط بكل شيء، الذي لا يعجزه شيء، الذي لا تضره معصية مَنْ عصاه كما لا تنفعه طاعة مَنْ أطاعه وإنما المتضرر والمنتفع بالدرجة الأولى هو العبد. فالإمام عليه السلام يؤكد على هذه النقطة المهمة في استدامة الألطاف الإلهية واستمرار الإمدادات الربانية والتي يحتاجها كل مخلوق مهما كان حجمه أو شأنه، فلو لم نلتزم بهذه الحكمة لَحَكَمْنا على أنفسنا بالحرمان وزوال النعم فإنها تزول إذا لم تجد الجو الملائم والظرف المناسب والتعامل اللائق. فلا بُدَّ للإنسان العاقل ان يُحسن التعامل مع ما يرزقه الله من متطلبات الحياة ومهمات البقاء في الدنيا من الأمور المعنوية والاعتبارية أو المادية والشأنية، فلا يقابل هذا كله بالتمادي في الطغيان والتمرد بل يلزمه - بحكم الدليل العقلي - أن يشكر ولا أقل من عدم الاستعانة بالنِعَم على ما لا يرضى به تعالى.

٣٣- قال عليه السلام:

أقيلوا ذوي المروءات[١] عثراتهم، فما يعثر عاثر إلاّ ويدُ الله بيده ترفعه.

اهتمام واضح بالمتصف بصفة المروءة وفي ذلك تشجيع وتحبيذ ودعوة لاتصافنا بها ولتكاملنا ضمن خطها لما فيها من معانٍ سامية يهتم بها الإمام عليه السلام لأنها من أهداف الإسلام.

فإذا كان الإنسان متصفاً بهذه الصفة الكريمة فالإمام عليه السلام يدعونا للصفح والغض عن خطئه ويحبّب لنا التسامح وقبول العذر - لو اعتذر- تكريماً لهذه الصفة وتعزيزاً لها في النفوس وتبياناً بأن الإنسان معرّضٌ للتجاوز والخطأ، فلا بُدَّ للآخرين أن يساعدوه - على تلافي التكرار وعدم الوقوع مرة أخرى - بقبول العذر بل وابتغاء العذر له - لو أمكن - لأن هذا الجانب الأخلاقي مهم جداً في تسيير عجلة الحياة الاجتماعية وإلاّ لتعطلت وتكثرت الحواجز والمعرقلات؛ لأن الإنسان معرضٌ دائماً بحكم طبيعته للتورط من خلال تصرف أو كلام، وفي الغالب يعتذر ويندم على ما صدر منه.

فحريٌّ بنا -نحن المسلمون- الإصغاء لهذه الدعوة الكريمة والامتثال والتطبيق لموادّها كي نضمن تبادل التسامح والتغاضي والصفح عنا لو بدرت أخطاء من أي فرد منّا.

وقد عبر عليه السلام عن الأخطاء بالعثرة التي هي (السقطة، الزلة)[٢] ولعل

---

(١) المروءات جمع المروءة وهي لغة: النخوة، كمال الرجوليّة. المنجد ص٧٥٤ مادة (مرأ). أساس البلاغة للزمخشري ص٥٨٧. الإنسانية، مختار الصحاح ص٦٢٠، آداب نفسانية تحمل مراعاتها الإنسان على الوقوف عند محاسن الأخلاق وجميل العادات، أقرب الموارد ج٢ ص١١٩٦.

(٢) المنجد ص٤٨٦. مادة (عثر).

صدورها من الإنسان إنما هو لتنبيهه إلى أمر يتغافل عنه - خصوصاً لو بلغ مرتبة تُوهِمُهُ بالكمال - وهو الطبيعة البشرية القائمة على صدور الخطأ قولا أو فعلاً وأن المعصومين من الخطأ معيّنون مخصوصون ومَنْ عداهم فهم يتفاوتون في درجات الكمال فلا داعي لأن يشمخ بعضنا على البعض الآخر.

ومما هو جدير بالاهتمام أن الإنسان المسلم الملتزم المتمسك بحبل الله ورسوله وأوليائِهِ مدعوم بدعم الهي لئلا تتعرقل سيرته الحياتية، وذلك بعدة صور و أشكال إما بأن يبادر للاعتذار، وإما بأن يرق له قلب الطرف الآخر - المعتدى عليه -، وإما بالاعتراف بالخطأ فيعطى فرصة التراجع، وإما بعدم الإصرار على الخطأ و الندم القلبي على ما صدر منه، وإما بالتوبة والاستغفار أيضاً، مما يساعد على عدم توقف الحالة أو تشنج الوضع بل تسير الأمور كجاري العادة الطبيعية، كل ذلك بتأييد الله تعالى وتسديده ومنّته وقوته فإن (اليد) بمعنى النعمة والرحمة والقدرة؛ فإنه تعالى ينعم عليه بتلافي الحالة ويرحمه بأن لا يصّر على الخطأ لأنه عز وجل القادر على العباد، كل ذلك من دون إلجاء أو تأثير مباشر وإنما يهديه للتي هي أقوم وأحسن وأليق بحال هكذا إنسان تتمثل فيه الإنسانية وكل صفات الرجل القوي الذي عوّد نفسه على جيد الأفعال والأقوال الذي يبالي بما قال وبما قيل له، وهذه الحالة لا تترسخ إلاّ بالممارسة والمجاهدة للهوى الغلاّب، وإلاّ فمن السهل جداً إطلاق العنان وعدم السيطرة فيتفوه أو يتصرف بما شاء من دون مراقبة.

ومن الجدير بالذكر أنه قد جاء في المَثَل (أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم)[1].

(١) قال (في مجمع الأمثال) ج٢ ص٦٨، أراد بذوي الهيئات أصحاب المروءة.

٣٤- قال عليه السلام:

أكبر العيب أنْ تعيبَ ما فيك مثلُهُ.

الدعوة إلى أن يهذب الإنسان نفسه ويحاسبها بكل دقة لئلا ينتقد أحداً بعيب هو متصف بمثله، فإن هذا من العيب على العاقل لأنه سوف يفسح المجال لانتقاده أيضاً.

فلا بد من كف اللسان وتعويده على التحفظ وإلاّ كَثُرَ الخصوم والعيّابون لأنك لو نطقت فلك لسان واحد بينما لغيرك ممن حواليك وممن يبلغهم عيبك ألسن متعددة بعددهم، ومن المؤكد أن الإنسان الواحد لا يستطيع مقاومة العدد الكثير لأنه متى حاول سدّ جهة انفتحت له جهات أخرى. فحبذا مراعاة هذا الجانب الأخلاقي وانشغال الإنسان بعيوبه عن عيوب غيره، اللهم إلاّ إذا كان من إسداء النصيحة وبيانها فلا مانع لكن بعد التأكد من عدم الاتصاف لتكون نصيحته أكثر قبولاً وأوقع في النفوس وإلاّ لقيل له إذا كان ما تقول حسناً أو سيئاً فلماذا لا تطبق أنت؟! كما قال الشاعر:

لا تنه عن خُلُقٍ وتأتي مثله   عارٌ عليك إذا فعلت عظيم[1]

٣٥- قال عليه السلام:

الأمر قريب[2] والاصطحاب قليل.

الدعوة الى الاستعداد للقاء الله تعالى وعدم الركون التام الى بهارج الدنيا

---

(١) نُسب البيت إلى أبي الأسود الدؤلي وللمتوطل الليثي ظ/ تاج العروس ١٠/ ٤٧٤، كما نُسب للأخطل ظ/ خزانة الأدب ٨/ ٥٦٦.

(٢) كناية عن مفارقة الحياة وانتهائها الذي يعبر عنه أحياناً بالموت وأحياناً بيوم القيامة.

وملذاتها لأنها زائلة يفارقها الإنسان إلى حيث السؤال والجزاء، فلا بد للإنسان العاقل أن يستعد لذلك فلا يقطع حبل الصلة بينه وبين الآخرة ومتعلقاتها في الدنيا، بل عليه أن يعيش دنياه في الدنيا وأن يعيش آخرته في الدنيا وذلك بأن يوفي كل واحدة حقها - قدر الإمكان - ولا يجري مع الدنيا على أساس أنها الدائمة فإنه مهما بقي فيها فسيرحل حتماً؛ إذ انّ الموت منه قريب بحيث يفاجأه في أية لحظة يقدّرها الله تعالى، وكل آت قريب فيعني ذلك أن موعد الحساب وهو يوم القيامة قريب أيضاً فلا مجال للتراخي في تأدية الواجبات والتزود بزاد الآخرة والخروج عن التبعات التي تثقله أُخروياً والتخفف عن الأوزار التي ترهقه لدى المساءلة الإلهية.

ثم أنه من الطبيعي جداً قلة المكث في الدنيا إذا كان الموت قريباً، فمَنْ يعمَّر في الدنيا مهما بلغ عمره فهو كضيف في الدار لا بُدَّ له - يوماً ما - من الرحيل والانتقال الى حيث البقاء الأبدي.

فالدعوة تتضمن تحذيراً وتذكيراً:

فالتحذير من الاغترار بالدنيا والتصديق بوعودها فأنها إذا تشوفت[1] وتبسمت لأحد ظنّ صدْقَها وأنها على هذا الحال دائماً بينما الأمر مختلف تماماً إذ إنها خدعة يصطاد بها الغافل والمغفّل فعمّا قريب يترك الإنسان كل ما يعّز عليه من أولاد، مال، منصب، زوجة، جاه... فإن اصطحابها وكينونتها معه أمر موقوت فليحذر العاقل.

والتذكير بقرب موعد الرحيل الى دار البقاء ليتهيأ الإنسان ويستعد لسفرٍ طويل لا يمكنه معرفة جهته، فإما الى الجنة إن أعّد نفسه أو الى النار -والعياذ بالله- إن غفل واطمأن للدنيا.

(١) أي تزينت. المنجد ص٤٠٨ مادة (شاف).

٣٦- قال عليه السلام:

امشِ بدائِكَ ما مشى بك.

الدعوة الى تحمّل الداء (المرض والعلة)[1] وعدم اللجوء الى استعمال الدواء - والتركيب الكيمياوي - إلاّ في الحالات القصوى التي لا ينفع معها العلاج بالراحة والنوم وتقليل الطعام (المضر).

وهذه الحكمة تتفق مع التجارب العديدة لفئة المعمَّرين؛ فإنّ سر طول العمر -غالباً- وبعد إرادة الله تعالى طبعاً، هو التقيّد بنظام معتدل في الطعام والشراب والنوم وسائر ما يستعمله الإنسان أو يحتاجه. وقد أثبتت التقارير العلمية أنّ الإسراف في استعمال الأدوية خصوصاً تلك المرّكبة المصنّعة، يعود بالضرر المباشر على المستعمِل أو بعض الأضرار الجانبية التي تظهر تدريجياً والتي تكون - في كثير من الحالات والتجارب - سبباً كافياً للوفاة أو الإصابة بمرضٍ يؤدي إليها.

فلا بد للإنسان أن يعالج نفسه بنفسه، وذلك من خلال وسائل طبيعية كالراحة وتقليل الطعام أو استعمال بعض النباتات التي يضمن عدم ضررها ليكون قد مشى بمرضه ما أمكنه ذلك حتى إذا استعصى العلاج من خلال ذلك فعليه الاستعانة بالخبير الطبي لوصف الدواء.

وإذا تذكرنا بعض المسموعات السابقة عن نسبة الخطأ والاشتباه للمختصين ممن يشّخص الداء أو يصف الدواء، لَعَلِمْنا أن الإمام عليه السلام حريص أشد الحرص على سلامتنا ووقايتنا من الأعراض الجانبية المضرة التي تفقدنا

(١) المنجد ص٢٢٨. مادة (داء).

الصحـة، وقـد دلّت التجـارب أن أولئك الذين يبادرون ويسرفون في اسـتعمال الدواء ولا يتحوطون لسلامتهم يصابون بانتكاسة صحية غير متوقعة.

وقد أشـار عليه السلام لذلـك في وصيته لولده الإمام الحسـن عليه السلام بقوله: (ربما كان الدواء داءً والداءُ دواءً)[١] فلا يتعجّل الإنسـان باسـتعمال الدواء، وأيضاً لا يضجـر إذا مـرِض لأنه قد يبعد عنه بذلك شر شيء أكبر، كما يلاحظ في كثير من الحالات السريرية اكتشـاف مرض لم يكن يعلم أو يشـعر به المريض -نفسـه-، إذن الداء دواء. كما أنه قد يكمن الداء في استعمال ما أُعدَّ ليكون دواءً والشواهد الكثيرة دالة على ذلك.

٣٧- قال عليه السلام:

إنَّ للقلوب إقبالاً وإدباراً، فإذا أقبلت فاحملوها على النوافل، وإذا أدبرت فاقتصروا بها على الفرائض.

مـن المعلـوم أن الإنسـان لا تتسـاوى حالاتـه وتوجهاتـه النفسـانية بـل تؤثـر عليه عوامل الزمان والمكان والأصدقاء والبيئة والفقـر والغنى والصحة والمرض والأمن والخوف والانفتاح وعدمه والمداومة على العمل وعدمها وكبر السـن وصغره... وهذا بشكل عام فيشمل بطبيعة الحال اتصاله بالله تعالى حال العبادة فقد ينشدّ تماماً فيؤدي المفروض ويتطلع نحو المزيد لأنه ممن ذاق حلاوة مناجاة الله تعالى وفاز بالاتصال الروحي معه فتعلّقت روحه بباريها وتخففت من أدران المادة وتبعاتها.

وقد يتخفف من كل ذلك فلا يجد من نفسه الإقبال على عمل المزيد وإنما

---

(١) نهج البلاغة ج٣ ص٥٢، ط دار التعارف - بيروت.

يحاول أن يوجد فرصة لإنجاز المفروض. وهذا كشيء طبيعي لا غبار عليه ولا يمكن إنكاره لأنه يتماشى وتركيبة الإنسان الفسلجية والاجتماعية، لأن العوامل الجسدية والنفسية والبيئية تترك تأثيرات قوية عليه.

فالإمام عليه السلام يدعونا لأن نكون أكثر واقعية ونتجرد من نمطية أداء طقوس وممارسة أعمال وقراءة سطور أو صفحات مما يشكل دائرة روتين، بل لا بُدَّ من أن نتعايش روحياً بكل ما يشدّنا بالخالق تعالى؛ لأنه أنعم علينا بكل مواهبنا ومراكز القوة فينا فلا يناسب أن نأتي الى رحابهِ متناعسين متكاسلين متثاقلين، بل المطلوب أن نأتي بكل انفتاح وشوق وشعور بأنه سبيل الراحة والتنفيس اللذين يطلبهما الإنسان بعد إثقاله بمتاعب الحياة المادية وما تقتضيه من تقيّدات وملاحظات سياقية.

ومن غير الصحيح أن ننكر اتصافنا بذلك وإلا لفقدنا موقعنا المناسب في المحيط الإنساني الطبيعي، وكنا مؤدين لمظاهر لا تتسم بالمصداقية الصحيحة وإنما مجرد ترديد ولقلقة لسان أو قيام وقعود بلا وعي، بلا حس صادق، بلا شعور حقيقي، بلا تفاعل مع الممارسة، لينعكس من ذلك إشعاع على مؤديها ليسمو به الى حيث الكمال أو التكامل المنشود.

ولا بد أن ننتبه إلى أن الشيطان يترصدنا فلا مناص من الحذر منه وإلا لحاربنا بسلاح إقبال النفس وإدبارها بل اللازم أن نرّبي أنفسنا ونجاهد أهواءها ونحاول السير الى مدارج الرقي الأخلاقي ضمن درب العبادة لنضمن محلاً كريماً في منازل الآخرة يتناسب مع طموح الواحد منّا وإلا لكنّا ممن يطلب الآخرة بلا عمل.

٣٨- قال عليه السلام:

إنَّ للقلوب شهوةً وإقبالاً وإدباراً، فأتوها من قِبَل شهوتها وإقبالها، فإنَّ القلبَ إذا أُكره عمي.

من المعلوم أن قسر النفس وإلجائها الى القيام بعمل لا ترغبه ولا تتفاعل معه يأتي بنتائج عكسية أو أقل من مستوى الأمل والطموح، وهذا أمر يتفق فيه جميع بني الإنسان ولذا كانت مجاهدة النفس ومغالبة الهوى ومحاولات الترويض والتهذيب ليتمكن الإنسان من مسك زمام النفس والسيطرة عليها والتحكم فيها والتمكن المريح منها.

فالإمام عليه السلام يدعونا لأنْ نختار الأوقات المناسبة - أو لنهيئ الحالات الملائمة - ولا نترك القياد للنفس التي تحب الراحة والكسل فإذا توفرنا على ذلك أحرزنا النتيجة المرجوة المأمولة من العمل وكسبنا الجزاء الموعود دنيوياً أو أخروياً.

وهذا التوجه القلبي أو الانصراف أمر سائد في المجالات الدينية والدنيوية فإنه يحكم تصرفات الإنسان ولا يمكنه السيطرة والتغلب على إظهاره -إلا نادراً- إذ يبيّن على صفحات الوجوه ويُقرأ من العيون -كما يقولون-.

فلنسير على خطى الإمام عليه السلام في توجيهه السامي ضمن هذه الحكمة لتكون أعمالنا وانجازاتنا مثمرة مقبولة بعيدة عن القسر والنمطية والروتين والعادة الموروثة وإنما تنبض بروح الجدّية والشوق والسعي نحو التكامل.

٣٩- قال عليه السلام :

إنَّ الله افترض عليكم الفرائض فلا تضيّعوها وحدَّ لكم حدوداً فلا تعتدوها[١] ونهاكم عن أشياء فلا تنتهكوها[٢] وسكت عن أشياء ولم يدعها نسياناً فلا تتكفلوها.

بين عليه السلام في هذه الحكمة عدة نقاط مهمة يعوزنا الالتزام بها إذ الكثير يسأل عمّا وراء التكليف، أو يتساهل في تنفيذ احكام إلهيّة بقسميها الآمر والناهي.

وهو أمر يشق كثيراً على الموجهين إذ يبعد المسافة ويهيئ لجو من التعللات العليلة في ذاتها كعدم الاقتناع بالأثر، بالأهمية والجدوى، بالسبب... وهذا ما يدركه المصلحون الموجهون فإنه يخرب خطة الإصلاح ومنهاج الإرشاد، ويعطل القدرات المتهيئة لذلك. وعندئذ تنحرف المسيرة عن خطها الأساس الى فروع جانبية لا تكتسب أهمية بل هي من صوارف الشيطان.

فلهذا ونحوه دعانا عليه السلام للالتزام بالتعاليم والتوجيهات والسير على منهاجها، والاهتمام بتنفيذها، وترك التطلع الى المزيد من العمل لأنه لو كان مناسباً لما أغفله خالق السموات والأرض العالِم بالسرائر والخفيات الذي لا يعجزه شيء.

فأمّا إذ سكت عنه ولم يكلّف به فما هو إلاّ وفق المصلحة والحكمة التي لا تدركها عقول المخلوقين مهما كانت قواها لسبب بسيط جداً لأن العقول وأصحابها مخلوقة له فهو الموجد لها والمودع فيها القدرة والقابلية على التفكير

---

(١) أي فلا تجاوزوها.

(٢) الانتهاك لغة يعم تناول ما لا يحل وإذهاب حرمة المنهي عنه وتضييعها. المنجد ص٨٤٣. مادة (نهك).

والإبداع فهو - بالطبع - أقوى إدراكاً وأنفذ رأياً وأحزم وأحكم وأعلم، فلا موجب بعدئذ للسؤال والاستفسار عن أمور متروكة لمصلحة عُليا، وإنما الواجب التوجه نحو امتثال الأوامر والانزجار عن النواهي وعدم التعرض لما لم يبيّن من وجهة تشريعية، فان التشريع القائم يغطي مساحة عمر الإنسان ووقته فقد بُرمج وفق المناسب لحال كل فرد بحسب اختلاف جنس وزمان ومكان وفئة وحالة كل إنسان بما للكلمة من شمولية.

٤٠- قال عليه السلام:

إنَّ الله سبحانه فرض في أموال الأغنياء أقواتَ الفقراء، فما جاع فقيرٌ إلاّ بما مُتِّعَ به غني والله تعالى سائِلهُم عن ذلك.

إنّ مما يدركه كل عاقل صغيراً أم كبيراً هو التفاوت الطبقي والمادي والاقتصادي بين أفراد الناس فإنه أمر تقتضيه المصلحة العامة لنظام العالَم وإلا لتعطلت كثير من المصالح والأعمال، ولما طُبِّقت بعض الفقرات المهمة في نظام التشريع، وفوق هذا وذاك الحكمة الإلهية التي لا يدركها البشر.

فإذا كان هذا أمراً طبيعياً فهل يُترك جانباً ويُقبَل كأمر واقع أو يُبحث عن وسائل تتفادى الوقوع في الأزمات والمشكلات المترتبة على ذلك التفاوت؟، وهذا ما اختاره عليه السلام ضمن هذه الحكمة فهو يدعونا الى التواسي والتراحم فيما بيننا وان نحقق مبدأ التكافل الاجتماعي بأدق صورة ممكنة وقد هيئ لنا فرصة تحقيق ذلك عن طريق تأمين قوت الفقير لأنه المهم فإن الإنسان إذا أمَّنَ هذا الجانب فقد أمِنَ المجتمعُ غوائلَهُ وتفكيره الإجرامي الفتاك الذي يثيره الحقد على الغني والضغينة المتأججة على مَنْ حواليه لأنه يشعر بأنه وصل الى الفقر نتيجة غنى مَنْ حواليه، أما إذا وفرّنا للفقير لقمة العيش وتعاونا في سبيل ذلك

ولم نُصَب بداء الاتكالية، فقد أحرزنا بقاءه ضمن شريحة المجتمع الصالح نستفيد منه ويستفيد منّا، ونعيش جميعاً بسلام لا ينغصنا سؤال الفقير وصراخ الصغار الجياع.

ولو اقتفينا أثر الإمام عليه السلام في هذه الحكمة لما بلغ حال جياع العالم ما بلغه من المجاعة الغالبة في بعض البلدان أو المجاعة النسبية في البعض الآخر.

ولو ألقينا نظرة فاحصة لأبرز عوامل التكافل الاجتماعي في النظام الإسلامي لوجدنا أنه أمّنَ للفقير نصيبه الذي يسعف حاجته ويكفل له لوازم الحياة المختلفة، فمن ذلك الزكاة بقسميها للأموال وللأبدان - الفطرة - والكفارات بأقسامها المتنوعة عند المخالفات في الصيام والحج والنذر واليمين والعهد والنكاح[1] وهي تتشكل بشكل الإطعام والإكساء في بعض مواردها بما يسد الحاجة - غالباً -.

ثم الصدقات المندوبة ورد المظالم والتصدق بمجهول المالك واللقطة والحث على الهدية والوصية وغيرها.

وهذه المواد متعددة الموارد والمناسبات إلاّ أنها تتحد في صرفها على الفقراء الذين لا يملكون قوت سنة كاملة لأنفسهم أو متعلقيهم ممن يجب الإنفاق عليهم كالزوجة والأولاد والأبوين أو الأرحام أحياناً.

ومن هنا يتجلى لنا أنه تعالى قد أعطى كل أحد حقه المناسب من الرزق - المادي - إن بسعي العبد مباشرة أو بواسطة الأُمناء كما ورد فيما روي عن

(١) في موارد الظهار والايلاء والوطء أيام العادة الشهرية والتزوج بامرأة ذات بعل أو في أثناء العدة من الطلاق الرجعي بعد الحكم بلزوم المفارقة ثم التكفير، على تفصيل في جميع الموارد يطلب في محله من المصادر الفقهية.

الإمام الصادق عليه السلام التعبير بـ(الأمناء) عن الأغنياء[١].

٤١ - قال عليه السلام:

إنَّ الحقَ ثقيلٌ مريئ، وإنَّ الباطل خفيف وبيء.

الدعـوة الى اتباع الحق ومناصرته والدفاع عنه والوقوف الى صفه، سـواء كان -الحق- قولاً أو فعلاً، والدعوة الى ترك الباطل ومناهضته قولاً أو فعلاً.

فالـلازم متابعـة الحق وان كان يثقـل في كثير من الحالات لكنه مستسـاغ مهما كان، يرضاه كل أحد -حتى الغاضب في قرارة نفسه وإن تأباه ظاهراً.

وأيضاً يلزم مجانبة الباطل بصوره وأشـكاله كافة ولأيّ سـبب كان ومهما كان الظرف فإنه وإنْ خفت مؤنته وكلفة مواقفه إلاّ أنه موبوء - يكثر فيه الوباء[٢] - ولا تحمد عاقبة أمره، ويكفينا في محاولة الإقناع أو الاقتناع الشخصي أنْ نعرف انّ الله ورسـوله والإمـام الى صف الحـق في كافة مواقفه يسـاندوه قولاً وفعلاً و بمختلف الوسائل والأساليب إعلاءً لشأن الحق وترسيخاً لقواعدِهِ في النفوس لئـلا يهزم أو ينخذل - بتخاذل الناس عنه -، ونجدهم جميعاً مناوئين للباطل في مواقفه كافة وبمختلف الوسـائل والأساليب لئلا ينخدع به أحد. فالإمام عليه السلام في هـذه الحكمة يبيّن حقيقـة كل من الحق والباطل ليتضح الأمر لذي عينين ولا يتـذرع أحد بالجهل وعـدم المعرفة، وهو عليه السلام في الوقت ذاتـه يدعونا -ضمناً- للتمسـك بحبـل الحق لأنه يمثل إرادة الله، وينهانا عـن الاغترار بصورة الباطل وما يحققه من مواقف لأنه يمثل الجهة المغضوب عليها على مرّ الدهور.

---

(١) روي في أصـول الكافي ج٢ باب (فضل فقراء المسـلمين) ح٢١ أنه (قال ابو عبد الله عليه السلام: مياسير شيعتنا أمناؤنا على محاويجهم فاحفظوها فيهم يحفظكم الله).

(٢) انظر المنجد ص٨٤٤. مادة (وبأ).

٤٢ – قال عليه السلام:

إنَّ أعظمَ الحسراتِ يوم القيامة حسرةُ رجلٍ كَسَبَ مالاً في غير طاعة الله فورثَه رجلٌ فأنفقه في طاعة الله سبحانه فَدخل به الجنة ودخلَ الأولُ به في النار.

الدعوة الى التوازن في كسب الثروة فلا داعي للتعجل أو الإغماض في تكوين الرصيد وتجميع المال لأن الإنسان مسؤول غداً عن تقديم لائحة بما ورد إليه وبما صدر عنه معززةً بالمعلومات الصحيحة وإلاّ نال العقاب وربما يوجد مَنْ لا ينفع معه هذا الأسلوب من الإقناع في الابتعاد عن الحرام فنجده عليه السلام يبيّن حالة أخرى وهي أن الإنسان الذي يشقى بجمع الثروة من الطرق الملتوية وغير المشروعة سوف يفارق المال فإذا وَرَّثَ المال لمن هداه الله تعالى ليستعمله في الحلال وفيما يرضاه عزّ وجلّ من سبل الخير – سواء لنفسه أو لعياله أو الآخرين – فحتماً سيكون الثواب والجزاء الأوفى للمنفق المباشر لا للمورِّث صاحب المال.

وهذه النتيجة توجب حسرة وندم المكتسِب الذي لم يبال في طريقة كسب المال وإنما كان المهم عنده جمع المال والاستحواذ عليه بأي شكل كان ومهما كانت نسبة الخطر فيه ومن جرّائه لمجرد تحقيق رغبته في تحصيل المال وليُعَدّ من أصحابه، ولا ينفقه في سُبُل الإنفاق المرضية لله تعالى، ولا بد أن لا ننسى الحكم الشرعي ولو كنا في مجال أخذ العبرة والموعظة وذلك لأنه يجب على الوارث أن يؤدي ما يعلم بأنه حرام على مورِّثِه الى أصحابه فإن لم يمكنه ذلك لفقْدهم وتعذّر التعرف على أحوالهم ومَنْ يتعلق بهم فيتصدق بالمال عنهم ليخفف بعض الثقل على مورِّثِه ويحلّ له ما يأخذه، وإلاّ فإذا علم بوجود حق للآخرين فلا

يجوز له التصرف حتى يؤديه لأصحابه ولا ينفعه التصدق لو لم يفعل اتكالاً على الحكمة؛ لأن الإمام عليه السلام لا يغيّر حكماً شرعياً بل يؤكده ويحث على امتثاله.

كما لا بُدَّ أن لا ننسى أن المال الذي نجمعه ونسعى في تحصيله بجهودنا الشخصية الذاتية هو منحة من الله تعالى تفضل بها علينا وكان دورنا منحصراً بالوصول إليها والحصول عليها. فالمال ننتفع منه ونملكه ما دمنا في الدنيا فإذا فارقناها فارقنا المال وانتقل الى غيرنا، فلا يتعلل البعض بأنّ هذا المال حصلت عليه من تعبي وكدي؛ لأنهما ينحصران في استخراجه والوصول إليه فقط بعد أن تكون الدنيا وما فيها ومَنْ فيها مخلوقة لله تعالى رب العالمين لا نملك منها إلاّ ما أَذِنَ لنا فيه.

٤٣- قال عليه السلام:

إنَّ مع كلِ إنسان مَلَكَين يحفظانه، فإذا جاء القَدَر خلّيا بينه وبينه، وإنَّ الأجلَ جُنّةٌ حصينة.

إنّ من المؤكد الطبيعي لدى الجميع -إلاّ مَنْ قلّ- الخوف من المستقبل والتوجس خيفة مما يقع واتخاذ إجراءات السلامة والاحتياط لأجل الحفظ والحراسة. وسبب ذلك واضح لأن الجميع يريد البقاء وطول المدة في الحياة فيدفع بجهده كل ما يحول دون ذلك، وربما في غمرة هذه الإجراءات الاحتياطية ينسى الإنسان وجود قوة تحفظه ولا يؤثر في ديمومتها وبقائها سلاح -مهما كان متقدماً- وإنما يخضع السلاح في تأثيره إليها، وتلك القوة هي قوة الحماية والسلامة التي يهيئها تعالى للمخلوقين على اختلافهم وتعددهم وتوزعهم الجغرافي وانتشارهم في الآفاق الكونية، بحيث لا يعجزها حفظ أحد مهما كان حجمه وموقعه ومصدر الخطر عليه وحجم قوة الحفظ والسلامة له؛ لأنه

تعالى خالق كل شيء وبيده مقاليد الأمور؛ فإنه خلقَ ملائكةً حَفَظَةً تقوم بهذه الواجبات يمكنها اختراق الحواجز مهما قويت وسُلّحت؛ إذ الملائكة أرواح مجردة شفافة لا تحتل مساحة أو حيّزاً فمن السهولة جداً رعايتها المكثفة لكل مخلوق حتى يبلغ الكتابُ أَجَلَه ويأذن تعالى بقبض روح المخلوق فتتركه وقدَره كيما تجري إرادة الله تعالى بشكل طبيعي من دون ما معارضة أو محاجزة.

والإمام عليه السلام يدعونا للتنبه الى هذا الأمر والوثوق بحفظ الله تعالى ورعايته للجميع فلا بُدَّ أن لا نخشى سواه لأنه تكفل بحفظنا، مضافاً الى أنه محيط بكل شيء علماً فإذا توجه نحونا مصدرُ الخطر دفعه عنّا وحال بيننا وبينه بقوته وتدبيره وليس بالضرورة إدراكنا لشكل مصدر الوقاية أو نوعه.

فالوقت المحدد لرحيل المخلوق هو الكفيل ببقائه حتى يحين، فلا بُدَّ من التخفف من القلق والخوف وإنما الأجدى إتخاذ الاحتياطات المناسبة مع التوكل على الله تعالى والالتجاء الى حفظه وحياطته لا الاعتماد على تلك الاحتياطات فإنها مهما كانت فهي محدودة ومتناهية.

٤٤ – قال عليه السلام:

أوضَعُ العلم ما وقف على اللسان، وأرفَعُهُ ما ظهر في الجوارح(١) والأركان(٢).

يقسّم الإمام عليه السلام العلم الى قسمين:

قسم يتصف بالضعة والتسافل وعدم التأثير، وهو ما كان حصة اللسان

(١) الجوارح جمع الجارحة: العضو من الإنسان. المنجد ص٨٦ مادة (جرح).

(٢) الأركان: الأطراف، ويغلب استعمالها في اليدين والرجلين والرأس بينما الجوارح تشمل حتى القلب. أقرب الوارد ج١ ص٤٢٩. المنجد ص٤٦٤، مادة (طرف).

من دون ان يستوعبه القلب ويحتويه الفكر استيعاباً واحتواءً مناسباً لجلالة قدر العلم.

وقسم يتسم بالرفعة وعلو الشأن والتأثير على الإنسان من جميع جوانبه الجسدية والفكرية، فلا يتصرف إلاّ وهو محتفظ بما علِمَه، فكأنّ العلم دليله في طريق الحياة فلا يصدر تصرف مشين يتنافى والعلم من أيِّ جارحة من جوارح بدنه ولا من أي طرف كان؛ لأن الإنسان عندئذ على مستويين:

إما أن تتعمق المعلومة في داخله ويعيشها فكرة ومعنى فيطبقها في حياته وتكون جوارحه واطرافه الجسمانية مستجيبة له في ذلك، فلا يتخلف قولُهُ عن فعلِهِ ولا فعلُهُ عن قولِهِ بل يتطابقان دائماً لكونه قد اقتنع بالفكرة فجذّرها في نفسه، وساعدته على ذلك جميع متعلقاته الفكرية والبدنية.

وإما أن يكون على العكس فلا تأخذ المعلومة طريقها الى داخله بل تظل حكراً على لسانه يرددها عند اللزوم ويستخدمها عند الحاجة فلا تعطيه ما يرومه منها من استخدامات في مجالات النفاق الاجتماعي والتمويه والخداع، بل تتعطل عند حدود المظاهر فينكشف أمره ويعرف الجميع من ضحايا التمويه والخداع بأنه مفترٍ في ادعائِهِ وما يردده فلا تنجح خطته.

ولذلك كله دعانا عليه السلام الى التحلي بصفة الواقعية والصدق فلا نحمل العلم للدعاية والإعلام ليقال أننا على علم وإنما نحمله للاستفادة الشخصية والتحلّي به لينعكس بالتالي على تصرفاتنا وتمتزج الفكرة بحيث تنطلق من حيث الصدق لتكون مؤثرة، لها رونقها وجاذبيتها.

وقد بين عليه السلام هذه النصيحة عن طريق الموازنة بين الأشياء ومن المعلوم أن الجميع يرغب في الأحسن ويبتعد عن الأسوأ - على الغالب -. وعسى أن نتأثر بقوله عليه السلام فنقتلع جذور: الرياء، النفاق، المباهاة الممقوتة،

المجاملة الكاذبة... من المجتمع لنكون صادقين وبالتالي مصدَّقين.

ولا بُدَّ من الانتباه الى أن المقصود بالعلم ما كان منجياً ومستعملاً في طاعة الرحمن تعالى، وأما ما كان مستعملاً بخلاف ذلك فهو من العلم الممقوت.

٤٥ - قال عليه السلام:

أولُّ عوض الحليم من حلمه[١] أنَّ الناسَ أنصارُهُ على الجاهل.

دعوة كريمة ونصيحة ثمينة تدل على حرص أكيد على مستقبل بني الإنسان. فإنّ من المعلوم تركّب الإنسان من قوى متضادة بحيث تسيطر على أفعالِهِ، وتصرفاته تكون منبعثة عنها، منها القوة الغضبية الناشئة من استحكام السَبُعِيّة وتغلّبها فيصير الإنسان شبيهاً بالسباع في حب الانتقام والتغلب على المعتدي.

فإذا تمكن الإنسان من أن يتوازن ليتحكم في درجة تلك القوة وينخفض لديه معدل الخسارة إلى أدنى نسبة ممكنة فيتغلب على نفسه ويتغاضى فيسامح ويغفر ولا يعيش السلبية المطلقة مع الطرف المعتدي - فإذا أمكنه ذلك - صار حليماً، وشرط الحلم أن يكون العفو من موقع القدرة وقاعدة القوة لا من الضعف وعدم إمكان المواجهة.

فإذا تحلّم الإنسان فماذا سيحصل؟ بعد انْ ذهب حقه وهُدرت كرامته... الجواب: إن الناس المعايشين للحالة سيتولونّ تلقائياً الدفاع عن الحليم ومقاضاة المعتدي بأسلوبهم الخاص ولو باللوم والتأنيب، وقد ينتج ذلك أن يأتي المعتدي معتذراً معترفاً بتقصيره.

---

(١) الحلم لغة: ضد الطيش، الصبر والاناة والسكون مع القدرة والقوة والعقل. المنجد ص ١٥٠ مادة (حلم).

ويكفينا لو حاولنا التحلّم أن نكون في موقع الوعي والقوة، ويكون الآخر جاهلاً.

وهذا منطق العقل الذي يجب أن يحكم الأمور إذا أردنا لأنفسنا وللآخرين العيش بسلام.

وينبغي لمتبعي الإمام عليه السلام أن لا يفكروا في لحظة ما أنّ ذلك من موقع التخاذل وعدم القوة، فعليٌّ عليه السلام قوي ويتعلم منه الناس القوة وما عرف التخاذل منذ خلقه الله، لكنه منطق الحكمة ولسان السياسة الاجتماعية التي توفر الأمان للرعية الذين يشعر إزاءهم بالمسؤولية.

٤٦ - قال عليه السلام:

أهل الدنيا كركبٍ يُسارُ بهم وهم نيام.

الدعوة إلى التيقظ وعدم الركون التام للدنيا والاغترار بها؛ فإنها زائلة فانية لم تخلق إلاّ كمرحلة موقتة يُختبر فيها الإنسان ليسعى ويحصّل ما ينفعه في الدار الآخرة الباقية، فهي محطة توقف يتزوّد منها الإنسان من الخيرات التي تنفعه بعدئذ وقت فقره وفاقته، ثم تنقضي أيامه فيها وهو لا يشعر، فلابد من الاهتمام بمستقبله لئلا يُغْلَب وتفوت الفرصة إذ لا مجال للرجوع.

فهذه الدعوة لأجل التنبه لئلا يُستغفل الإنسان العاقل فيخرج الأمر عن يده بالموت، وقد مثّل عليه السلام حال أهل الدنيا بالمسافرين النائمين في واسطة نقل تقطع بهم المسافات الكبيرة من دون أن يشعروا، وعدمُ شعورهم لا يبرر شيئاً ولا يغّير من الواقع شيئاً؛ لأن الواسطة تسير وتقطع المسافة وتتحول من منطقة إلى أخرى.

ومن هنا جاء تشبيه حال الإنسان في الدنيا بمَنْ ركب واسطة نقل ليصل إلى محطة أخرى فسارت به وهو نائم، فحتماً ستنقضي المسافة وينتقل عن المكان الأول بمجرد مرور الواسطة، ولا دخل لكونه غير ملتفت لذلك. فالحث على التزود بما ينفع عند لقاء الله تعالى وعدم الغفلة عن الحالة الموعودة المرتقبة، والتي يتعرض لها كافة الخلق وهي انقضاء الدنيا وبقاء الآخرة.

ومن المعلوم أن كل احد يأخذ نصيبه من الجزاء المناسب لأعماله، فعلى الإنسان أن لا يقّصر في هذا الجانب فيخسر يوم القيامة ويكون قد حكم على نفسه بالخسارة الأبدية.

٤٧ - **قال** عليه السلام :

الإيمانُ أن تُؤثرَ[١] الصدقَ حيثُ يضرك على الكذب حيث ينفعك، وأنْ لا يكون في حديثك فضلٌ[٢] عن عملك، وأن تتقي[٣] الله في حديث غيرك.

يصوّر الإمام عليه السلام الإيمان وهو قائم على ثلاث ركائز:

الأولى: الصدق.

الثانية: مطابقة القول للعمل، والواقعية.

الثالثة: تقوى الله وخوفه في الغير.

وهذه الركائز الثلاث أسس مهمة لبناء شخصية الإنسان المسلم بالمعنى الصحيح. لأن الكثير ممن ينطق الشهادتين يتساهل في تطبيق ما يفرضان عليه

---

(١) أي تختار.

(٢) الفَضْل: الزيادة. المنجد ص٥٨٧ مادة (فضل).

(٣) أي تخشى وتخاف وتحذر. المنجد ص٩١٥ مادة (وقي).

من التزامات.

فالله ورسوله يحثان على الصدق وتجنب الكذب وتبديل الواقع وتزوير الحقيقة مهما كان الموقف، وان دلّ هذا على شيء فإنما يدّل على ضرورة الصدق في استقامة حياة المسلم وإلاّ لتعثرت بالباطل الذي تكون الخسارة فيه أعظم من الربح المنظور.

وكذلك يحثان على عدم التخلف عما يرفعه المسلم من شعارات بل عليه أن يطبق ذلك إن كان مؤمناً بجدواه وواثقاً من أثره الايجابي. فالتوافق بين الحديث والتطبيق أمر هام للغاية و إلاّ لأختل ميزان حياة المسلم فلا يستطيع أن يفعل شيئاً أو يحقق هدفاً كان يصبو إلى تحقيقه لأن المشكلة تكمن في عدم صدق و عدم واقعية المتكلم فلا يدري الإنسان بأنه في أي اتجاه يسير وأيَّ شيء يصّدق القول، أم الفعل؟ فهذا التذبذب في المواقف وعدم الانتظام يوجد حالة من التوتر والتسيّب لا تضيف شيئاً سوى المشكلات.

وكذلك يحثان على الدقة في أداء الحديث وعدم الإضافة فيه مما يضر بالغير وان ينصفه فلا يبخسه حقه. فقد يتصرف الإنسان - الناقل- فيما سمعه وتترتب على ذلك المشاكل، أو يكون في حالة يسعه أن يتكلم بما شاء عن الغير ولكن يترتب على ذلك تلويث السمعة أو الخسارة بأي نحو كانت. فلابد من التقوى سواء في اجتناب الكذب أو في اجتناب تخلّف القول عن العمل أو في النقل عن الغير إن كان بصورة التحدث عن شخصيته أو نقل حديثه وهذا تحديد دقيق لهوية الإيمان يلزمنا الالتزام التّام به.

حرف الباء

٤٨ - قال عليه السلام:

بئس[١] الزاد إلى المعاد[٢] العدوان[٣] على العباد.

الدعوة إلى الابتعاد عن الظلم والتعدي على حقوق الغير، وان ذلك من أدنى وأخس ما يحمله العبد في سفره إلى الآخرة عند مساءلته أمام جبّار السموات والأرض.

ففيها تزهيد للإنسان لئلا يظلم، وذم للظلم بصوره ومجالاته كافة والظروف المبررة له. وتتضمن - طبعاً - الدعوة إلى التعامل وفقاً لميزان الحق وعدم بخس غيره حقه لئلا يكون معتدياً فيكون قد تزّود بالعدوان والظلم الـصُرَاح للعباد، فلابد لنا أن تتسامى أرواحنا ولا نقابل مَنْ ظلم بالظلم حتى لا نساويه وإنما علينا استنقاذ الحق - واثبات الوجود - من دون اللجوء إلى

---

(١) بئس :فعل ماض جامد يستعمل للذم.

(٢) المعاد :الآخرة. المنجد ص٥٣٦ مادة (عود).

(٣) العدوان :الظلم الصراح. المنجد ص٤٩٣ مادة (عدا).

أساليب التعنت والتعدي.

٤٩ – قال عليه السلام:

البخلُ جامعٌ لمساوئ[1] العيوب، وهو زمامٌ[2] يُقاد به إلى كل سوء.

الدعوة إلى تعويد الإنسان نفسه على الترفع عن البخل؛ لأنه حالة مذمومة وسيئة التأثير فإن الإمساك والشح عن الإنفاق والصرف يولّد:

(١) الحرص على جمع المال، والتقتير في الصرف على النفس أو العيال.

(٢) والتجري على التسامح في إخراج الحق الشرعي المترتب بحسب نوعية المال.

(٣) والظهور بمظهر البائس المُعْدَم فكأنه يشكو ربَّه إلى الناس بينما قد تفضل تعالى عليه بما يرفع عنه هذه الضائقة المصطنعة.

(٤) والتكلم على الآخرين بالباطل واتهامهم بالإتلاف والإسراف وعدم العقلانية في التصرف.

(٥) والحسد.

(٦) والحقد.

(٧) والتفتيش وراء الناس بما لا يُحبُّوا أن يعلمه أحد من صرف وإنفاق، و...، و...

فالإمساك والشِح بجمعهما لهذه الخصال وغيرها، صارا مجمعاً لقبائح الأفعال والأقوال التي هي مساوئ العيوب، ولابُدَّ من التمعن عند قوله عليه السلام

(١) المساوئ جمع المَسَاءَة: القبيح من الفعل أو القول. المنجد ص٣٦١ مادة (ساء).

(٢) الزِمَام: المِقْوَد. المنجد ص٣٠٥ مادة (زمّ).

(مساوئ العيوب) فإنه أتى بالمضاف و المضاف إليه مع أنّ العيوب لوحدها منقصة يبتعد عنها العاقل المتدين فكيف إذا كان العيب سيئاً إلى هذه الدرجة؛ وذلك لأن غالب بني الإنسان متصف بعيب - وهو لغة (النقيصة)[1]- سواء في الخَلْق والمظهر الخارجي أو الأخلاق والطبايع ولكن مع تفاوت في درجات العيب فقد تتضاءل نسبة العيب في حالةٍ بينما تتركز في حالةٍ أخرى فتكون عندئذ من مساوئ العيوب كما في البخل.

ثم أضاف عليه السلام وصفاً آخر للبخل لنبتعد عنه ونتعوّد الترفع عنه والاحتراز منه، وهو أنّ البخل يقود صاحبه إلى السوء. ولذا نجد البخيل مذموماً اجتماعياً بدءاً من بيته ومروراً بالمحيط القريب له وانتهاءً بمن يعرف عنه هذه الخصلة ولو بعيداً عنه.

وأيضاً نجده مُحتقَراً ومنبوذاً ومُستهزَئاً به ومُهاناً - في أغلب الحالات إلاّ إذا كان عنوانه الاجتماعي يحفظه مؤقتاً وإلاّ فهو في معرض الإهانة في غيابه - ولا يُرتاح إلى وجوده، ولا يُقَدّر، ولا يُصغى لقوله لأنه متهم فيه بأنه تحت تأثير البخل.

نعم، قد توجد استثناءات لكنها موقوتة ومحدودة جداً لوجود الحالة الاجتماعية المعيّنة وإلاّ فالناس عموماً لا يرتاحون للبخيل ويذمونه ولا ينفتحون عليه مهما كان قدره إلاّ بمقدار الضرورة التي يحتّمها - التنافق الاجتماعي - والمجاملات العرفية.

---

(١) المنجد. ص٥٤٠ مادة (عيب).

٥٠- قال عليه السلام:

البخلُ عارٌ، والجُبْنُ منقصةٌ، والفقرُ يُخرسُ الفَطِنْ[١] عن حجتِهِ [حاجته.خ]، والمُقِلُّ[٢] غريب في بلدتِهِ، والعَجْزُ[٣] آفةٌ[٤]، والصبرُ شجاعةٌ، والزهدُ ثروةٌ، والورعُ جُنّةٌ[٥].

قد حوت هذه الحكمة مجموعة من التوجيهات المهمة والتي تثمر بمجموعها شخصيةً متوازنةً للإنسان في إطار المجتمع، فيحسن أن نتسلسل في شرحها والاستظهار منها على شكل نقاط:

١- تقدم في الحكمة السابقة بيان أن البخل جامع لمساوئ العيوب ويؤدي إلى كل سوء مما يوجب التخلي عنه لو ابتلي به الإنسان، أو الابتعاد عنه ابتداءً.

٢- الجبن: ضد الشجاعة ومن المعلوم أن القدرة على المواجهة والمدافعة ومغالبة النفس في حبّ السلامة من صفات الكمال للإنسان، بينما نجد أن العكس بالعكس أي أن ضعف النفس وخورها والخوف والهلع من صفات النقص والذم للإنسان؛ لأن الكامل عليه أن يتحلى بالقدرة على مواجهة الأزمات والتغلب عليها والتجاوز عنها إلى مرحلة السلامة والنجاة.

فالإمام عليه السلام يحَذِّر من الجبن لأنه مما يُنتقص به الإنسان فلا بُدَّ من التخلي عنه والتحلي بالشجاعة والمواجهة لتكتمل شخصية الإنسان.

٣- من الأمور التي يهرب منها الإنسان في حياته حالة (الفقر)؛ لأنه من

---

(١) الفَطِنْ: صاحب الفِطْنَة وهي الحذق والفهم. المنجد ص٥٨٨ مادة (فطن).

(٢) المُقِلّ: الفقير وفيه بقيّة. المنجد ص٦٤٨ مادة (قلّ).

(٣) العَجْز: الضعف. القاموس ج٢ ص١٨٠.

(٤) الآفة: العاهة أو عَرَضٌ مفسدٌ لما اصابهُ. القاموس ج٣ ص١٢٠.

(٥) الجُنَّة: كلُّ ما وَقَى. القاموس ج٤ ص٢١٠.

المصائب العظيمة التي تترك آثاراً سلبية كثيرة ومنها أن الإنسان الذي له القدرة الكاملة على فهم الأمور بالشكل الصحيح والسريع والمباشر - فهو يتصف بالكمال من حيث الفهم - لكنه إذا شعر بفقره فلا يكون قوي الحجة، واضح البيان بل يتلكأ ويتعثر ويتلعثم فكأن الفقر يكون حاجزاً دون إفصاحِهِ عما يريد. هذا على نسخة (حجته) وأما على النسخة الأخرى (حاجته) فهو يخرس ويقف موقف المتحيّر لو أصابه الفقر لشعوره بالحرج من الداخل فلا يمكن إبداء حاجته ولا السيطرة على وضعه المالي ولذا يعيش الضنك والفاقة بشكل يدعو للشفقة خاصةً إذا كان ممن يتحلى بصفات كريمة سواء كانت علمية أم عملية فالوطأة عليه أثقل والخجل من إبداء الحاجة أشد، ولعل من الممكن أن نستظهر دعوة الإمام عليه السلام إلى: (أ) احترام صاحب الفهم والفطنة وعدم الازدراء به لعدم إمكانيته على تأدية مراده وأيضاً إلى (ب) رعاية حال الفقراء ومعاونتهم على مجاوزة المحنة.

٤ - ثم أردف عليه السلام الجملة السابقة (الفقر يُخرس الفَطِن عن حجته [حاجته.خ]) بقوله: (المُقِلُّ غريب في بلدته) للتأكيد على الاهتمام بشأن مشكلة الفقر وانه مما يتساوى فيه الجميع، وانه لا(تأمين) ضده، ولا يتعالى عنه أحد مهما كان مركزه الاجتماعي، الاقتصادي، الديني...

وإذا كان كذلك فمن الضروري جداً أن يتعاون الإنسان الميسور الحال مع أخيه الإنسان الذي أَقَلَّ - بمعنى أشرف على إعلان الفقر التام والاحتياج لكنه في وقته الحاضر لديه بعض الشيء - والدعوة لمساعدته ومعونته لرفع وحشة الغربة عنه ولو كان في بلده لأنّ المال يحيط الإنسان بما يرفع الوحشة، ويهيئ له مَنْ يصحبه ولو لمالِهِ، وهذا أمر مهم يعاني منه الكثير، فلابد أن لا نستوحش من فقير أو مشرف على الفقر أو نبتعد عنه أو نقللّ من احترامنا له واهتمامنا به؛ لأن

المال ليس كل شيء في الحياة ولا يعني شيئاً كبيراً سوى انه معونة الله تعالى لعباده في الدنيا لتمشية أمور معاشهم وحياتهم، فبقاؤه غير أكيد، ووجوده محتمل غير متيقن، فلابد أن لا يُعتمد عليه وان لا يُجعل حاجزاً بين الإنسان وأخيه الإنسان لأنه سرعان ما يزول فيتمنى الإنسان - العاقل - أنْ لو لم يكن قد وضعه بينه وبين أخيه الإنسان.

٥- إن الشعور بعدم القدرة على شيء - أياً كان - يتعب الإنسان نفسياً وربما جسدياً ولذلك عدة مظاهر: كعدم القدرة على التعلم أو الغنى أو الارتقاء إلى مستوى أعلى يحلم به أو الحلول في مكان مّا أو الحصول على اُمنية مّا أو.. أو... مما يثير في الإنسان مشاعر المعاناة والتألم الداخلي ولذا أخبر عليه السلام عن أن العجز في أية مرحلة من مراحله وأي مستوى من مستوياته وفي أي ظرف يقع، يعتبر مفسداً لما أصابه وآفة تنذر بالخطر لأنها تستولي عليه في يوم مّا وتقضي عليه.

فالدعوة إذن إلى التحلي بروح الانفتاح ومحاولة التشبث والإعادة وعدم الاكتفاء بالمرة حتى لا تحصل حالة تسمى بالعجز فانه إذا عرف الإنسان نفسه بأنه عاجز عن شيء فان شعوره هذا كفيل بالحيلولة دونه ودون المواصلة في الحياة.

فلا بُدَّ من المواصلة وعدم الاستسلام لأول الحوادث الحاجزة أو المعرقلات الموضوعة بل على المؤمن أن يتسم بروح تفاؤلية عالية توصله إلى مطلوبه المشروع - طبعاً - وان طال الزمان لئلا يتحقق العجز فيصاب بالآفة.

٦- لاشك أن الإنسان معرَّضٌ للابتلاء وحلول المصائب به فهو والحالة هذه إما أن يستسلم وينهار كما هو حال الضعيف، أو يواجه المشكلة باحثاً عن حلها ويتجلد ولا يشكو مما أُبتلي به ليكون بذلك شجاعاً؛ لأن روح المقاومة

وعـدم الاستسـلام للمصائب تعتبر روحـاً عالية لا تقل في أهميـة الاتصاف بها عن تلك الروح (القتالية) العالية حيث يتعرض الإنسان في كلتا الحالتين لضغط حاد فيحاول التخلص من وطأته والنجاة بأقل الخسائر.

فالدعوة للتحلي بصفة الشـجاعة عبر مواجهة الطـوارئ والتجلد أمامها وعـدم الاهتمام البالـغ (المميت) بها أو بـث الأحزان والشـكوى مما أصاب من خلال تلكم الطوارئ لئلا يُوَاجَه من قبل الآخرين بالرفض أو الاشـمئزاز فإنها حالـة خاصة، لا يتسـع صدر كل أحـد لتحمل بعض أعبائها ولـو الكلامية من خلال الشكوى.

٧- إذا عرفنـا أن اللغـة تحدد الزهـد بأنه (الإعراض عن الـشيء احتقاراً لـه)(١)، عرفنـا أن الزاهد ثريٌّ غني بما سـيطر على نفسـه وهواه فلـم يذل لأحد لأجل الحصول على شيء.

وعرفنـا أيضـاً أن الزاهد مترفع عـما في أيدي الناس لاتجاهـِهِ خَطّاً غير ما سـلكوه من خـط التلهـف وراء الأشـياء المادية والاسـتماتة في سـبيل الحصول عليها.

وعرفنـا أيضـاً أن الزاهد له رصيد دائم لا ينضـب في يوم ما، ولا تعرض عليه عوارض النفاد والاسـتهلاك لأن رصيده يستمّد من إيمانه وثقته بأن الدنيا ومـا فيهـا لله تعالى، وبأنّ الدنيا وما فيها زائل، وأن مَنْ يحوي شـيئاً مادياً لابد أن يفارقه في يوم ما، فهذا الإيمان العميق بالفكرة يجعله يتخفف من كثير مما يتمسك بأهدابه الآخرون بل ويستميتون في ذلك.

وإذا كان المقصـود للنـاس التغلـب عـلى صعـاب الدنيا بالمـال وبالكمية الكثيرة منه ليطمئنوا إلى حفظ مسـتقبلهم فالزاهد قد حفظ مسـتقبله بالاستعانة

(١) المنجد. ص٣٠٨ مادة (زهد).

بالله والتوكل عليه وتدبير شئونه الدنيوية بما لا تتوقف معه العجلة من دون طلب المزيد الذي يذهب وتبقى تبعته.

فحقاً إنّ الزاهد بحصوله على هذه السيطرة النفسية العظيمة ثريٌّ لا يحتاج إلى معونة أحد.

٨- إنّ الورع يحصل للإنسان إذا اجتنب المعاصي والشبهات وبذلك يكون قد أحاطت به سترة واقية من العَوادي والآفات التي يحتمي منها الإنسان غالباً: المرض، الفقر، عدم الاستقرار، الفشل في الحياة بأنواعه، عدم المصداقية والموضوعية بين أفراد طبقته؛ لأنّ المعاصي أو الأمور المشتبهة - التي تكون في خطٍ بين الوضوح والغموض فلا يجزم بأنها نقية - إذا ابتعد عنها الإنسان سوف يتخلص من (عُقَد) ومزالق ومطبّات ومشاكل يتعرض لها غيره كثيراً نتيجة عدم التورّع والاجتناب، الأمر الذي يصلح أن يكون خطاً تقاس عليه الأمور كما دلّت التجربة عليه وأكدته الروايات.

فالدعوة في هذه الحكمة إلى التخلي عن البخل وعن الجبن وعن حالة الهلع وعدم المواجهة وعن الاقتحام في الشبهات وعن عدم التورع، وهي دعوة في ذات الوقت إلى التحلي بالسماحة والقوة والصبر والزهد في ما حَرّم الله والتورع عما فيه شبهة فضلاً عن الحرام. لتكتمل بالتالي شخصية الإنسان متوازنة قوية.

٥١- قال عليه السلام:

بَقيّةُ السيفِ أبقى عدداً وأكثر ولداً.

إنّ من العادات السيئة لدى بعض الناس ازدراء الآخرين وعدم الاهتمام بهم لبعض الأمور التي لا تشكّل بمجموعها مصدر اهتمام أو أهمية وإنما تعود إلى الشكلية والمظاهر أكثر منها إلى الواقعية.

ومنها استفراد الشخص إذا كان وحيداً أو قليل العدد على أساس من عصبية القبليات الممقوتة المذمومة من: أن الأكثر هم الأقوى، وهذا أمر – وللأسف – يتحكم في الكثير فيكون عاملاً مهماً عندهم في التقييم والاحترام أو العكس، بينما نجد الإمام عليه السلام يؤكد انه ليس أمراً أساسياً، فلا يصلح لأن يحكم علاقات الإنسان في مجتمعه بل لا بُدَّ من ملاحظة صفات أُخر إذا توفرت أمكن تقييم المقابل من خلالها ولو كان قليل العدد أو وحيداً منفرداً. وكان توجيهه من خلال هذه الحكمة – التي استبهم أمرها على كثير – متماشياً والسائد في عصره من كثرة الحروب بين القبائل فعبّر عن ذلك بما يفهمه أهل العصر من انه إذا وقعت حرب بين جماعة وقُتِل بعضُهم مع متعلقيه و بقي فرد واحد يمتُّ إليه بصلة يكون وجوده نافعاً في إبقاء الاسم والحماية والأخذ بالثأر والتذكير بالراحلين ومحاولة تعديد الأولاد حتى يشكِّل جبهة مقاومة ضد القاتل وجماعته.

إذن ما أبقاه السيف وفَلَت منه كان حضوره مشهوداً وفعاليته أكثر من الجماعة؛ إذ صدور هذه المهمات من الجماعة غير مستغرب بينما هي من الواحد أغرب. فيمكن استظهار الدعوة إلى احترام الآخرين وعدم الاستهانة بأحد بسبب وحدته أو قلة عدد مَنْ معه؛ فإن العدد لا يشكل مصدر القوة دائماً بل تتحقق بالعدد القليل أيضاً وتكون البركة في ذلك العدد القليل أو الفرد الواحد.

وجاء الحث على نبذ هذه العادة القَبلية ليعيش الإنسان بما يقدمه وبما يبذله وبتضحيته لا بكثرة عدده وعشيرته ولنتخفف من هذه التحكّمات الفارغة التي لا تقوم على أساس التقى والدين.

٥٢- قال عليه السلام:

بكثرة الصمت تكون الهيبة، وبالنَصَفَة يكثر المواصلون، وبالإفضال تعظُم الأقدار، وبالتواضع تتم النعمة، وباحتمال المؤن يجبُ السؤدد، وبالسيرة العادلة يُقهرُ المناوي، وبالحلم عن السفيه تكثر الأنصار عليه.

الدعوة إلى التحلي بصفات:

١- الصمت: السكوت وهو ضروري في كثير من الحالات الاجتماعية والعكس يسبِّب - أحياناً - آلاماً ومشاكل للمتكلم أو للغير.

وهو منجاة من الخَطَر، إذ كثيراً ما يقع الإنسان في ورطة نتيجة تكلمه.

وهو موجب لقلة الخطأ، لأن كثرة الكلام قد تجر للخطأ.

وهو مما يساعد على إضفاء الوقار والهيبة على الصامت فيقلِّل من حالات التعدي عليه ولا يُقْتَحَم بسهولة فينجو صاحبه من كثير من حالات الأذى والشر.

٢- النَصَفَة: الإنصاف والعدل[1] وهو مطلب عام يبحث عنه الجميع ولو لم يمارسوه من موقع التنفيذ إلاّ انه محبب للنفوس عموماً فإذا تحلّى الإنسان بذلك كَثُرَ مَنْ يوادّه ويواصله رغبة في سيرته وترجيحاً له على غيره لهذه الصفة المهمة التي تسيطر على النفوس.

فالدعوة إلى الإنصاف والعدل لأنه يحقق الأمان والاستقرار ويقيم أمر الله تعالى في الارض وعندئذ تقّل فرص وقوع الظلم المقيت.

---

(١) المنجد. ص٨١٣ مادة (نصف).

٣- الإفضال: (الإحسان المتعدي إلى الغير)[1] والأقدار: جمع القَدْر: (الحرمة والوقار، الشأن)[2]، إن الإحسان يحتل موقعاً مهماً في القلوب فبِهِ تتأكد المحبة وتتجذر المودة ويعلو شأن الإنسان المحسن ويكثر محبّوه وموقروه، لأن كل أحد يرغب في التكريم وإيصال النفع إليه ولو كان مستغنياً عنه لأن النفس قد فُطِرَت على حب مَنْ أحسن إليها إذ يجد الإنسان أنّ المحسن محبٌ له وصادق في محبته ولذا أوصل إليه الإحسان.

وإذا ساد هذا الجو فستعم الصلة بين الإنسان وأخيه الإنسان مهما كان المقابل في مستوياته المختلفة: الاجتماعية، العلمية، الاقتصادية، المذهبية...، بعد أن كان مفتاح القلوب - السوّية - هو الإحسان فالدعوة منه عليه السلام إلى الإحسان ليعم الاستقرار وانفتاح البعض على البعض الآخر. ويكون كلٌّ من فاعل الإحسان ومتلقيه منتفعاً؛ فإن الفاعل للاحسان يزداد احترامه وتوقيره ويعلو شأنه وحظه بين الناس. وكذلك الواصل إليه الإحسان ينتفع بوصول الإحسان فيسد حاجته بذلك سواء كان الإحسان مادياً أم معنوياً.

٤- التواضع: (ضد التكبر) فهو صفة مطلوبة محبوبة تساعد على تكوين الشخصية الاجتماعية؛ لأن تعويد النفس على احترام الآخرين وتوقيرهم والتعامل معهم بطيب، يؤثر أثراً بالغاً في نفوسهم فيتعلقون بالمتواضع تعلقاً نفسياً عجيباً، بعد أن وصل إلى قلوبهم بالتقدير والتوقير، وهذان أمران يطلبهما كل أحد حتى الصغير أو الوضيع اجتماعياً.

فالدعوة للتواضع باعتباره عاملاً مهماً للكسب الأخلاقي في المجتمع وعنصراً مهماً في التأثير على القلوب وجعلها في صف المتواضع فيكثر الأصدقاء

(١) مجمع البحرين. ج٥ ص٤٤٣.
(٢) المنجد. ص٦١٢ مادة (قدر).

والمعاونون. وبهذا الخُلُق الفاضل يعرف الإنسان انه محل عناية الله تعالى وفضله؛ إذ العمل بما يحب الله تعالى يدل على رضاه وإنعامه على العبد.

٥- المؤن جمع المؤنة: (القوت، الشدة والثقل)[١]، السؤدد (كَرَم المنصب، السيادة، القَدْر الرفيع)[٢]، إذا خفف الإنسان من أثقال غيره اوجب ذلك أن يعترف له بالجميل وحسن الصنيع ويكون محلاً للثقة والاحترام والمتابعة؛ لأن أيَّ شيء يفعله الإنسان من شأنه مساعدة الآخرين، يترك أثراً طيباً في نفوسهم ويكون سيدهم بلا منازع؛ لما قدّمه لهم من يد المعونة والمساعدة في ظرفهم الخاص، فالدعوة إلى أن يتحلى الإنسان بهذا الخُلق مع ما فيه من التعب الجسمي أو النفسي – أحياناً – إلاّ انه يُكثِّر الأصدقاء والمحبين ويُعلي قدر صاحبه ويرتفع به حتى يجعله مسموع الكلمة بلا منازع وفي هذا عزة اجتماعية وكرامة ينشدها الإنسان للرفعة في الدنيا والآخرة.

٦- التعامل الطيب والسيرة الحسنة يكسب الإنسان أخواناً وأعواناً ومحبين فيكونوا معه على عدوه، ويستطيع تحقيق أمانيه، ومما لا يخلو منه أحد – من الناجحين في الحياة – هو وجود المناوئ وهو المفاخر المعادي[٣] فلدفع عاديّة المعادي ينبغي للإنسان أن يتعامل ايجابياً مع غيره ليكثر أنصاره عند الحاجة.

٧- تقدم في شرح الحكمة (٤٥) (أول عوض الحليم من حلمه أن الناس أنصاره على الجاهل) بيانُ أهمية التغاضي عن إساءة الآخرين والسيطرة على الغضب وعدم إنزال العقوبة مع القدرة التامة عليها حتى يكون الناس هم الكافّين أذى المعتدي. مضافاً إلى أن الإنسان إذا أراد أن يصّد اعتداء كل أحد

(١) المنجد. ص٧٤٥ مادة (مأن).

(٢) المنجد. ص٣٦١ مادة (ساد).

(٣) المنجد. ص٨٤٤ مادة (نوأ).

فعليـه أن يتنـازل عن منزلته الاجتماعيـة الأخلاقية ويكون في مسـتوى المعتدي الجاهل ليرد عليه، فالدعوة إلى الإغضاء عنه والعفو عن إسـاءته ولعل الله تعالى يبـارك في خطوتـه هـذه فيكسـب الجاهـل إلى صفه فيكـون قد أنقـذ جاهلاً من الضلالة.

حرف التاء

٥٣- قال عليه السلام:

تذلُّ الأمور للمقادير حتى يكون الحتف في التدبير.

يحاول الإنسان حفظ سلامته بمختلف الأساليب الواقية، وهو بهذا يتجاوب مع نداء غريزي يجده كل إنسان من نفسه للسيطرة على منافذ الخطر إليه، ولكن الإمام عليه السلام أراد أن ينبه إلى وجوب أن يعتقد الإنسان بأن الله تعالى بيده كل شيء فإذا أراد شيئاً لا يدفعه أيُّ أسلوب وقائي دفاعي مهما كان متطوراً.

إذن فلا بُدَّ من التسليم لتقدير الله تعالى والاعتراف بعظيم قدرته والإذعان بأنه النافع الضار وبأنه لا يصيبنا إلاّ ما كتب الله لنا. نعم من الأمور التي يأمر بها العقل هو إيجاد الوسائل الوقائية المناسبة لكن بشرط أن لا يأمنها الإنسان مطلقاً على أساس من الانقياد لقوة السيطرة والتحكم فيها، بل يتعامل مع الموضوع على أساسٍ انه يفعل ما يناسبه كمخلوق ويعترف لخالقه تعالى بالقدرة. وان ما أتخذه من إجراءات الأمن والحماية لا تقي دون أمر الله، بل إذا أراد الله تعالى أمراً

كانت نهاية الإنسان عن طريق ما أعدّه من وسائل وقائية لحمايته، كما هو مُشاهد بـان يكون السـلاح الذي أعدّه الإنسـان لحمايته هو الذي يقـضي عليه، وكذلك الدواء أو غيره مما يتعامل معه الإنسان في حياته مما تكون نهايته فيه، وإنْ دلّ هذا عـلى شيء فإنـما يدل على أن الله تعالى وحده القادر على حفظ حياة المخلوق دون سواه.

٥٤- قال عليه السلام:

تركُ الذنبِ أهون مِنْ طلبِ التوبة.

معادلة صحيحة بكل المقاييس، يرشـدنا الإمام عليه السلام إلى أن نتذكرها دائماً في تعاملنـا اليومي، لأن الإنسـان يذنب ويسـتغفر، ويتجاوز ويطلب السـماح، ويخطئ ويعتذر...

فالدعوة إلى حفظ كيان الإنسان وكرامته بأن لا يتجاوز الحدود المسموح بهـا خاصـةً وأنـه لا يتحمل أيَّ عـبء إذا ترك شـيئاً لكنه بطبيعـة الحال يتحمل أعبـاء ثقيلة إذا صدر منه أيُّ شيء فإنه يفكـر في طريقة طلب العفو، وفي الوقت المناسب، وفي الحالة اللائقة، وفي قبول الاستغفار والاعتذار أو عدم قبوله و...

كل ذلك إذا صدر الذنب أو تجاوز الإنسـان حدوده سواء مع ربه، أو مع أخيه الإنسـان. لأن الإمام عليه السلام يعلّمنا من خلال تعاملنا مع الخالق تعالى كيفية التعامل مع المخلوق الذي يصعب التعامل معه كثيراً لتركبه من أهواء وحالات انفعالية غير محدودة مما يجعل طريق التعامل معه شاقاً، بينما نجد أن الخالق تعالى هو ولي العفو والقادر عليه وكل المخلوقين يطمع في رحمته وعفوه.

ومن الواضح أن الإنسـان لو استقام ولم يذنب ولم يتجاوز في خط تعامله مـع ربه تعالى أو أخيه الإنسـان، لَمـا ذلّ، ولَما احتاج إلى الاعتـذار؛ لأن كثيراً من

هذه الحالات إنما هو خذلان الله للعاصين والتخلية بينهم وبين أنفسهم التي لا يستطيعون لها تدبيراً من دون رعاية الله تعالى.

٥٥ - قال عليه السلام:

التُقى رئيسُ الأخلاق.

الدعوة إلى مخافة الله تعالى ومراقبته والعمل بطاعته واجتناب معاصيه ونواهيه؛ لأن ذلك كفيل بتعويد الإنسان على محاسن الأخلاق وتمرسه في ذلك بحيث يمدحه كل أحد ويكون مأمون الجانب محبوباً.

بعكس مَنْ لم يتصف بذلك فالله يبغضه؛ لأنه من المتجرئين عليه بارتكاب المعاصي، والناس أيضاً يكرهونه؛ لأنه لا يرتدع عن إيذائهم ومغاضبتهم سواء باللسان أو باليد، فإن الإنسان إذا نزع منه الخوف من الله ومراقبته تحوّل إلى مخلوق عادي اجتمعت فيه القوة الغضبية والبهيمية وغيرها فلا يهمه إلاّ إشباع بطنه وغريزته الجنسية والبطش بمن يتعدى عليه بل ومَنْ لا يتعدى لإبراز العضلات وإثبات وجوده القوي بين مَنْ حواليه.

فلا بُدَّ للإنسان من أن يلتزم جانب التقى ليحفظ نفسه من عذاب النار وإساءة الناس.

٥٦ - قال عليه السلام:

تكلّموا تُعرفوا، فإنَّ المرء مخبوء[1] تحت لسانِه.

أنعم الله تعالى على الإنسان بنعمة النطق ليبدي مقاصده وما يريده من

---

(١) أي مستور ومخفي.

مطالب وحوائج لأنه لولا اللسان لما أمكنه الوصول إلى أهدافه بالطريقة التي يصل إليها فعلاً، فإنَّ الإشارة أو الكتابة أو الرسم مهما كانت نتيجته لا يقوم بنفس الدور الذي يقوم به اللسان في التعبير عن المراد. واللسان طبعاً بالاشتراك مع التجويف الفموي وجهاز التنفس بكل محتوياتها يؤدي هذه الخدمة الجليلة.

فلابُدَّ أن يحسن الإنسان - العاقل - استخدام ذلك لمصلحته الشخصية ومَنْ حواليه لتعم الفائدة ويتكامل بنو الإنسان. فباللسان وما يؤديه من الكلام تُعرف قدرات الإنسان ومستوى عقله فيُقيّم على أساس ذلك لا على أساس الرصيد المالي أو الجاه الاجتماعي أو الملابس والمظاهر الأخرى لأن كل هذا يمكن للإنسان أن يتظاهر فيه بما هو غير الواقع، ولكن الكلام إنما هو نتيجة مستوى التفكير ومقدار العقل والاستيعاب وتحليل المواقف المواجهة فهو أدق ما يكشف عن شخصية الإنسان.

هذا كله في المواقف الطبيعية لا الأدوار التي يحتاج الإنسان للقيام بها لغاية معينة مع المحافظة التامة على أن لا تخرج به عن الإطار الصحيح للإنسان الملتزم.

٥٧- قال عليه السلام:

تنزل المعونة على قدر المؤنة.

عندما خلق الله تعالى الإنسان تكفّل برزقه وما يحتاجه للبقاء والعيش كإنسان، كل ذلك وفق حاجته من دون ما تقتير أو تبذير لأنه تعالى اعلم بما يُصلح عبده وبما يحتاجه العبد، فيسعفه بالنجدة المطلوبة وقت الحاجة. ولذلك عدة طرق ووسائل تُعِينُ العبد على انجاز مهماته وقضاء لوازمه.

فالدعوة إلى التوكل على الله والقناعة بما يقسمه لعبده والاطمئنان لضمانه

تعالى.

فحبذا لو قنع الإنسان بالذي يكفيه من دون ما زيادة لأنها تشقيه دنياً وآخرة ويبقى مُحاسباً عنها مع أن غيره يهنأ بها.

ويحتاج الإنسان إلى التمرن لكي يقتنع بان الله تعالى قسّم بين العباد أرزاقهم فلا ينقص من أحد شيء إذا كان من حصته، والشواهد على هذا كثيرة جداً، ولكن مع ذلك لا يكون غالب الناس مقتنعين عملياً بذلك ولذا نجد حالات الاعتراض والنقمة أو السرقة ومحاولة الازدياد غير المشروع.

ولله تعالى حكمة لا يدركها الإنسان بحسب فهمه المحدود فلا بُدَّ من أن يسعى الإنسان لرزقه بالشكل الملائم لوضعه الاجتماعي مع الثقة بالله تعالى، لا بما يبذله من جهد، وسوف يجد أن الله تعالى يكفيه ما يحتاجه لكن بالأسلوب المناسب والملائم للحكمة الإلهية لا بما يشتهيه الإنسان ويقترحه من حالات وإمدادات.

٥٨- قال عليه السلام:

التوحيدُ: أنْ لا تتوهمه، والعدلُ: أنْ لا تتهمه.

من أصول الدين الإسلامي التي يجب على الإنسان أن يعتقد بها اعتقاداً قلبياً راسخاً عن قناعة شخصية لا متابعة لأحد- لمجرد المتابعة - هو: أن الله تعالى واحد لا شريك له و لا مثال له ولا يصل إلى معرفة ذاته المقدسة أحدٌ مهما بلغ في مستواه العلمي، وأن الله تعالى لا يظلم و لا يحتاج إلى أن يتعدى على أحد من المخلوقين لأنه الغني وهم الفقراء إليه ولأنه الخالق لهم وهم المخلوقون المحتاجون إليه.

فالدعوة إلى أن يوحّد الإنسان ربَّه و لا يتصور في لحظة ما أن معه شريكاً، وأن ينزّه الإنسان ربَّه عن الظلم والتعدي و التجاوز على حق أحد مهما كان.

وبذلك يكون مسلماً موحداً ويبقى عليه أن يحافظ على ذلك عملياً فلا ينخدع بأضاليل المضلِّلين الذين يبغون جرف الناس للتوجهات المعادية مما ينتج الانحراف وتوهم التجسيم أو الكينونة في مكان مّا كما يفعل عبدة الأصنام الذين يتوهمون تجسيد الإله فيما يعبدون بحيث يتصورون أنه هو الإله ولا يكون غيره مما يدخله تحت عنوان المشرك بالله والذي تترتب عليه أحكام كثيرة.

كما عليه أن يحافظ على ذلك الانتماء عملياً فلا يترك مجالاً للتشكيكات المطروحة بمختلف الوسائل لاتهام الحكمة الإلهية بالظلم والحيف وإنزال الغضب بلا موجب ونحو ذلك مما يروج له أو يتصوره بعض الفاشلين في الحياة ممن لم يكافحوا في الحياة أو ممن ظنوا أن الحياة تكون بلا تعب فيحاولون سدّ النقص الذي يشعرون به ويحسون أثَرَهُ من خلال اتهام الخالق عزّ وجلّ في عدله.

وأجد أننا اليوم أحوج ما نكون إلى استيعاب هذه الحكمة - كغيرها من الحِكَمْ طبعاً - لما فيها من توجيه عقائدي يسد حاجة فكرية وفراغاً روحياً عند شرائح في المجتمعات الإسلامية وغيرها ممن لم يعوا النظام الكوني الدقيق بكل ما يشير إلى عدل الله وحكمته بل ووجوده تعالى مما يقرّبهم إلى الصواب ويجنبهم الكفر والعصيان.

حرف الثاء

٥٩ - قال عليه السلام:

ثمرةُ التفريطِ[١] الندامةُ، وثمرةُ الحزمِ[٢] السلامةُ.

الدعوة إلى أن يتعود الإنسان النظامَ والدقة في حياته فيمارس ذلك في كافة مجالات الحياة حتى لا تفوته فرصة قد تنفعه لو كان حَافَظَ عليها؛ لأن ممارسة النظام تحفظ الإنسان وتقيه كثيراً من المكاره إذ أنّ الخطر يكمن في التقصير والإهمال.

وعلى الإنسان أن يعتبر هذا في المجالات كافة، فلا يترك مجالاً ليدبّ إليه حب التقاعس والتماهل، بل عليه أن يمارس ما يحتاجه ويوفر ما يريده كلٌّ وفق المشروع - طبعاً - فإنه لو قصّر ولم يبادر سوف يندم وقد لا تواتي الفرصة مرة أخرى فتكون الخسارة أكبر، بينما إذا ضبط الأمر وكان حازماً في اتخاذ القرار في الوقت المناسب فإنه يحوز ما تمنى ويصل إلى الهدف المنشود.

(١) التفريط: التضييع والتقصير في الشيء. القاموس ج٢ ص٣٧٧. والمنجد ص٥٧٧. مادة (فَرَطَ).

(٢) الحَزْم: ضبط الامر والاخذ فيه بالثقة. القاموس ج٤ ص٩٥.

٦٠- قال عليه السلام:

الثناء بأكثر من الاستحقاق ملق، والتقصير عن الاستحقاق عيٌّ وحسد.

الدعوة إلى التوازن والأخذ بالوسط لئلا ينجرف الإنسان وراء مؤثرات العاطفة والإعجاب الشخصي أو الجفاء الشخصي فيخسر المعادلة الصحيحة في تعامله مع الناس فلا بُدَّ من أن يتعلم جيداً كيف يعايش الناس ويُحسن عشرتهم فلا يسترسل ولا يُحْجِم وإنما يتوازن في عملية الحب والبغض مع ملاحظة القواعد السليمة والمستقيمة في العلاقات الاجتماعية. فيمدح ويثني على مستحق الحمد بلا إسراف لئلا يكون تملقاً وتزلفاً؛ لأن ذلك من أسباب النفور الاجتماعي عن الفرد إذا عُرف بالتملق، كونه يؤشر على تذبذبٍ في شخصيته وتكوينه العاطفي فلا يركن إلى أساس مستقر وإنما يبغي الفائدة ويحاول الوصول إلى الغاية.

كما ويحاول أن لا يبخس أحداً حقه ولو كان مختلفاً معه في بعض النقاط، إذا عرف انه على حق لأن التقصير وعدم الإنصاف يؤشر سلباً عن حالة حسد وعدم حب وعدم رغبة في ظهور وتميّز الآخرين. وكلّنا يهرب من التصاق هذه التهمة به فلابُدَّ - لئلا نوصم بالحسد وعدم توفية الآخرين حقوقهم ولئلا نكون متجاوزين متملقين - أن نأخذ بالمقاييس السليمة في تعاملنا ضمن المجتمع المحيط الذي نحتاج إلى إبداء آرائنا فيه، لئلا نتجاوز الحد ونقصر عن الحق.

حرف الجيم

٦١- قال عليه السلام:

الجود حارس الأعراض[1]، والحلم فِدام[2] السفيه، والعفو زكاة الظفر، والسلو[3] عوضك ممن غدر، والاستشارة عين الهداية، وقد خاطر مَنْ استغنى برأيه، والصبر يناضل الحَدَثان[4]، والجزع من أعوان الزمان، واشرف الغنى ترك المُنى[5]، وكم من عقل أسير تحت هوى أمير، ومن التوفيق حفظ التجربة، والمودة قرابة مستفادة، ولا تأمننَّ ملولاً.

الدعوة إلى الأخذ بمجموعة نصائح تهم كل فرد يريد العيش بسلام، ويهدف إلى بناء أساس متين في علاقاته الاجتماعية، فإنه لو التزم هذا الخط

---

(١) الاعراض: جمع العِرْضْ وهو ما يصونه الإنسان من نفسه أو سلفه أو مَنْ يلزمه أمره. المنجد ص٤٩٧ مادة(عَرَضَ).

(٢) الفدام: مصفاة صغيرة أو خرقة تُجعل على فم الابريق ليُصفَّى بها ما فيه. المنجد ص٥٧٢. مادة (فَدَمَ).

(٣) السُّلُوُّ والسُّلْوْ: نسيان الشيء والذهول عن ذكره. المنجد ص٣٤٨. مادة (سلا).

(٤) الحدْثان و الحَدَثان: نوائب الدهر. المنجد ص١٢١. مادة (حَدَثَ).

(٥) المُنى جمع المُنية: (البُغيَة، ما يتمنّى). المنجد ص٧٧٧. مادة (مَنَى).

المرسوم سيصل إلى ما يريده وما يهدف إليه بجدارة واستحقاق ويكون أنموذجاً يحتذى ويقتدى به.

النصيحة الأولى: تُبيّن أن الكرم وبذل المال أو الجاه مما يوفر للإنسان حصانة تحميه من عاديات الناس - بالقول أو الفعل - لأن الناس بطبيعتهم يحبون مَنْ أكرمهم ويألفون جانبه وينتصرون له، وهذا ما لا ينكره أحد - غالباً -. إذن بذل المال بما يسمى كرماً وجوداً يحرس الإنسان ومَنْ يتعلق به.

النصيحة الثانية: تُبيّن أن الإغضاء عن إساءة الغير والتسامح وعدم الرد مع القدرة عليه يمنع الإنسان الجاهل عديم الخُلُق من الاعتداء مرة أخرى؛ لأن عدم المقابلة والصفح مع القدرة يعني السيطرة على النفس وضبطها لتمرير الموقف بسلام وبدون خسارة أحد، وينبغي للمؤمن أن لا يعتبر الإغضاء وعدم المجابهة ضعفاً ورضوخاً للمعتدي السفيه وأنه سيكرر الإساءة بل عليه اتباع النصيحة ليكسب بذلك إنساناً مغروراً بنفسه فيصلحه.

النصيحة الثالثة: تبيّن أن الإنسان إذا تعرض لحالة مواجهة مع أحد وانتصر عليه وكَسَبَ الجولة وتغلّب عليه، ولم ينكّل به ولم يعاقبه على ما أساء إليه وعفا عن جرمه فان ذلك سينمّي ويكثّر انتصاراته ويكون النصر حليفه في مواجهاته وهو ما يتمناه كل أحد عندما يدخل في مجابهة مع الآخرين فعليه أن يعفو ليزيد الله تعالى عليه فتوحه وانجازاته لأنه تعالى عفوّ كريم يحب العفو وقد أمر به فإذا رأى أن أحداً من عباده التزم جانب العفو فيعوضه عن ذلك الموقف بالنصر والفتح.

النصيحة الرابعة: تبيّن أن نسيان نقض العهد وتراجع الأشخاص عن مواقفهم ومحاولة عدم تذكر ذلك ينفع في حل مشكلة اذا تعمقت في الإنسان أُصيب بصدمة نفسية وحالة عصبية قد تقضي على مستقبله - أحياناً - مع أن

هـذا ليـس ختام الأمور أو نهاية العالم بل على الإنسـان أن يعالج الموقف بالصبر وتنـاسي كل مـا يذكّره بالإسـاءة ليمكنـه مواصلة الحياة، وليكتشـف في نفسـه قابليات التحمل والتجاوز للمصاعب والقدرة على المواجهة.

إذن فالسـلو وعـدم التذكـر تعويـض عـن التفكـر في الماضي واسـتجماع الذكريـات المحزنـة التي تؤجج نار الضغينة في داخـل النفس وقد تصل الأمور إلى ما لا تحمد عقباه ثأراً للكرامة.

النصيحة الخامسة: تُبيّن أن طلـب إبـداء الـرأي مـن الآخريـن – الذين يأتمنهـم الإنسـان على مصالحه ويثق بمسـتوى تفكيرهم ورجاحـة عقلهم – مما يعبّر عنه بالاستشـارة هو أولى الخطوات نحو الحل الصحيح لما يواجه الإنسـان مـن مصاعـب، لأن ذلـك يعني انه عـرف عدم إحاطتـه بجوانـب القضية التي تواجهه كافة مما يحّتم عليه الاستعانة بخبرات الآخرين العارفين ليتجاوز الأمر بلا تقديم خسائر كثيرة.

النصيحة السادسة: تُبيّن أن عـدم المبـالاة بـآراء الناصحـين والمخاطـرة بالإقـدام من دون ما استشـارة يعني عـدم النضج لأن الإنسـان – العاقل– إنما يُقْـدِمُ على الأمر بعد حسـاب النتائج ولو بالاسـتعانة بالآخريـن الأبصر منه في الأمور ممن لهم تجربة في المجال المطلوب.

فـإذا لم يعتن أحدٌ بهذا وتركه وراء ظهره يعني انه يرتجل المواقف بلا رويّة ومـن دون الرجـوع إلى عقله بل يتبع عاطفته وما تحكم بـه مما لا يكون مضموناً دائماً.

النصيحة السابعة: تُبيّن أن الصـبر وتحمّل المكاره وعدم الجزع أحسـن ما يقـاوم به الإنسـان نوائب الزمـان حتى لا تترك أثراً – بالغ العمق – في نفسـه إذ حال الدنيا أن يُبتلى فيها الإنسان بل وتكثر عليه المواقف الصعبة فإذا صار يواجه

كل حالة بالجزع فحتماً سينهار في النهاية ولا يمكنه التوازن في حالات أصعب مما سبق وعندئذ ما العمل هل يتخلى؟! أو يستعيض بغيره ليتحمل عنه أعباء المشكلات؟! أو ماذا؟

فالحل الأفضل أن يتشجع ولا يجبن في مواجهة الأحداث، وان يتجرّأ فيكون وجهاً لوجه مع المشكلات فلا يترك الأعباء على غيره، وان يتجلّد فلا يستسلم للهموم، كل ذلك بعد الاستعانة بالله والوثوق بالنفس بلا غرور.

النصيحة الثامنة: تُبيّن أن الجزع وإظهار التأثر والحزن السريع أمام المصائب التي تواجه الإنسان في الحياة إنما يساعد على انهزامية الإنسان وعلى إضعاف قوته الدفاعية التي يحتاج إليها في مثل هكذا مواقف فيكون مصدر المشكلات متعدد المنافذ: المشكلة المواجهة، وعدم الصبر، وإظهار الجزع.. لأن لكل منها آثاراً سلبية إلاّ أن المشكلة الفعلية المواجهة آثارُها مؤقتة بينما آثار الجزع مستمرة إلى أمد غير محدود.

فعلى العاقل ألاّ يعين على نفسه بالجزع بل يلجأ إلى الله تعالى المغيث، ويتّبع الأسلوب الحكيم في المعالجة والمواجهة. ولا يعتبر - ولو للحظة - أنّ الجزع يحل مشكلة أو يخفف من وقع ألم أبداً.

النصيحة التاسعة: تُبيّن أن أعلى مراتب الغنى وعدم الحاجة هو أن لا يتمنى الإنسان كثيراً وإنما يتعود أن يعيش الواقع المحيط به من الناحية الاقتصادية فلا يترك خياله يأخذه إلى ما لا يمكنه تحقيقه وعندئذ إما الحسرة أو الحقد أو السرقة أو الاحتيال وما شابه هذه الخصال الذميمة التي تؤثر سلباً على الفرد والمجتمع بصورة سواء.

فالأفضل والأجدر بالإنسان أن يكون جاداً (عملياً) أكثر منه تعلقاً بالأوهام (خيالياً) في مجالات لا يمكنه تحقيقها.

النصيحة العاشرة: تُبيّن لزوم متابعة الإنسان عقله وانه إذا ما حصل العكس وتابع هواه فسيخسر مواقف مهمة؛ فإن قيمة الإنسان - مهما كان - بما يحمله من عقل ومستوى متقدم في التفكير ومعالجة الأمور بحكمة ورزانة. وهذا يرفعه إلى مستوى أرقى مما هو فيه، بينما لو جعل عقله تحت إمرة هواه فكان منقاداً لشيء لا ثبات له وإنما يتأثر بما يطرأ عليه من حالات متضادة كالرضا والغضب والحب والبغض والرغبة وعدمها والانفتاح النفسي وعدمه...، فحتماً لا تكون مواقفه متسقة ولا متناسبة مع وضعه وعندئذ يكون بصورة لا تخدمه أكيداً بل لو راجع عقله سيحاول التهرب من تلك المواقف التي أملاها عليه هواه وعاطفته ومن المعلوم أن الإنسان مرَكَّب من عقل وشهوة، فالمدير الموفَّق دائماً هو: العقل، والمدير الذي لا تضمن نتائج إدارته هو: الهوى أو العاطفة، مما لا يكون ثابتاً بمقياس محدد وإنما يتبدل بتبدل الظروف والحالات.

النصيحة الحادية عشر: تُبيّن أن الإنسان الذي يستفيد مما مرّ به من تجارب تحوطه عناية الله تعالى ورعايته وتوفيقه إذ لم يخذله بنسيان المواقف السابقة سواء الايجابية أو السلبية ليتعرف من خلالها على التصرف المناسب في الحالة الراهنة. بينما نجد الذي لا يتعظ بما تقدم ولا يعتني بما سلف من مواقف تكفي لحمايته من تكرر مثلها - نجده - خاسراً ملوماً من قبل الآخرين منتقَداً في تصرفاته ومواقفه.

النصيحة الثانية عشر: تُبيّن أن التحبب إلى الناس والتقرب منهم بما يكون مضمون الوصول إلى قلوبهم وعواطفهم يتيح للإنسان فرصة ثمينة يسعى - الإنسان - لتحقيقها وهي كثرة الأنصار والأعوان والذي يكون - غالباً - بكثرة عدد الأقرباء والأرحام ممن يتصل بهم الفرد نَسَبيّاً أو سببياً.

فالفرد الواعي يمكنه ضمان ولاء عددٍ كبير عن طريق تقديم الحب إليهم

بالشكل المناسب والمسموح به في مختلف القوانين التشريعية والوضعية ليحصل -بالتالي- على تعاطفهم ومودتهم ومصافاتهم ووفائهم... مما يجعله مرتاح البال مسالماً، ويكثر إنتاجه الذي ينفع به الآخرين ويبتعد عن مواقف التشنج والتأزم أو التصلب، فالحث على الحب والود لتعمر الحياة بمعاني الخير.

النصيحة الثالثة عشر: تُبيّن لزوم الابتعاد عن الإنسان الذي تتبدل مواقفه وعواطفه سريعاً؛ لأنه لا يستفاد منه بشيء - مادياً أو معنوياً - وصفة المَلَل من الصفات المنفّرة عن المتصف بها فالتحذير - ضمناً - من الاتصاف بها لأنها تقلل من الأخوان والأصدقاء وتنفّرهم وتفتح على الإنسان منافذ الكلام والانتقاد بما يُفشي عيبه بين الناس فيفتضح أمره وتتغلب هذه الصفة على كل الصفات الايجابية والسلبية.

نعم من حق الإنسان أن يكون له رأيه في كل حادثة تحدث وبالتالي تتبدل مواقفه ولكن عليه أن يلتزم الصبر والحذر والتسامح والتأني والوفاء والصدق، مما يجعله أكثر رزانة وأعمق فكراً فلا يرتجل المواقف وإنما تكون بين موقف وآخر مدة زمنية كافية لتصحيح هذا التحول مما يوفر المبررات المناسبة.

حرف الحاء

٦٢- قال عليه السلام:

الحَجَرُ الغصيب[1] في الدار رهنٌ على خرابها.

الدعـوة إلى ممارسـة التقوى والتدين بشـكل دقيق بعيد عـن مجرد المظاهر والروتين الذي يمارسه المتدينون عادة بل على المؤمن أن يستسلم لأوامر الشريعة المقدسة بأشكالها كافة ويطبقها بموجب صيغها المشرَّعة، ومن هذا أن لا يتعدى أحدٌ على أحدٍ سواء على نفسه أو عرضه أو ماله قليلاً كان مقدار التعدي أو كثيراً والأثر السلبي المترتب هو الخراب والدمار وهما مما يفرّ منهما الناس.

إذن لا بُدَّ من أن لا يُستهان بالمقدار القليل من التعدي والظلم على أساس منظار القلة والكثرة، وإنما لا بُدَّ من قياس ذلك بأنه مخالفة لأوامر الله تعالى والتي يسـتوجب العبد من جرائها العقوبة، والفرصة متاحة أمام مَنْ لم يقتنع فليجرب بالقليـل مـن الاعتداء والتجاوز ليجـد أن النهاية مؤلمة ومأسـاوية إذ القليل يجر الكثير من حالات النكبة والندم و وخز الضمير.

---

(١) الغصيب بمعنى المغصوب. وقد روي بلفظ (الحجر الغصب) و (الحجر المغصوب) فلاحظ.

ولا أحسب أنّ أحداً يناقش في ذلك مبدئياً لأن الله تعالى أراد للناس ان يعيشوا بسلام فشرّع القوانين التي تُؤمِّن لهم ذلك فمن الطبيعي أن المتجاوز ينكب لأنه متجاوز وعاص. فالحذر من الغصب، والأخذ بالغلبة، والاستيلاء بلا وجه مشروعٍ لأن نتيجة ذلك دنيوياً: الخراب والفناء، ومثّل الإمام عليه السلام لذلك بالحجر وما يمثله من قلة فلا يبالي به أحد بالمقياس الإنتاجي الاقتصادي، إلا أنه كوثيقة باقية وأمانة موضوعة حتى يتم الأداء ويحصل الأثر الذي هو الخراب، وقد يأخذ الخراب أشكالاً متعددة: الخراب المحسوس المادي، الخراب الاعتباري كأن لا يوفق ساكنها أو تكثر مصائبه و مشكلاته أو... أو... من أشكال الخراب مما يترك أثراً لدى الغاصب ليرتدع بعدئذ.

٦٣- قال عليه السلام:

الحدّة[١] ضَرْبٌ من الجنون لأنَّ صاحبها يندم، فإنْ لم يندم فجنونه مستحكم.

إن الإنسان معرَّض للغضب بحسب طبيعته، والغضب يأخذ مختلف الأشكال والحالات عنفاً وليناً، وشدة وضعفاً، ومستمراً ومؤقتاً. و...، كل ذلك يخضع لسيطرة الإنسان العاقل لأنه لو لم يسيطر فلا يصح وصفه بالعاقل بعدئذ، فالدعوة إلى التوازن والسيطرة وعدم الانسياق وراء العاطفة وما تمليه من مواقف مرتجلة يندم عليها الإنسان بعد ذلك، إذ ليس من اللائق بالإنسان الذي يسعى نحو التكامل أن يترك المجال مفتوحاً لنفسه وعاطفته في التغلب على عقله ودينه، وإنما بقليل من الصبر والإغضاء ومحاولة التجاوز وعدم التصلّب يخرج الإنسان الغاضب من أسارِ غضبهِ وينجو من عواقبه المشينة.

---

(١) الحِدّة :ما يعتري الإنسان من النزق والغضب. مختار الصحاح ص١٢٦.

فإذا تعنَّت أحد ولم يستجب لنداء العقل والدين على أساسٍ من العصبيّة والانفعال الشخصي أو الانفصام في الشخصية، فحتماً سيخسر الموقف ويبدأ التعامل معه يختلف شيئاً فشيئاً إلى أن يسقط عن الاعتبار الاجتماعي ولا تناط به أية مسئولية بل تسلب عنه لو كانت لديه؛ لأنه سُجّل في قائمة غير المتوازنين الذين لا يمكنهم - لحالاتهم العصبية - السيطرة واتخاذ المواقف المناسبة، فحمايةً لهم يُعَيّنُ مَنْ يشرف عليهم وهو ما يسمى في المصطلح الفقهي بالولي، فلا بُدَّ للإنسان من عدم الإصرار على مواقف الغضب لئلا يكون مجنوناً وهو ما لا يرضاه أحد عاقل لنفسه.

٦٤- قال عليه السلام:

الحذر الحذر فوالله لقد ستر حتى كأنه قد غفر.

قد يتصور الإنسان في بعض حالات طيشه وغروره بما لديه من إقبال الدنيا عليه وازدهارها إليه أنه على صواب وأن مسلكه في الحياة هو الصحيح المرضي ولو لم يكن كذلك لما بقي ولما تمّتْ واستقامت له الأمور، بينما يجد حاله أحسن من حال غيره من الذين استقاموا وأحسنوا.

إلاّ أن هذا مجرد خيال لا أساس له من الصحة إطلاقاً؛ لأن المجرَّب الثابت أنْ الله تعالى يمهل عبده العاصي لكنه لا يهمله ولا يتركه بالمرة بل يعطيه فرصاً للتراجع والتوبة فإذا لم يستفد من ذلك فيأخذه أخذ عزيز مقتدر، إنْ في عاجل الدنيا أو في آجل الآخرة.

فالدعوة إلى عدم المواصلة في اقتراف الذنوب، لأن الله تعالى مطّلع على عباده عالمٌ بسرائرهم، وإنما يسامحهم تكرماً منه وستراً عليهم لئلا يفضحهم بين الخلائق، إلاّ أن هذا لا يعني أنه يُقر كلَّ أعمالهم بشكلها العام، بل يثيب على

الحسنات ويعاقب على السيئات، خاصةً إذا لم يعتبر العبد من حلم الله تعالى، الذي بقدرته أن يعاقب من أول مرة إلاّ انه يغضي ويستر في الدنيا رأفة بعبده، فاللازم على العبد مراعاة ذلك؛ لأنه يستشف من تكرار التحذير بقوله عليه السلام: (الحذر الحذر) إنّ العاقبة وخيمة لمن لم يتعظ، فإن الآخرة هي دار الجزاء فإذا كان مسيئاً فيعاقبه بما يستحقه، ولا يعني ستره في الدنيا أنه أنهى ما عليه بل ستر عليه كأنه غفر له، ومن المعلوم - كما عند النحاة - أن (كأنّ) للتشبيه.

٦٥- قال عليه السلام:

الحكمة(١) ضالّة(٢) المؤمن، فخذ الحكمة ولو مِنْ أهل النفاق.

الدعوة إلى تلقي المعارف والفضائل وابتغاء ما يقوّم الإنسان ويسدده في حياته، من كل أحد وبغضّ النظر عن مبدئه الفكري والعقيدي فإن التكامل وكسب المقوّمات للشخصية الفردية مما يُسعى إليه ويُهدف نحوه فلا يكون حاجز العقيدة مانعاً من الاستفادة بالحدود التي يؤطرها عدم الانسياق وراء الإعجاب الشخصي ليترك الإنسان دينه ومبدأه، بل بحدود التعلم والتوصل إلى ما هو أفضل من دون ما مساس بالشئون الشخصية وخصوصاً الدينية، فإنها من أهم ما يجب الحفاظ عليه والموازنة فيه، ولعل من أحد أسباب الدعوة إلى اكتساب الحكمة أنها ترفع الإنسان عن فعل القبيح وتؤهله لأن يحتل مركزاً مرموقاً بين الناس، بما يعني انضباطه وتحرّجه عن فعل ما لا يليق وهو ما يوفر

---

(١) الحكمة لغة: الكلام الموافق الحق،المنجد ص١٤٦ مادة(حَكُمَ). العلم الذي يرفع الإنسان عن فعل القبيح، مستعار من حكمة اللجام وهي ما احاط بحنك الدابة يمنعها الخروج. مجمع البحرين ج٦ ص٤٥ مادة (حكم)، وقال ابن دريد في جمهرة اللغة (فكل كلمة وعظتك أو زجرتك أو دعتك الى مكرمة أو نهتك عن قبيح فهي حكمة وحُكم...)، جمهرة اللغة ج٢ ص١٨٦.

(٢) الضَالَّة لغة: الشيء المفقود الذي تسعى وراءه. المنجد ص٤٥٤ مادة (ضلّ).

حماية المجتمع من الأخطار الأخلاقية والانحرافات السلوكية.

ويظهر الحث على الاهتمام بشأن الحكمة وعدم التفريط بها من خلال الأمر بالأخذ ولو من أهل النفاق، لأن الحكمة أمر يتساوى فيه الجميع من دون ما تمييز مذهبي، قومي، اجتماعي،... فلذا كان أمراً طبيعياً أن تُكْتَسَب المعارف والقيم الصحيحة ولو من الأشخاص المبتعدين عن خط الإسلام بكل ما فيه من مُثُل ومبادئ تحث على المكرمات وتنهى عن القبائح والرذائل والذي منها (النفاق) فانه يعني الازدواجية في الشخصية والولاء والتوجهات... وهو ما يرفضه منطق الإسلام و يذم المتصفين به وقد خصصت سورةٌ في القرآن الكريم لذكر أحوال المنافقين و بيان ما يتصفون به، وكفى بذلك شهادة على اتصافهم بذمائم الأخلاق، وعلى انحطاطهم وتردّي مستواهم لأنهم يعيشون التذبذب والمراوغة وعدم الواقعية بشكل علني و مكشوف وهو ما يُتعوذ بالله منه. فكان لزاماً التحذير منهم، ولكن ذلك كله لا يسلبهم بعض الايجابية - لو كانت - فلا مانع من انتفاع المسلمين الصادقين من تلك الجوانب الايجابية.

٦٦- **قال** عليه السلام:

الحلم عشيرة.

ما أروع هذه الدعوة إذ تبني مجتمعاً آمناً مطمئناً تسوده مبادئ الاحترام والتسامح ونبذ الأحقاد والمشاحنات التي تكثر عادة في المجتمعات البشرية؛ لأن الإنسان بطبيعته يأنف من تحمل الضيم والأذى، فإذا تجاوز ذلك وتعدّاه إلى فضيلة الإغضاء عن الإساءة مع القدرة على الرد، فيكون قد كسب أنصاراً وأعواناً على شئون الحياة وشجونها حتى ليتكوّن لديه العدد الكثير والجمع الجم الغفير بما يسد مسد العشيرة ويقوم بوظيفتها المعتادة.

كل ذلـك كان بفضـل التحمل الموقـت للتجاوز لتكـون النتيجة إصلاحُ المعتدي، وكسـبه إلى الصف، وتخليصُ المجتمـع من عضو مضّر لا يمكن تقدير أضراره التي سيحدثها لو أُهمل على غيّه وطيشه لأنه كان يتجاوز ويُقَابَل بالمثل أو الأشد لئلا يكرر، إلاّ أنه لم يفكر أحد بأن هذا لا يحل مشكلة ولا يقوّم عوجاً.

فلـذا يؤكـد الإمام عليه السلام عـلى ضرورة الصـبر والأناة والسـكون وتحكيم العقل واسـتبعاد العاطفة مؤقتاً وعدم الاسـتماع لنداء: ان السكوت عنه ضعف وذل واستكانة، حتى ليعمر المجتمع ويكثر الخيّرون فيه.

حرف الخاء

٦٧ - **قال** عليه السلام:

خالطوا الناسَ مُخالطةً إنْ متُّمْ مَعَهَا بَكَوا عليكم، وإنْ عشتم حَنّوا إليكم.

الدعوة إلى إقامة علاقات اجتماعية حميدة، طيّبة، بحيث إذا مات الإنسان بكاه الناس لما يجدون من ألم الفراق وحرقة المصاب. وإن عاش معهم - ولو لم يكن قريباً منهم بجسمه - اشتاقوا إليه وأحبّوا لقاءه و ودّوا صحبته.

وهذا لا يتم بالهيّن بطبيعة الحال بل بجهد جهيد خاصةً إذا لاحظنا الاختلاف في الطبايع والأمزجة والحالات التي يتقلب فيها الإنسان من حسن إلى أحسن أو أسوأ مما يصعب معه المحافظة على نمط في العلاقة ثابت وشكل موحد.

لكن إذا تعوّد الإنسان أول أمره ومبتدأ نشأته التعامل بالمعاني الايجابية التي يأنسون بها فحتماً سيحبونه ويحنّون إليه ويبكون عليه.

وهو مع ذلك لا يجد كثير معاناة أو مشقة في ذلك لأنه تدرّج عليه وتدرب

فوجد أثره الطيّب وما اكسبه إياه من حالة طيّبة، وربما يمتد الأمر فيشمل الحنين والشوق إلى المنتسبين إليه أيضاً، كل ذلك تخليداً لذكرى مَنْ خالطهم مخالطة حسنة وعاشرهم معاشرة تتسم بالمحبة والروح الأخوية البعيدة عن رصد المخالفات والوقوف -كثيراً- عندها.

٦٨- قال عليه السلام:

خذْ من الدنيا ما أتاك، وتولَّ عما تولّى عنك[1] فإنْ أنت لم تفعل فأجملْ في الطلب[2].

يبين عليه السلام في هذه الحكمة ثلاثة أمور مهمة في حياة الفرد يلزمه استيعابها ليمارسها من موقع القناعة ومنطلق الوثوق بجدواها وفاعليتها في الحياة لا على أساس النظرية التي لا تلائم روح العصر.

الأمر الأول: عدم الانهماك في طلب الدنيا وعدم التلهف وراءها بما ينسي المتطلبات الأخرى بل على الإنسان أن يأخذ من الدنيا ما أتاه بعدما يكون قد سعى بما يتناسب وحالته لا أن يتقاعس عن العمل بل يؤدي ما عليه فإذا لم يتيسر له المزيد مما يطمع به ويطمح إليه فليقنع به وليعلم أنه المقدَّر المقسوم له والخير فيما اختاره الله تعالى طبعاً، وانه لو تحقق المزيد لحدثت بعض المضاعفات والمنغصات الجانبية. إذن فالقناعة بما قُسم وعدم الانسياق وراء طلب المزيد من الدنيا هو الأفضل.

الأمر الثاني: عدم السعي الحثيث وراء ما زوي عن الإنسان فلا يكون همه الوحيد، ولا يجعله عقدة حاجزة، بل الرضا بالموجود الميسور لأنه لو كان

(١) تولّى عنه: اعرض عنه وتركه. المنجد ص٩١٩ مادة (ولي).

(٢) أجمل في الطلب: إتَّأَدَ واعتدل فلم يُفرط. القاموس المحيط ج٣ ص٣٥١.

ذاك من حظه لأتاه، ولما أمكن لأحد أن يصرفه عنه.

الأمر الثالث: انه إذا لم تطاوع الإنسانَ طبيعتُه الخاصة من الانسياق وراء الدنيا ولم يكن مكتفياً بما يأتيه، وكان طَمُوحاً ومواصلاً السعي في طلب الدنيا فينصحه الإمام عليه السلام بان لا يفرط ويعتدل في سعيه وطلبه ويراعي الضوابط الشرعية والأخلاقية التي تنظم أعماله بشكل ملحوظ لأنها تحدد مساره التجاري بما يحميه من الآفات والبلايا.

إذن فالدعوة إلى تنظيم الإنسان حياته ليشمل بالتالي تنظيم المجتمع إذ الأولاد هم نواة تكوين المجتمع فلا بُدَّ من الوثوق بالله تعالى وبحكمته في تقسيم الأرزاق سواء المادية أو المعنوية كالجاه والحظ والمكانة الاجتماعية وغيرها، فلا يُتطلب ما وراء ذلك بحجة الطموح، وان أصّر أحدٌ على ذلك فينصحه الإمام عليه السلام بالتوازن لأن الدنيا غرّارة تُقبل على الإنسان تخدعه ثم سرعان ما تتحول عنه وتتركه يعاني مما هو فيه لوحده.

حرف الدال

٦٩- قال عليه السلام:

الداعي بلا عمل كالرامي بلا وَتَر.

الدعـوة إلى أن نكون مطبقـين لما نتعلمه من العلوم والمعارف ليتسـنى لنا أمْرَ الغير به وإلاّ فلا تكون الموعظة مسموعة ولا النصيحة مقبولة.

وقـد مُثّـلَ مَنْ يدعو غيرَه إلى أمر لا يقـوم - هو - به بمَنْ يرمي وآلة رميه ناقصة فلا يمكنه الإصابة ويفشل في - التهديف -.

إذن فالعلـم النظـري مـع العمل التطبيقـي ثم مرحلة دعـوة الغير ليصح الاقتداء؛ لأن لذلك الأثر التام في النفوس بعدما كانت مطابقة العمل للعلم من الدعاية الصامتة ذات التأثير القوي.

ومن فوائد التطبيق كف الألسـنة والانتقاد الاجتماعي بأنه يدعو إلى ما لا يعمـل بـه فيكون إلى التنظير اقـرب منه إلى التطبيق فلا يمكنه اسـتقطاب الكثير ممن يمكنه احتوائهم وحثهم على المعاني الخيّرة التي ينبغي له الاهتمام بها والتعوّد عليها والوقوف عندها بتأمل وإمعان لينعكس أثرها عليهم ولتتعزز في النفوس

أكثر من خلال التطبيق.

٧٠- قال عليه السلام:

الدنيا دار ممر إلى دار مقر، والناس فيها رجلان، رجل باع فيها نفسه فأوبقها[١]، ورجل ابتاع نفسه فأعتقها[٢].

في هذه الحكمة تعريف دقيق للدنيا بما يجعل الصورة مكتملة ولا يترك الفرصة لأحد في الاغترار بها، إذ أنها محل يجتازه الإنسان ثم ينصرف عنه إلى محل آخر هو الأبقى والأدوم وهي كمحطة يتوقف فيها الإنسان ليتزوّد ما يحتاجه لمواصلة سفره الذي هو غايته ومقصده مما يحتِّم عليه التعامل بلا مزيد اهتمام بما فيها - مهما كان - لأنه سيفارقه عند موعد المغادرة ولا يمكنه اصطحابه معه.

إذن فاللازم أن يتعامل معه معاملة غير جادة بل تتسم بقضاء الضرورة. واللازم لئلا يثقل على نفسه ولا يجهدها بتحمل المسؤولية أو مؤنة الحمل والنقل، ولو نظرنا إلى الواقع نظرة فاحصة لوجدنا أنَّ مَنْ لم يتزود للآخرة وأخلد للدنيا قد أثقل نفسه بما عَمِلَهُ من الأعمال التي يُؤاخذ عليها فيطول بسبب ذلك وقوفه عند الحساب، وهو ما يتخوف منه كل عاقل لأن المحاسبة دقيقة ولا تُعرف نتائجها إلاّ بعد أن يستقر العبد حيثما يأمر به الله تعالى.

ثم بين عليه السلام أن تصرفات الإنسان - في الدنيا - محسوبة عليه، وهو - ذاته - الذي يعيّن مصيره في الآخرة من خلال اختياراته الدنيوية، فإن انضم إلى الدنيا وركن إليها واغتر بها فهو الذي باع نفسه العزيزة للدنيا الدنية فصار سبباً لهلاك نفسه في الآخرة؛ لأن الدنيا تزيّن له أفعالاً وتروكاً لا تنتظم كلها في قائمة

---

(١) أوبقها: اهلكها. المنجد ص٨٨٤ مادة (وَبَقَ).

(٢) ابتاعَ الشئَ اشتراه. المنجد ص٥٦ مادة (باع).

المسموح به شرعياً وعندئذ يقع المحذور، وتجب العقوبة فلا يخلّصه أحد لأنه قدّم دليل إدانته بنفسه من خلال ما قام به من أعمال غير محسوبة دينياً.

وإن كان قد اختار تخليص نفسه من شَرَكِ الأهواء المضلة وتفادى الوقوع في المنزلق والتزم جانب التقوى وحفظ نفسه من التعدي والتجاوز على الأحكام الشرعية فيكون قد حَرّرَ نفسه من ربقة النار.

حرف الراء

٧١- قال عليه السلام:

رأي الشيخ[١] أحبُّ إليَّ مِنْ جَلَد[٢] الغلام[٣].

الدعوة لاستماع رأي كبير السن الذي جرّب الأمور وعرك الحياة فعرف منها جوانب لم يعرفها مَن هو أدنى منه سناً وخبرة، فقد مرّت عليه مختلف الحالات، فحبذا الاستفادة من خبرته وحكمته؛ حيث يعطيان تجربةَ الشباب قوةً ورصانة، فلم تكن فكرة الشباب مجرد فكرتهم بل عززها توجيه الأكبر سناً بما يطبعها بطابع الوقار وعدم الرد من الآخرين، لأن الشيخ قد مارس الحياة أكثر فلا يدخل الميدان تجربةً بل عن دراية، بينما الشاب - الذي بدأ شاربُهُ بالظهور - يدخل الميدان بدافع الحماس والقوة التي تدفعه من الداخل لتحقيق الطموحات وانجاز التمنيات وأنه الكفوء واللائق و.. و...

(١) الشيخ لغة: مَنْ استبانت فيه السن وظهر عليه الشيب. المنجد ص٤١٠ مادة (شاخ).

(٢) الجَلَدُ لغة: القوة، الشدة، الصلابة، الصبر. المنجد ص٩٦ مادة (جَلُدَ).

(٣) الغلام لغة: الطارُّ الشارب. المنجد ص٥٥٧ مادة (غلم).

وهـذا وإن أفاد المجتمـع في بعض الحالات إلاّ انه ليس في كلها بينما تجربة الشيخ أهدى سبيلاً في غالب الفرص، ولو أخطأت فلا ملامة إذ لم ندفع مقابلاً إلاّ التؤدة والتأني فلا خسارة مادية تُذْكَرْ، وإنما الفرصة مؤاتية مرة أخرى لخوض الميدان.

ويجـد المتأمـل في هـذه الدعـوة أن الإمام عليه السلام يسـاند الشـاب المؤمن إذ يهيـئ له مستشـاراً ينصحه ويرشـده إلى الأصلح والأصـوب فيريد منه عليه السلام أن لا يدخـل معـتركا إلاّ عـن دراية ولا يُقْـدِم على عمل إلاّ بعد حسـابٍ للعواقب وتقديرٍ للأمور بالشكل المعقول.

فليـس في هذا أي تقليل من أهمية عنصر الشـباب بـل محافظة عليهم لئلا تذهب جهودهم العضلية من دون ما فائدة، ومن دون تحقيقٍ لشيء مفيد.

٧٢- قال عليه السلام:

الراضي بفعل قوم كالداخلِ فيه معهم، وعلى كل داخلٍ في باطلٍ إثْمان: إثمُ العمل به وإثمُ الرضا بهِ.

إنّ مَـنْ يـرضى بفعـل شـخص أو جماعـة يلحقه مـا يلحقهم مـن أجر أو وزر لأن التضامـن والاتفـاق ولـو من دون انجـاز عمل يعنـي مباركة المشروع والموافقـة عليه والتأييد له وهذه عوامل كافية لأن يحسـب الشـخص على ملاك الآخريـن وإنَّ من السـلبيات الاجتماعية: تضامن بعض الأفـراد مع آخرين من دون ما دراسة وتحليل لموقفهم وإنما بدافع عاطفي أو استجلاب مادي أو هوى سـياسي أو اندفاع غير أخلاقي كالعناد والبغض والحسد...، مما يجعل التضامن مجـرد دعـم لفئـة معينة مهما كلّـف الأمر بلا تحسـب للعواقب الناجمـة عن ذلك وبـلا تفكير بالنتائج وبمـدى موافقة العمل للروح الاسـلامية التي يفترض أن

يعيشها المسلمون بما يعني التخلي عن مبدأ مراقبة الله تعالى والخوف منه، كما يعني الانسياق وراء الهوى والاعتبارات الضيّقة والمواقف المرتجلة المصلحية أو العصبية.

فالدعوة لأن تُتخذ المواقف والانتماءات بعد معرفةٍ تامةٍ بجهة الولاء للفئة المدعومة والمركون إليها إذ لو تبين أن العمل معهم يكون على حساب الدين والعقيدة لتعددت التبعة وموارد الإدانة على المناصر المتضامن الراضي بالفعل: تبعةُ قيامِهِ بالعمل مع انه غير مقبول، وتبعةُ الرضا والموافقة عليه.

وهذا ما يجعل الواحد منّا يتأمل في اختياراته في الحياة وتوجهاته وانتماءاته ولا يكون (إمّعَةً) سائراً وراء غيره في دربٍ شائك يأتي عليه بالعقوبة والوزر والإثم؛ إذ المعادلة واضحة وقائمة على كل حال فمَنْ يوافق على الأعمال الايجابية و النافعة فيحصل على جزء من الأجر لأجل تضامنه، ومَنْ يشترك في الأعمال السلبية والضارة فعليه إثم الموافقة وإثم المشاركة.

٧٣- قال عليه السلام:

رُبَّ[(١)] قول أنْفَذْ[(٢)] من صول[(٣)].

الدعوة إلى التحفظ جيداً في الكلام وما يواجه به الإنسان الآخرين من منطق، لأن كثيراً ما يكون وَقْعُ الكلمة أشد من الضربة ويبقى أثرها السيئ في النفس طويلاً، فينبغي له اختيار الكلمة وعدم الانسياق وراء الحالة النفسية

(١) رُبَّ: حرف جر للتقليل أو التكثير حسبما يستفاد من سياق الكلام، ولا يدخل الاّ على نكرة وهو في حكم الزائد فلا يتعلق بشيء. المنجد ص٢٤٤ مادة (رُبَّ)، وللمزيد كتاب مغني اللبيب ١/ ١٣٤.

(٢) أي أنفع وأكثر تأثيراً.

(٣) الصول: صال عليه استطال وصال عليه وثب.. وصولةً أيضاً. مختار الصحاح ص٣٧٣ مادة (ص و ل).

والعصبية على أساس من الاعتزاز بالنفس أو الاغترار أحياناً لئلا تورط كثيراً في مسائل غير محسوبة العاقبة، ويترك انطباعاً سلبياً لدى الآخرين، فيؤدي إلى تشنج في العلائق العامة مما يضعف البنية الاجتماعية فيفقدها حالة الود والوئام والصفاء والانسجام.

إذن نحن بحاجة ماسة لأن ننتقي مفردات الكلام ونحسب حساب المقابل بلا تهور أو تسرع، وهذا ما يلزمنا أن نحاول معه لنتعوده مستقبلاً.

وفي المقابل حبذا لو استعمل القول في حالات لا تنفع معها المواجهة الحادّة؛ لنكسب كثيراً ماديّاً ومعنوياً ولا نفرط بالأرواح أو الأموال مع إمكانية دفع ذلك بالكلمة الطيبة المؤثرة.

٧٤- قال عليه السلام:

رُبَّ مستقبلٍ يوماً[١] ليس بمستدبرِهِ، ومغبوطٍ[٢] في أولِ ليْلِهِ قامت بواكيهِ في آخره.

الدعوة إلى عدم الاغترار بالدنيا وعدم الاعتماد على الصحة الجسمية أو المال أو الجاه، لأن ذلك إلى زوال، إذ كثيراً ما نشاهد شخصاً أصبح وقد استقبل يوماً جديداً كان قد خَطَّط لأن ينجز فيه مهمات معينة ويقضي لوازم خاصة إلاّ انه لا يُنهيه بتمامه بل يموت قبل آخره، وأيضاً كثيراً ما يكون الشخص مغبوطاً ومعدوداً من الأحياء ذوي الصحة أو المال أو الجاه، في ليلة من الليالي لكنه لا يتمها وهو حي، بل يُبكى عليه في آخرها وقد يتألم لفقده.

---

(١) منصوب على أنه مفعول به لـ مستقبل الذي يعمل عمل فعله.

(٢) مغبوط: اسم مفعول من الغبطة وهي لغة (تمنيّ نعمةٍ على أن لا تحوَّل عن صاحبها). المنجد ص ٥٤٤ مادة(غبط).

فـإذا كان واقع الحيـاة هكذا فلا بُدَّ للعاقل أن لا يأمنها ولا يوجد لنفسـه متاعـب في يوم الحسـاب ويحاول أن يكـون مرضياً في أفعاله لئـلا يُغْضِب أحداً فيُذكر بخير ويُتأسف عليه.

إذن فالإمام عليه السلام يعرض حالتين يشهدهما الكثير من الناس مهما اختلفت مراتبهم أو أماكنهم أو زمانهم لأن ذلك أمر طبيعي للمخلوقين مما يجعل العاقل في حالة تأمل ليُقدم على مواقف قد انسـحب عنها لحسـابات دنيوية، وليتراجع عـن مواقـف قد أقدم عليها لحسـابات دنيويـة لأنه قد رأى عيانـاً المصير المنتظر والحالة التي يؤل إليها كل أحد.

٧٥- قال عليه السلام:

رُدّوا الحجر من حيث أتى، فإنَّ الشر لا يدفعه إلاّ الشر.

الدعوة إلى المواجهة عندما يقتضي الأمر ذلك وعندما يكون الأصلح دفع الشر بمثله لأن على الإنسـان في المواقف الحساسـة الموازنة بين الربح والخسـارة معنوياً ومادياً ليجد هل المهادنة أصلح وانفع لحال الأمة أم المواجهة والمدافعة؟ وليـس المفروض دائماً هـو الحل الأول بل على المؤمن أن يرد الشر من حيث أتى إذا لم تنفـع الحلـول السـلمية فإنَّ الخير ليـس من فصيلة الشر ليدفـع به بل يدفع بالـشر. نعم، لـو كان من الممكن اللجوء إلى حل سـلمي بوسـائل الخير الممكنة لـكان ذلك حتماً وهو المفضَّل ولكن المفروض أن الحالة تأزمت بما لا ينفع معها الحـل السـلمي فيتحتم الدفاع والدفـع بالمثل ليأمن عاديـة الأشرار ولئلا تكون تلك نقطة ضعف ليستفيدوا منها في التغلب على المؤمنين.

وقد يستفاد ضمناً من هذه الحكمة أنّ على الإنسان أن لا يزيد على مقدار دفع الاعتداء ورد الإسـاءة للمسيء من دون ما مجاوزة عليه أو على منتسبيه لئلا

تكون الأحقاد والأضغان ولئلا تخرج القضية عن مسألة رد الكرامة إلى مسألة معاداة.

٧٦- **قال عليه السلام:**

الرزق رزقان: رزق تطلبه، ورزق يطلبك فانْ لم تأته أتاك، فلا تحمل همَّ سنتك على همّ يومك، كفاك كلَ يوم ما فيه، فان تكن السنةُ من عمرك فانَّ الله تعالى سيؤتيك في كل غدٍ جديدً ما قَسَمَ لك، وان لم تكن السنة من عمرك فما تصنع بالهَمِّ لما ليس لك، ولن يسبقك إلى رزقك طالب، ولن يغلبك عليه غالب، ولن يبطئ عنك ما قد قُدِّرَ لك.

في هذه الحكمة الشريفة مضامين عالية جداً وعلاجات لحالات اقتصادية يعاني منها السوق العالمي عامةً ويحاول الخبراء تقديم دراسات حولها ومن اجل السيطرة على الحاجة البشرية ولسد الاحتياج ولمواجهة التضخم السكاني وازدياد البطالة و.. و... مما كثر تداوله على الساحة.

فإننا نجد الإمام عليه السلام يبدأ مع الإنسان بداية مطمئنة يبحث عنها كل واحد وهي ضمان وصول الرزق إليه الذي هو: كل ما ينتفع به الإنسان من لوازم حياتية ضرورية لبقائه كالأكل والشرب والدواء والملبس والسكن والمواصلات و.. و...

ثم أكد أنّ ما لا ينتبه إليه الإنسان من موارد دخل ومصادر توفر له تلك اللوازم يأتيه بكل تأكيد لأنّ الله تعالى تكفل بذلك للمخلوقين. فلم يكن لتنبّه الإنسان دورٌ في وصول الرزق إليه بل يصله حتماً.

وبناءاً على ذلك - الضمان - فلا داعي للقلق ولا للتحسب للمستقبل وما يحمله من مفاجآت وازدياد في السكان أو البطالة عن العمل؛ إذ المدة التي

يعيشها الإنسان غير معلومة فإذا أراد استباق الأحداث والزمن فكم يخزن؟ والى متى يبقى على تلك الحال؟ وفي أي مكان يبحث أو يطلب؟... وغيرها من الأسئلة التي تتوقف الإجابة الصحيحة عليها على تحديد أمد بقاء الإنسان في الحياة، وهو مجهول.

إذن لا موجب لأن يهتم الفرد -كبيراً أم صغيراً، رجلاً أم امرأة، مكفولاً أم غير مكفول- ويفكر فيما يأتي لأنه غير مضمون له البقاء حتى ذلك المستقبل.

ثم ذكر عليه السلام مسألة مهمة وهي إن كل يوم يعيشه الإنسان يحمل معه عدداً من القضايا التي تشغل وقت الإنسان وتنسيه حرصه على ممارسة طبيعته البشرية، مضافاً إلى أن ذلك اليوم قد حُدِّد للإنسان فيه مقدار معين يكفيه فلماذا استباق الزمن. ويترتب على جميع ذلك أن السنة بما أنها تعني المدة الطويلة التي يفكر الإنسان في ضمان رزقه فيها إن كان مقرراً له البقاء فيها في الحياة فالحالة الطبيعية للضمان الإلهي ستتكرر يومياً وبشكل تلقائي من دونما مداخلة من العبد، وأما إذا لم تكن السنة من ضمن المقرر للبقاء فيه فلماذا يهتم الإنسان لشيء قد لا يبلغه ويضيف إليه قلقاً بما يجعله مستفز الأعصاب دائماً.

ثم بين عليه السلام حقيقة لتطمئن إليها النفوس وليخفف بها عن الإنسان الذي تضغط عليه عوامل نفسية - داخلية - بحسب طبيعته، وهو أن ما قَسَمَهُ الله تعالى من الرزق لمخلوقٍ لا يكون لغيره أبداً ومهما كان الجهد المبذول لاستخلاصه من المقسوم له - والشواهد على ذلك كثيرة - بحيث لا يحول البُعد المكاني أو الزماني عن الوصول في الوقت المقرر، فإذا تيقن الإنسان المؤمن بذلك، عرف أن المستعجل لا يحصّل فوق المقدّر له، والبطيء لا يذهب عنه شيء إلى غيره، نعم على الإنسان أن يبذل الجهد المناسب ومجال العمل الذي يكون رزقه منه لأننا نعرف أن لا وسيلة لإمداد المخلوقين بالرزق بشكل محسوس معاين إلاّ

بالوسـائل الاعتياديـة مـن الأعـمال والمهارات التـي ينتجها الإنسـان بمختلف أنحائها المشروعة.

فالـلازم على الإنسـان أن يؤمن بأن الله تعالى خَلَقَـهُ وتكفل برزقه وجعل مفتاح ذلك عند العبد بأن يسعى في سبيل الحياة بما يديم النفع للآخرين ويحصل بالمقابل على ما يسّـد به حاجته بما يتناسـب والزمان أو المـكان فقد يكون الرزق بالمال (النقدي) أو العيني من الاعواض والأعيان.

ومن الجدير بالذكر أنه عليه السلام أهتم بهذا الجانب معرفةً منه بأنه جانب يكثر الاحتيـاج إلى اسـتيضاحه لأنه يتصل ببقاء الإنسـان في الحياة الذي يسـعى دائماً إليه.

٧٧- **قال** عليه السلام:

رسولُك[١] ترجمانُ[٢] عقلك، وكتابُك أبلغُ ما ينطق عنك.

يحتـاج الإنسـان في بعض ادوار حياته إلى مَنْ ينقـل أفكاره ويؤدي عنه ما يريد بيانه للآخرين ممن لا يمكنه مخاطبتهم فيسـتعين على ذلك بإرسـال مبعوث ينقل عنه رسالته المعينة، أو بكتابة ما يريده تحريرياً.

ومن هنا نجد أن الإمام عليه السلام يدعو:

إلى اختيار المبعوث اختياراً دقيقاً؛ لأن تصرفاته وأقواله سـتكون محسـوبة على مَنْ بعثه واختاره وتكشـف عن بعض ما للمرسِـل من قابليات ومؤهلات مما جعله ينتقي أشخاصاً مؤهلين أكفّاء كهذا الرسول.

---

(١) الرسول: المُرْسَل. المنجد ص٢٥٩ مادة (رسل).

(٢) الترجمان: المبلّغ. اقرب الموارد ج١ ص٧٥ مادة (ترجم).

وأيضاً عندما يكتب شيئاً لا بُدَّ من أن ينتقي كلماته لأنها تعبر عما بداخله وتبلّغ مكنون ما يريد، وبخلاف ذلك يُحكم عليه سلباً حتى لو كان مقصوده عالي الجودة والمضمون؛ لأن الناس بطبيعة الحال لا يستكنهون ما بذهنه ولا يكشفون ما في ضميره من مقاصده إلاّ من خلال واسطة التعبير الموصلة. إذن فمن الضروري جداً عدم التعجُّل أو الخضوع لعوامل معينة قد تمليها الظروف المحيطة بالشخص، لأن ذلك مما يبقى أثره في النفوس مدة طويلة.

وأخذاً بهذه الحكمة نجد أن العقلاء قد اتفقوا على أن يدققوا فيمن يمثلهم في مناسبات تقتضي ذلك، ومن ذلك السفراء المبعوثين ممثلين عن دولهم لأن الطرف المقابل يكوّن انطباعاً عن الجهة المرسلة من خلال سفيرها، وكذلك القارئ يكوّن انطباعاً عن الكاتب من خلال كتابه وما حرّره مهما كان قليلاً.

٧٨- قال عليه السلام:

الركون[١] إلى الدنيا مع ما تعاين[٢] منها جهلٌ، والتقصير في حسن العمل اذا وثقت بالثواب عليه غبْنٌ[٣]، والطمأنينة[٤] إلى كل أحدٍ قبل الاختبار عجز.

الدعوة إلى الالتزام بثلاثة أمور والعمل في الحياة عليها مع استيعابها لتتركز في القلب فيكون الالتزام بها والعمل على وفقها نابعاً من الصميم مما يعني التصميم والعزم ليكون مترسخاً يساير الإنسان في مراحل حياته كافة فلا

(١) ركن اليه ركوناً: مالَ اليه وسكن و وثق به. المنجد ص٢٧٨ مادة (ركن).

(٢) عاين عياناً: رآه بعينه. المنجد ص٥٤١ مادة (عين).

(٣) الغَبْن: ضعف الرأي، الخديعة في البيع والشراء. المنجد ص٥٤٤ مادة (غبن).

(٤) الطمأنينة اليه: سكن وآمن له. المنجد ص٤٧٣ مادة (طمْأن).

يغترّ بحالة فيضيّع واحداً من هذه الثلاثة ويخسر ولا ينفع الندم.

الأمر الأول: الحذر من الدنيا؛ لأن الشواهد على زوالها وفنائها وعدم استدامتها لأحد كثيرة جداً متسلسلة بحسب الزمان ومتعددة بحسب المكان، فلو أمِنَ منها الإنسان فإنما يكشف ذلك عن جهله وعدم معرفته لأن الواعي مَنْ يعي التجارب ويتعظ بها لئلا يحدث الشيء ذاته معه، أما إذا أسس بنياناً وشاده على أساس الثقة بالدنيا وأنها تدوم ولا تتغير مع الشخص الواحد مرات ومرات، فذاك هو الجاهل.

الأمر الثاني: زيادة القدرة في العمل مع توافر الضمانات الكافية للمواصلة من الحوافز والتشجيع وما إلى ذلك مما يُعَبَّر عنه بالثواب الذي هو (الجزاء على الأعمال خيرها وشرها، وأكثر استعماله في الخير)[1] بما يوفر الروح الحماسية لدى العامل ليستمر في العمل والإنتاج ويتواصل بإبداع وتفوق، فإذا كان كل ذلك - الثواب - مضموناً ولم يعمل الإنسان فهو مما يدل على ضعف رأيه وعدم معرفته وانعدام الفكر الصائب لديه؛ لأن كل ذلك من المحفزات ،والتقاعس عنها يعني الخسارة الناتجة عن الانخداع بأمر موهوم.

ونجد أن الله تعالى أعد للمؤمنين به ثواباً جزيلاً - في الدنيا أو الآخرة - بمختلف الأشكال المناسبة لحالة المؤمن أو المؤمنة فإذا تخّلى عن الاهتمام بما يفيض عليه ذلك الثواب، فإنما يشكّل عليه علامة سلبية لا تخدمه؛ لأنه ترك المضمون وتابَعَ الموهوم.

الأمر الثالث: لزوم التريث في إقامة العلاقات الاجتماعية على مختلف المستويات: الفردية، الجماعية، العائلية، العملية؛ لأن التعجُّل في ذلك يؤدي في كثير من حالاته إلى الندم واكتشاف المساوئ في الطرف الآخر والتي قد تسئ إلى

(١) المنجد ص٧٥ مادة (ثاب).

سـمعة الإنسان نفسه، ولا يعني هذا التخلي عن قاعدة (حُسن الظن) بل يصلح أن يكون تأكيداً لها ودعماً من جهةٍ مُسـانِدَةٍ إذ لو انساق الإنسان وراء ظنه الذي يعتبره حَسَناً لأمكـن حدوث مشـكلات كان يمكنه تفاديها. فالـلازم إخضاع الطرف المقابل للفحص والاختبار بالوسـائل الطبيعية التي تستظهر سرائره وما ينطوي عليه من روحية وعقلية لهما كبير الأثر في تكوين شخصيته.

فـإذا لم يكن ذلك وأقبل الإنسـان متلهفاً وراء إقامـة المزيد من العلاقات الثنائيـة أو الأكثـر على مختلف المجالات لأصطدم بالواقـع المؤلم فيعرف انه كان عاجزاً عن إجراء العمل الطبيعي وهو دراسته تجريبياً بما يكشف قناع المجاملات وقضايا التعارف الاجتماعي.

فالدعوة إلى الالتزام بالحذر من الدنيا بأن يتوازن في الإقبال إليها والإدبار عنها نحو الآخرة التي هي الأبقى.

وبالمثابرة والسعي لأن وراء ذلك الثواب المضمون.

وبالاختبار قبل اختيار كل أحد، عسـى أن تتوفر الحماية الكافية للإنسـان ليعيش خلوّاً من المكدرات والمنغصات.

حرف الزاي

٧٩- قال عليه السلام:

زهدُك في راغبٍ فيك نقصان حظٍ، ورغبتك في زاهدٍ فيك ذل نفس.

إن على الإنسان الذي يسعى نحو التكامل أن يعيش العقلانية في حبّه وبغضه، ولا يترك الأمر وراء عاطفته وان كان لها اكبر الأثر، إلاّ أن مَنْ يريد السيطرة عليها يمكنه ذلك هذا على مستوى، ومن مستوى آخر إنّ على الإنسان أن يُخْضِعَ حبّه وبغضه لشخص، لعملية جمع وطرح ليرى الناتج بصالحه أو تكون النتيجة انه مغفّل.

فالدعوة لأن نحّب، ونرغب، ونريد، مَنْ أحبنا ورغب بنا وأرادنا وإلاّ لكان الإنسان قليل الحظ إذ لو لم يقابل المحب والراغب بالمثل لنَفَرَ عنه تدريجاً وابتعد إلى غيره وبهذا خسر صديقاً صدوقاً.

وأيضاً علينا أن لا نرمي بأنفسنا وراء مَنْ ابتعد عنا ورفض علاقتنا واعرض فاختار الغير بديلاً لأن ذلك الاختيار غير المتكافئ يؤدي إلى الذل والهوان وهو ما لا ينبغي للإنسان أن يختاره.

وهـذه دعـوة لـو التزمناهـا وسرنا عـلى ضوئها لقـلّ التنافـق الاجتماعي والتكاشر بين الأفراد.

ثم إن (المكاشرة) وهي من أبرز مصاديق النفاق وتعدد الأوجه مما تضيف للمجتمـع داءً وبيلاً نسـتجير بالله منه، وتلقي بضلالهـا الثقيلة القائمة على أرجاء المحيطات كافة التي تتولد فيها سـواء الأسرة أو المدرسـة أو المؤسسـة أو.. أو.. ولذا كان لزاماً التحذير من مخاطر النفاق والمكاشرة.

حرف السين

٨٠- **قال عليه السلام:**

السخاءُ ما كان ابتداءً فأما ما كان عن مسألة فحياءٌ وتذممٌ[١].

الدعوة إلى الجود والعطاء، بأسلوب مختلف عما تقدم ويأتي في كلامه عليه السلام، وهو أن العطاء الابتدائي لا عن طلب وسؤال هو الذي يستحق إطلاق وصف السخاء عليه، وأما إذا كان العطاء لحفظ الشأن ولئلا يُنبز بالبخل وعدم الكرم فهو حفظ كرامة وإبقاء لماء الوجه - كما يقولون - فالآخذ صاحب الفضل حيث أتاح للدافع فرصة أن يكون ذا يد وجميل عليه لأن ذلك صيانة لسمعة الدافع لئلا يقال في حقه ما لا يليق به.

وعلى أيّ حال فالعطاء من القضايا التي تتسم بطابع إنساني وإسلامي.

أما الإنساني فعلى الإنسان الغيور أن لا يترك أخاه الإنسان في ضائقة مع إمكانه أن يسعف حاجته ويواسيه بما رزقه الله تعالى.

وأما الإسلامي فلأن الإسلام اهتم كثيراً بأن يكفل حاجة المسلم ويضمن

(١) تَذَمّمَ منه: استنكف واستحيا. المنجد ص٢٣٧ مادة (ذمّ).

له تأمينها عن طريق المجعولات الشرعية على المال بأنواعه كافة وبمختلف أشكال الجعل كالزكاة والكفارات والصدقات والمال مجهول المالك وغير ذلك مما يُتعرض له في المصادر الفقهية.

إذن نحن مدعوون لتحمل المسئولية والتكاتف والتآزر والمعونة لكلٍ حسب وضعه الاقتصادي والاجتماعي فلا نرهق كاهِلَ أحد على حساب أحد.

٨١- قال عليه السلام:

سوسوا[١] إيمانكم بالصدقة، وحصّنوا أموالكم بالزكاة، وادفعوا أمواج البلاء بالدعاء.

الدعوة إلى الالتزام بثلاثة أمور مهمة لديمومة الحياة للفرد وللمجتمع:

الأمر الأول: التصدق على الفقراء وذلك يعني أمرين أولاً: حفظ الإيمان والالتزام بما يمليه من التزامات تجاه الفقراء. ثانياً: استدفاع الشر واستجلاب الخير لأنه كما ورد في الحديث أنه: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا مَنْ في الأرض يرحمكم مَنْ في السماء)[٢].

إذن الصدقة تعني المواصلة على خط الإيمان والتفاعل معه روحياً وعملياً بما للمواساة من معنى لا يتأتى للكثير تطبيقه.

ومن الجدير بالذكر أنه قد ورد في بعض المرويات عن الإمام علي عليه السلام أنه (مَرَّ بالسوق فنادى بأعلى صوته إنّ أسواقكم هذه يحضرها أيمان فشوبوا[٣]

(١) سوسوا: فعل أمر مشتق من السياسة والتي تدور معانيها المتعددة حول القيام بالشيء والتزام الأصلح به واستصلاحه بما يحفظه. المنجد مادة (ساس)، اقرب الموارد ج١ ص٥٥٧.

(٢) جامع الترمذي مع شرحه تحفة الأحوذي مج٣ ص١٢٢.

(٣) أي اخلطوا.

أيمانكم[١] بالصدقة فإن الله لا يقدس مَنْ حلف باسمه كاذباً)[٢] وعلى تقدير صحة النقل وسلامة السند يمكن فهم شيء آخر وهو أن الدعوة لاستدفاع الآثار المترتبة على كثرة القَسَم خاصةً وأنه منهي عنه في عدة روايات[٣]. فلأجل تخفيف التبعات كان الأمر بالصدقة، ولكن لم أجد حسب ما لدّي من النسخ المتوفرة فعلاً من نهج البلاغة ما يؤكد هذه الرواية، نعم يوجد تشابه خطي بين (سوسوا) و(شوبوا) كما أن هناك بعض القرائن التي تؤيد الفكرة. ومع ذلك كله يبقى في دائرة الاحتمال والأطروحة.

الأمر الثاني: دفع الزكاة المفروضة:

في العملة[٤] النقدية ذهباً أو فضة التي كانوا يتعاملون بها سابقاً.

والحيوانية (الأنعام) إبلاً وبقراً وغنماً.

والغذائية (الغلات) حنطة وشعيراً وتمراً وزبيباً. على تفصيل يذكر في المصادر الفقهية فالالتزام بذلك وعدم التغافل عنه وإخراج المقدار اللازم شرعاً يوفر حماية لما بقى، بحيث تُحَصَن الأموال ويُدْفَع عنها ما يُخاف شره كالحرق أو السرقة أو الحسد أو نحو ذلك مما يحذر منه الإنسان إلاّ إذا شاء الله تعالى أمراً - والذي لا يكون إلاّ لسبب - ويمكننا أن نتفهم كيف تكون الحصانة من خلال الفهم الطبيعي للإنسان، فنجد أن إخراج المقدار الخاص وتوزيعه على الفقراء

---

(١) الأيمان جمع اليمين القَسَمْ.

(٢) الجعفريات ص٥٨ المطبوع مع كتاب قرب الإسناد، ونحوه ما رواه الشيخ الصدوق مرسلاً في كتابه (من لا يحضره الفقيه) ج٣ ص١٣١ ب٦١ التجارة ح١٤ رقم٥١٨ بلفظ: (وقال عليه السلام: يا معشر التجار شوبوا أموالكم بالصدقة تكفّر عنكم ذنوبكم وأيمانكم التي تحلفون فيها تطيب لكم تجارتكم) فلاحظ.

(٣) انظر وسائل الشيعة ج١٦/ ص١١٥-١١٧/ باب ١.

(٤) ولا تشمل العملات القديمة المتبقية كالليرة التي لا تستعمل إلا للزينة ونحوها وكذلك لا تشمل العملات الورقية الحالية ولو كان غطاؤها الذهب.

يوفر فرصة العيش لهم فلا يهم أحد بسرقة شيء ولا تصيبه حسرة ولا يفكر في اعتداء مهما كان نوعه، لأن كل ذي نعمة محسود فإذا أدّى ما عليه من الحق الشرعي بدفع مقدارٍ ليتقوت به الفقير فقد أمنَّ هذا الجانب إلى حد كبير.

ولا تقاس الأمور بالأمر الشاذ فقد يصادف أن يصيب المكروهُ الملتزمَ بتطبيق التعاليم الشرعية بينما غيره لا يصاب، وهذا لا يعني كرامة أو حصانة غير الملتزم بل يعد هذا الاستنتاج من خطل التفكير؛ لأن الله تعالى غني عن طاعة من أطاعه كما لا تضره معصية مَنْ عصاه وقد ورد (إن الإنسان لا يبتلى إلاّ بذنب عليه)[1].

الأمر الثالث: التوجه إلى الله تعالى والإقبال على الدعاء له تعالى ليصرف بقدرته كل سوء يخافه الإنسان، فان أنواع السوء كثيرة جداً لا نتصور بعضها مما يستجد يوماً فيوماً ومما يتجدد بحسب المكان والحالة العامة. فالذي يؤمِّن الإنسان من هذه الأنواع كلها هو الالتجاء إلى الله تعالى بالدعاء والتوسل ليكون الإنسان قريباً من ساحة عفوه وكرمه فيشمل عبده بحنانه وعطفه. ومن المعلوم انه تعالى ﴿**أَقْرَبُ إِلَينا مِنْ حَبْلِ الوَرِيد**﴾ ولا يحجزه شيء عن شيء و﴿**لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ**﴾.

فلا يظن الإنسان في أية حال كان فيها انه بمنأى عنه تعالى فلا يسمعه ولا ينجده بل على العكس تماماً هو سميع مجيب لمن دعاه لكن لابُدّ من أن يكون الدعاء عن حضور قلب، وتوجه فكر. وليس دعاء الساهي اللاهي الذي يردد كلمات الدعاء وهو غافل عن محتواها أو غير مؤمن به أساساً فمن الطبيعي جداً أن لا يستجاب دعاؤه لأنه لم يصِلْ أصلاً ولم يرفع.

(١) انظر تفسير مجمع البيان للطبرسي ج٩ ص٣١، وتفسير الدر المنثور للسيوطي ج٦ ص٩.

حرف الشين

٨٢- قال عليه السلام:

شاركوا الذي قد أقبل عليه الرزق فإنه أخلق[١] للغنى وأجدر[٢] بإقبال الحظ عليه.

إن هذه الحكمة تستوقفنا كثيراً لما نجد فيها من مشاركة الإمام عليه السلام في المجال الاقتصادي بما يعني انه لم يكن مقتصراً على العبادة أو الحرب أو.. أو... مما يحاول البعض قصرَه عنده بما يُضَيّق سعة الأفق وميدان التحرك. بل الإمام متقدم في أصناف المعرفة كافة، فهو يمتلك فكراً قيادياً بمعنى الكلمة وبما يشمل شئون الدنيا والدين، وليس بمقتصر في حدود معينة بما يترك فراغاً لدى المسلمين في جوانب عديدة مما يحتاجون إلى الخوض فيها بمقتضى أوضاعهم المختلفة باختلاف البلدان والعصور والمهن والمستويات الفكرية التي يمتلكونها. فالإمام عليه السلام ليس حكراً على فئة دون أخرى بل تنعمُ بالاستفادة من تعاليمه

---

(١) أي أكثر فرصة معه.

(٢) أي أكثر توقعاً عنده.

وتوجيهاته الأمةُ جمعاء، ومن هنا كانت هذه الدعوة إلى اختيار الشريك المحظوظ في العمل، هادفاً إلى عدة جوانب منها:

١- أن لا يبتلى المسلمون بالفقر من خلال الركود في السوق التجارية.

٢- أن لا تكثر البطالة، بل إعطاء فرص للعمل بما يخدم اكبر عدد ممكن.

٣- أن لا يتأخر الوضع الاقتصادي للسوق الإسلامية بصنوف التعامل المحلل شرعاً كافة.

لأن من الملحوظات التي يبديها البعض ممن لم يفهموا الأمر على حقيقته: أن غير المسلمين - عموماً - متقدمين في مجالات العمل والتجارة أكثر من غيرهم وقد يؤدي هذا إلى نتيجة: أنهم أنجح وأفضل وأكثر كفاءة و.. و.. مما لا يكون صحيحاً في واقع الأمر إلاّ أن عدم تعامل بعض المسلمين بالتعاليم الصحيحة يترك فرصة لأن يقال هذا وأمثاله ويُروّج له.

فإذا أعطى المحظوظ في عمله فرصةَ مشاركته للغير حقق مكسباً مهماً بما يخدم مصلحته ومصلحة غيره من الأفراد والمجتمع فالكل قد تموّج بالعمل وتحركت عجلته بما يعطي مردوداً ايجابياً من الربح والنماء والاكتفاء الذاتي - أحياناً - و.. و...

إذن هذه الحكمة تصلح لأن تكون منهجاً ينفع في مجال تدعيم أسس الاقتصاد للسوق الإسلامية بما ينمي ويرفع المستوى، ويقلل من فرص التعطل عن العمل وما يسببه ذلك من مشكلات اجتماعية تترك أثرها السيئ على المجتمع.

وقد عرفنا من كل ما تقدم أن التعلل بالحظ أو النصيب أو القسمة أو الرزق أو التوفيق... مما يردده الكثير من شرائح المجتمع إنما هو نتيجة الفشل وعدم متابعة الأمر بشكل جدّي وإلاّ فالله تعالى قَسَمَ الخير للجميع وأتاح سُبله

بما يوفر لكلٍ تأمين وضعه الاقتصادي في الحياة ويكون محفوظ الكرامة.

٨٣- قال عليه السلام:

شَتَّان[١] ما بين عملين: عمل تذهب لذته وتبقى تبعته[٢]، وعمل تذهب مؤنته ويبقى أجره.

كل إنسان مسؤول عن تصرفاته وأعماله الايجابية والسلبية ولا بُدَّ من تبيان الأمور وتوضيح عواقبها بما يجعل عملية الاختيار وليدة قناعة بجدوى العمل وأثره.

والحكمة تبين الأمر وتوضح عاقبته ليحسن اختيار الإنسان ويتبصر فلا يكون عمله نتيجة حالة ضغط معينة كالحاجة أو الخوف أو الوعد أو الوعيد أو تلبية الرغبة...

وقد كان التبيان والتوضيح في الحكمة بأسلوب رائع من خلال إعطاء المقومات لكل عمل مع عدم إغفال نقطة الضعف.

١- فالعمل الأول وهو العمل غير الصالح (الطالح) الذي يخرج في إطاره العام عن حدود المقبول الشرعي فلا يكون إلاّ مجرد تلبية رغبة مؤقتة مع عدم مراعاة العاقبة ولذا تبقى الآثار السيئة من: المساءلة والمعاقبة والمصير المخزي، تلاحقه بعد انتهاء الوقت والعمل.

وهذا نوع مما تمارسه مجموعة ليست بالقليلة من الناس انطلاقاً من أساس التنفيس عن الكبت الداخلي في إشباع الغريزة سواء في الأكل أو الشرب أو الجنس أو الملابس أو الثروة... مما يتعدى فيه الإنسان فيمارس أعمالاً غير مقبولة

(١) بمعنى بَعُدَ. المنجد ص٣٧٣ مادة (شتّ).

(٢) التبعة: ما يترتب على الفعل من الخير أو الشر، الاّ أن استعماله في الشر أكثر. المنجد ص٥٩ مادة (تبع).

شرعاً فتذهب لذته وما استفاده الإنسان مع بقاء الحساب العسير.

ومن الطبيعي أن هذا النوع من الأعمال - وهو غير الصالح - لا يقتصر فيه على أعمال بعض الأعضاء دون بعضها الآخر بل يتساير مع الجميع وينتج عن الجميع فقد يشبع الإنسان رغبته من خلال الأذن أو العين أو الفم أو الأنف أو اليد أو سائر الأعضاء التي لها منافع معينة تلبي حاجة الإنسان.

٢- والعمل الآخر وهو العمل الصالح فانه يتسم بانسجامه مع التعاليم الشرعية وعدم خروجه عن الحد المقبول شرعاً وغالباً ما يعاني الإنسان إزاء تنفيذ هكذا عمل بعض المعاناة الفكرية أو العضلية حتى يتم وينجز ولكن إذا ما أتجه صوب الدار الآخرة فانه يجد ما يقر عينه ويؤنس نفسه ويبهجها من الجزاء الحميد والثواب والأجر بما ينفعه في الوصول إلى درجات مهمة ومنازل يتمنى كل أحد الوصول إليها فقد يكون من الصابرين أو الصالحين أو الشاكرين أو العافين أو العلماء أو الحلماء أو الكاظمين الغيظ أو البارّين أو الوجلين من الله واليوم الآخر أو... من درجات ومنازل لا يصل إليها الإنسان إلاّ بعد عمل دنيوي وجهد كبير لتكون العاقبة حميدة ولصالحه.

فالدعوة إلى أن يبتعد الإنسان عن العمل الطالح السيئ لئلا يتورط بالمسائلة والمؤاخذة، وإلى أن يعمل العمل الصالح الخيري ليحظى بالأجر والثواب.

٨٤- قال عليه السلام:

شرُّ الإخوان مَنْ تُكلِّفَ له.

يستفاد من سياق الحكمة إرادة الأصدقاء والأصحاب من (الإخوان) وليس الإخوان الذين يجمعهم مع الإنسان صلبٌ ورحمٌ وان كانوا داخلين

تحت العموم إلاّ أن الانصراف لأولئك.

فالدعـوة إلى اتخاذ قاعدة ينفع السير عليها في العلاقـات الاجتماعية وما تفرضـه من مجامـلات و آداب تختلف باختـلاف الأزمان والبلـدان والأعراف والمناطق، قد ترهق الإنسـان بقيودها والتزاماتها وما تحتمه من حالات الضيافة أو غيرها مما يحتاجه الصديق، وتكلفه المال أو المواقف.

وبعبارة أخرى على الإنسـان أن يترسـل ولا يشـق على نفسه ولا يتكلف أمراً غير ميسـور له بل يسـير بحيث لا يُخلْ بالطرف الآخر ولا يجهد نفسه؛ لأن العلاقة الصحيحة ليس من مقتضياتها التكلف وطلب غير المقدور بل مبنية على السهولة والإغضاء عن التقصير إن وجد وترتيب العذر - لو أمكن - فإذا ابتلي الإنسـان بمَنْ يثقلـه بالكلفة الزائـدة والاهتمام المبالغ فيـه والمحافظة على رضاه بالشـكل الخارج عن المتعارف فذلك إنسـان سـلبي لا يسـتحق الصحبة وإقامة العلاقة الودية معه.

وأحسـب أننا لـو التزمنا بهـذه الحكمة وحاولنا السـير بموجبها فسـتقل حالات فشـل العلاقات الاجتماعية بشـكل ملحوظ؛ لأن الذي يؤثر سـلباً على العلاقات هو التكلف والتصنع فيها فإذا اسـتبعدنا ذلك فالنتيجة وجود إخوان للإنسان يساعدوه على نوائب الدهر، كما يجد فيهم أصدقاء أوفياء مخلصين يحس ذلك من مواقفهم وعواطفهم.

إذن فالدعوة إلى اسـتبعاد كل ما يعرقل مسـيرة الصداقـة والتقاليد المثقلة لكاهل الصديق.

٨٥- قال عليه السلام:

الشفيعُ جناحُ الطالب.

إذا استعصى أمرٌ على الإنسان فانه يلجأ إلى ابتغاء حلّه بعدة طرق وأشكال، فإذا كان الأمر المستعصي متعلقاً بإنسان آخر فيحاول أن يطلب عون ثالث ويسمى الشفيع ليؤثر في حل القضية وإنجازها.

وهذه قضية عرفية قلّ أن يخلو منها مجتمع من المجتمعات المتحضرة أو غيرها ولكن من الأمور التي تواجه المعين (الشفيع) هو الرد والرفض وعدم الإحسان له بقبول سعيه وتمرير القضية لأجله.

فالدعوة إلى أن يتعقل المشفوع لديه القضية ويتقبل الشفاعة لأن بالشفيع يصل المستشفع إلى مراده فهو بمنزلة الجناح الذي له دور كبير في عملية طيران الطير، فكذلك الشفيع له دور فعّال في إنجاح المساعي فلابُدَّ للأطراف الثلاثة صاحب الحاجة والمستشفَع لديه والشفيع أن يقدرّوا الحالة ويتجاوبوا بالمقدار الممكن من دون ما عرقلة أو طرح مثبِّطات مما تحكم على المطلوب بالفشل.

وأيضاً عدم تناسي دور المحسن (الشفيع) ليتشجع على فعل المعروف والتجاوب مع أصحاب الحوائج وطالبي الشفاعة الآخرين.

فلإبراز دور (الشفيع) وأهميته مهما كان مستواه الاجتماعي أو أهمية العمل المنجَز كانت هذه الدعوة الكريمة فليْتنا نستوعبها عملياً ونسير على منهجها.

حرف الصاد

٨٦- قال عليه السلام:

صاحب السلطان كراكب الأسد يُغبط[1] بموقعهِ وهو أعلم بموضعهِ.

الدعوة إلى الابتعاد عن مراكز النفوذ والسلطة، لحساسية الموقع وما قد تستجلبه على الإنسان من متاعب دنيوية أو أخروية، ولا يمكن لأحد الوثوق التام بولائه للسلطان لأنه ويبعّد يقرّب مَنْ تقتضي المصلحة والسياسة تقريبه وتبعيده، وليس على ضوابط ثابتة بل تتغير بأدنى حالة أو زلّة، فان المطلع على أسرار السلطان لا يأمن على حياته؛ لأنه لا بُدَّ من السيطرة عليه لئلا يفشي شيئاً منها.

وكذلك يكون - المطلع على أسرار السلطان - مغبوطاً من الآخرين على أساس انه قريب من السلطان مما يعني تمكنه من تحقيق رغبات وأماني الآخرين ولكنه يعرف أشياء توقفه دون السعي وراء تحقيق أماني الغير وقد

(١) الغِبْطَة: تمنّي نعمةٍ على أن لا تحوّل عن صاحبها. المنجد ص٥٤٤ مادة (غبط).

يـداري – أحياناً – وضعَـهُ ومنصبَهُ وبقاءَهُ على تلك الحالة فـلو مشـى قدمـاً في طريق قضـاء الحـوائـج أو الشفاعة للمظلومين أو.. أو... مما يتوقع من صاحب السـلطان فسـوف يجابه بالرد وتقليص الصلاحيات – إن وجدت – لئلا يتطور وضعه نحو الأحسـن فيكسـب من خلال منصبه أصدقـاء ومعارف قد يهتفون باسمه في يوم مّا وهذا ما لا يروق للسلطان بطبيعة الحال.

فالحكمة تشير بوضوح إلى أن على العاقل أن لا يأمن من صحبة السلطان أو إقباله على أحد، وقد مثّل لذلك بمَنْ يتمكن من ركوب الأسـد وهو الحيوان المفـترس الذي يُهاب شـكله مـن البُعد فضلاً عن الاقتراب منـه والركوب عليه وجعلـه مطيـة تمتطـى، الذي يعنـي أقصى حالات السـيطرة والتمكـن إلاّ انه – الراكب – يعرف حساسية موضعه وانه معرَّض في أية لحظة إلى أن ينفر به الأسد وينقـضَّ عليه، مفترسـاً له ولا ينفعه وقتئذ إذا خسر عمـره غبطةُ الناس وتمنيهم الحصول على موقعه وما يحمله من دلالات وإشارات.

ومن المعلوم أكيداً أن صاحب السـلطان إذا لم ينفذ أمراً، أو عارض حالة مـا، أو أبدى خـلاف ما يرغبه السـلطان، أو اُتهم بالمعارضة لأفكاره، أو وشـى به أحد إلى السـلطان أو.. أو... فانه يكون أقرب إلى الهلاك وأسرع إلى التشـفي والانتقام منه.

مضافاً إلى أمر مهم جداً وهو أن السلطان معرّضٌ لنزول العذاب والبلاء بحكـم مـا يصدر منه من ظلم وغصب وانتهاك حرمـات و.. و... مما يحتم عليه موقعه لأجل التأديب وفرض السيطرة وإظهار القوة، ولكن كل هذه التبريرات لا تكفي لدفع نزول العذاب عليه وعلى مَنْ حواليه والمنتسبين اليه ممن يشهدون الظلم والتعدي والانتهاك ولا يعترضون أو يشفعون، مما يعني الخذلان والخوف من التغير عليه أو العقوبة فيكون مستحقاً للعذاب لأنه لم ينتصر لله تعالى فيما أمر

به أو نهى عنه مما يعني رضاءه بالواقع وما يجري من أحداث.

فاللازم الابتعاد عن موقع الخطر وموضع البلاء لئلا يزج الإنسان بنفسه في حـالات غير مأمونـة العاقبة شرعاً. ونحن مدعـوون للمحافظة على الرابطة الشرعية وعدم التفلّت منها وإلاّ لانطبق عنوان العصيان مما ينذر بالخطر في يوم القيامة.

إذن صحبة السلطان قد تورط الإنسان في علاقته مع ربه ومع الناس.

٨٧- قال عليه السلام:

الصبرُ صبران: صبرٌ على ما تكره، وصبرٌ عما تحب.

إنّ الصبر من الأمور الواضحة المعنى جماهيرياً، المجهولة القدر، الصعبة الحصول والتطبيق، لأن الإنسـان لوجود بعض القوى المحركة للغضب والمثيرة نحو الانتقام تقلّ لديه فرصة التجلد وضبط النفس وعدم الشكوى مما أَلَمّ به من نوائب الدهر، بل يُستثار بسرعة وتتأجج بداخله شعلة حب الانتصار والإرغام للخصم فلا يصبر وهذا بشكل عام.

وقد ورد في القرآن الكريم ما يحث على الصبر في عدة من الآيات المباركة[1]،

---

(١) قد ورد الترغيب على الصبر وبيان مزاياه في عدة من الآيات المباركة منها:

١- ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرين﴾. (البقرة-١٥٣).

٢- ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرين﴾. (البقرة-١٥٥).

٣- ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي البَأْسَاءِ وَالضَّراءِ وَحِينَ البَأْسِ أُولئِكَ الذِينَ صَدقوا وَأُولئِكَ هُمُ المُتَّقونَ﴾. (البقرة-١٧٧).

٤- ﴿وَلَئِنْ صَبَرْتُم لَهُو خَيْرٌ لِلصابِرِينَ﴾. (النحل-١٢٦).

٥- ﴿أُولئِكَ يُؤْتونَ أَجرَهُم مَرَّتَينِ بِما صَبَروا﴾. (القصص-٥٤).

٦- ﴿إِنَّما يُوفّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيرِ حِساب﴾. (الزمر-١٠).

وأيضاً ورد في السنة النبوية الشريفة[1] ما يعزز الأمر ذاته بما يدعم الفكرة لتترسخ لدى المسلمين فلا يتعرضوا لحالات الضعف والاهتزاز بما يطوّر الوضع إلى ما لا تحمد عاقبته وما لا تُرْضَى أواخره.

ولما كان حصول الصبر بالحالة الثابتة لدى النفس بحيث لا يجد الإنسان كثير معاناة لو أراد التحلي به كانت الدعوة إلى بيان الصبر وانه في موقفين:

الموقف الأول: عندما يواجه الإنسان حالة يكرهها ولا يريد الدخول في تفاصيلها، وللكراهة هذه أسباب تختلف باختلاف الزمان والمكان والحالة والخصوصيات الأخرى التي تترك آثاراً على الحالة بحيث يكرهها الإنسان. فإذا أرغم الإنسان نفسه على التحمل وتمرير الحالة وتجرّع الآلام النفسية وغيرها - أحياناً - بما يحقق معنى الصبر، يفوز بما وعد الله تعالى به الصابرين من الأجر والمثوبة والبشرى و﴿**إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾.

الموقف الآخر: عندما يكون الإنسان في خيار بين ان ينفتح على ما يحب

---

(١) قد ورد الحث على الصبر في الروايات الشريفة عن النبي وآله صلوات الله عليهم أجمعين منها:

١ - قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ان استطعت ان تعمل بالصبر مع اليقين فافعل، فان لم تستطع فانَّ في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، واعلم ان النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب فان مع العسر يسراً، ان مع العسر يسراً. (الوسائل ج١١ ص٢٠٩ ح٤).

٢ - عن امير المؤمنين عليه السلام في وصيته لمحمد بن الحنفية قال: إلْقِ عنك واردات الهموم بعزائم الصبر، عوّد نفسك الصبر فنعم الخُلُق الصبر، واحملها على ما اصابك من اهوال الدنيا وهمومها. (الوسائل ج١١ ص٢٠٨ ح٣).

٣- عن ابي جعفر الباقر عليه السلام قال: الجنة محفوفة بالمكاره والصبر، فَمَنْ صبر على المكاره في الدنيا دخل الجنة، وجهنم محفوفة باللذات والشهوات فمن اعطى نفسه لذتها وشهوتها دخل النار. (اصول الكافي ج٢ باب الصبر ح٧).

٤ - عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: الصبر رأس الإيمان. (اصول الكافي ج٢ باب الصبر ح١).

وينظر صحيح البخاري ج٨ ص٣١. وايضاً الترغيب والترهيب من الحديث الشريف للحافظ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري ج ٤ ص٢٧٤ إلى ص٣٠٢).

فيحصل له ما يتمنى ويحب، أو يصبر عن ذلك ليحوز على رضا ربه تعالى أو مَنْ أُمر بمداراته كالأبوين مثلاً أو غيرهم، فإذا تغلّب على هواه وعزف عن مراده وما يحبه وحاول التعامل مع ما لا يرغبه تحقيقاً لرغبة المأمور بمداراته فسوف ينال اجر الصابرين ويكون في درجتهم يوم القيامة.

وقد بين عليه السلام أن الصبر إنما هو في هذين الموقفين، فإذا صبر الإنسان فيهما على ما يكرهه، وعما يحبه ويرغبه فهو الصابر حقاً الذي وُعَد بكل خير.

٨٨- **قال** عليه السلام:

صحة الجسد من قلة الحسد.

أسلوب لطيف من أساليب النصح والدعوة اتخذه عليه السلام ليبين ضرورة التخلي أو الابتعاد عن داء الحسد لأن ذلك ينتج تفاعل الجسد مع الروح المريضة الحسودة فيؤثر سلبياً في تناقص الحالة الصحية وترديها.

ومن المعلوم أن الصحة من الأمور التي يحرص عليها الإنسان ويحاول الحفاظ عليها وإبقاءها من دون ما تدنٍ أو تدهور فإذا عرف الحاسد أن للحسد تأثيراً سلبياً على الصحة فحتماً سيقلعِ عنه ويبتعد عن مجالاته فيعيش الايجابية اتجاه الآخرين ويتمنى لهم ما يتمناه لنفسه ولا يكون ضيق النفس بل يحب لهم ما يحبه لنفسه فيضمن راحته النفسية وصحته الجسدية من هذه الجهة - على الأقل -.

فالدعوة إلى نبذ الحسد، الذي هو داء اجتماعي يكثر بين الفئات والمستويات كافة من خلال تأمين الجانب الصحي للإنسان الذي يتحاشى الإنسان بطبعه الاحتكاك بأي شئ من شأنه الأضرار بالصحة.

فهو أسلوب تربوي يبغي توصيل النفع بأي شكل من الأشكال الممكنة.

٨٩- قال عليه السلام:

صدرُ العاقلِ صندوقُ سرِّه، والبشاشة حِبالة[1] المودة، والاحتمال قبر العيوب (والمسالمة خباء العيوب) ومَنْ رضي عن نفسه كثر الساخط عليه.

الدعوة إلى التحلي بعدة أمور مهمة في حياة الإنسان إذ تكسبه ثقة الآخرين ومودتهم واحترامهم وهي:

أولاً: كتمان السر إذ لابُدَّ للعاقل أن يحافظ على أسراره ويكتم كل ما من شأنه أن يؤثر عليه ويشكّل نقطة ضعف له فلا بُدَّ له من استيعاب الأمر جيّداً لئلا يفشي سراً قد يتضرر به هو أو غيره لأنه في كثير من الحالات قد يفشي أمراً مكتوماً يؤدي إلى تلف الأنفس أو الأموال إذ لا بُدَّ من إقفال الصندوق جيداً بما يجعل ما فيه مستوراً عن الغير.

ثانياً: أن يكون الإنسان بشوشاً طَلِق الوجه، تعلو وجهه الابتسامة، وبذلك يجر مودة الآخرين ومحبتهم وهو شيء ثمين يحرص الكثير على كسبه وحيازته لأنه يشكل بمجموعه العام رصيداً اجتماعياً مهماً يمكن الاعتماد عليه في مشاكل حياتية تواجه الإنسان ويكون ملجأه - بعد الله تعالى - رصيده لدى الناس وما يحتفظون به من مودة واحترام وتقدير وتكريم بما ينفع في غالب القضايا المواجهة.

---

(١) الحِبالة: المصيدة. المنجد ص١١٥ مادة (حبل).

ثالثاً: سعة الصدر والقدرة على امتصاص مشكلات الآخرين، ومعاونتهم ولو بالإصغاء إليهم مما يحبب الإنسان إلى النفوس.

وسعة الصدر سواء في الإغضاء عن الإساءة وعدم المجابهة، أو في عدم مواجهة الغير بمواطن عيوبه ونقصه، كل ذلك يوّفر للإنسان حماية واقية عن خوض الناس في عيوبه.

وقد ورد في كثير من نسخ نهج البلاغة (والمسالمة خباء العيوب) مما يؤكد المعنى نفسه بحيث لا يفقد الإنسان السيطرة على التحمل فيكسب بذلك ستر الناس عيوبه وعدم الكشف عما يكره مما يخصه.

رابعاً: التوازن في تعامل الإنسان مع ذاته فلا يعيش معها، ولها، فقط بل لا بُدَّ من أن يعرف جيداً ان هناك من يراقب سير الأحداث فيقيّم الحالة سواء ايجابياً أم سلبياً بما يعني أن يتعامل الإنسان مع نفسه بما يجعلها متجهة نحو العمل الأحسن فلا يقنعها بأنها بلغت الغاية ووصلت المرام وأنها تفوق الغير وأنها أحسن من الغير و.. و... مما يحلو لبعضهم ان يسمعه من غيره أو أن يُسمّعَه هو لنفسه بما يسد لديه فراغاً نفسياً يعانيه وهذا من أشد الأخطاء لأنها تسد على الإنسان منافذ العمل، والمثابرة على الإنتاج الأفضل فيكتفي بما قدّم.

مضافاً إلى أنّ مَنْ تعوّد كيل المديح لنفسه والرضا عن انجازاتها وعما وصلت اليه سيخسر الآخرين؛ لأنه بالضرورة سيقلّل من شأن الغير وانجازاته مما يفقده بعضَ احترامهم أو يتشنج معهم في العلاقات، فيخسر رضاهم ويسخطون عليه، فيكون بذلك جالباً لنفسه دعايات مضادّة كفيلة بتحطيمه أو تحجيمه.

٩٠- قال عليه السلام:

الصدقة دواء منجح، وأعمال العباد في عاجلهم نصب أعينهم في آجلهم.

الدعوة إلى التصّدق والتفقد بما يوفر فرصة الحياة الكريمة لمن لم تساعده ظروفه الخاصة على ذلك، وبذلك نضمن التقارب في المستويات الاجتماعية وتقليل فرص وقوع الجرائم والمشكلات وما إلى ذلك مما يخيّم على المجتمع الآمن فيفقده السلامة والاطمئنان.

وقد اجتمعت في الصدقة مقومات كثيرة تساعد على ديمومة العمل بها والمداومة عليها، فمنها: أن الصدقة يستدفع بها الإنسان الشرور والآفات وذلك بما يلازمها - غالباً - من دعاء وقبول مما يعني وصولها إلى محلها المناسب والانتفاع بها.

ولأجل ترسيخ الفكرة أكثر بين عليه السلام أن الصدقة كسائر أعمال الإنسان مما يلاقيه في الآخرة فيجده حيث يسّره إذ للصدقة اجر وثواب فيُدخر ذلك إلى يوم الفاقة والحاجة وهو يوم الحساب ولا يستغني أحدٌ مهما كان عن رصيد ينفعه في تجاوز المحنة.

فهذا كله محفزٌ نحو المداومة على الصدقة فإنها تنفع المتصدق ومَنْ تصل اليه الصدقة.

والصدقة تدخل في مختلف قضايا الحياة فقد تكون بالمال كما هو المعتاد غالباً.

أو بالأعيان كالملابس والمواد الغذائية وقطع الأثاث والدواء وما إلى ذلك

مما يقوّم حياة الفرد أو العائلة.

أو بالجاه والشأن الاجتماعي فقد يتدخل أحدٌ لإنجاز مهمة آخر أو يتوسط عند أحد لأجل رفع كلفة عنه أو توفير شيء له كالمنصب أو العمل أو الوصول إلى حالة أفضل.

أو بالكلمة والنصيحة بما يحمي إنساناً من شر الوقوع في المكروه والبأس.

ومن المؤكد القوي أن الالتزام بالصدقة يوفر حالة اجتماعية يعوزنا - فعلاً - التوفر عليها والشعور بها فإن البعض منذ أمد يكاد يفتقد التراحم، والتواصل، والتواسي، والشعور بالمسئولية بما يعين المحتاج ويساعد الفقير إلاّ ببعض المستويات الشكلية التي لا تتصف بالعمق، والجدّية، والحل الوافي، بل تتعلق عند المظهريات والمباهاة أمام الآخرين.

حرف الطاء

٩١- قال عليه السلام:

الطمع[١] رقٌّ[٢] مؤبد[٣].

الدعـوة إلى التخـلي عن الحـرص وعدم الاعتيـاد على التخلّق بـه فإنه إذا استحكم في الإنسـان أورثه الذل كما ورد في قول الإمام عليه السلام (الطامع في وَثاق الـذل)[٤]. وجعلـه عبـداً لهذه الخصلـة الذميمة لا يقـدر على التخلـص منها في مستقبل زمانه دائماً فيبقى الذم يلاحقه والاشمئزاز من حالته يقابله أينما تواجد لأن الحرص وحُبَّ الاستئثار بالشيء دون الغير يكشف عن سوء دخيلة الإنسان وعـما يعقد عليـه قلبه تجاه الآخرين بما يفقده حبهـم وودّهم وتعاطفهم لأنه من الطبيعي أن يُمْقَت ويُذَم ويُبْتَعَد عنه لخصلته هذه.

فلابد للإنسـان أن يتخـلى عن الحرص إن وُجد فيه فعـلاً، وان يبتعد عنه

---

(١) الحرص. المنجد ص٤٧٣.

(٢) العبودية. المنجد ص٢٧٣.

(٣) الأبد: عبارة عن مدة الزمان الممتد الذي لا يتجزأ كما يتجزأ الزمان. المفردات للراغب ص٨.

(٤) نهج البلاغة ج٤ ص٥٠.

لئـلا يوجـد فيه مسـتقبلاً فانه يُظهر ما يبطنه الإنسـان من عدم الثقـة بالله تعالى، والحب المفرط للدنيا وما فيها مع انه ليس بدائم فيها وليس من الضروري بقاؤه فيها فلماذا الحرص ومحاولة الجمع وحرمان الغير.

فمن هنا نتعلم أن يكون الإنسـان محباً للخير ومبتعداً عن الجشـع، وعدم القناعة، وحب المزيد. لأن الإنسـان يجمع ليعيش لا انه يعيش ليجمع ويستكثر بهذه الحالة المقيتة المزرية المنفرة للناس - اعني الطمع -.

٩٢- قال عليه السلام:

طوبى لمَنْ ذَكَرَ المعاد، وعمل للحساب، وقنع بالكفاف، ورضي عن الله.

ضمانة أكيدة بالحصول على (كل مسـتطاب في الجنة من بقاء بلا فناء وعز بـلا زوال وغنى بلا فقر)[١] وهو ما يسـعى اليه المؤمن بـل العاقل عامة لأنه هو الشئ الوحيد المنتظَر بعد رحلة العناء والتعب الدنيوي.

وهذا الضمان يتوفر لمن توفرت فيه المميزات الآتية:

الأولى: أن يعـرف دائماً أنه سيحاسـب على أعمالـه وأقواله في يوم القيامة وأن ذلك حتمي لا مفرّ منه ولا يمكن التزوير في الحقائق؛ لأن المعلومات موثقة بـما يديـن المسيء ويثبت الحق لمستحقه، فـإذا تذكر الإنسـان دائـماً أن الله تعالى أوجـده من العدم وخلقه في هذه الدنيا وسـوف يعيده بعد الموت حيّاً ليحاسـبه ويجزيه حسـب مقتضيات العدل الإلهي، فسيخفف من غلوائه وجشعه وتكالبه على الدنيا وجمعها والإساءة فيها، وعند ذلك يؤمّن لنفسه مقراً في الجنة بإذن الله

(١) المفردات للراغب ص٣٠٩. وللمزيد أيضاً تفسير مجمع البيان للطبرسي ج٦ ص٢٩١.

تعالى.

الثانية: أن تكون أعماله في الدنيا، وما يفعله، وما يقوم به إنما يساعده على تجاوز محنة الحساب، ويخفف عنه ثقل الحساب، ويهّون عليه الحساب.

إذن فالاهتمام بالدرجة الأولى فيما يمارسه الإنسان من أعمال وما يصدر منه إنما هو الحساب لأنه يعني الإخضاع للمسائلة الدقيقة والعسيرة - أحياناً - وهذا وحده كاف في الاهتمام بالحساب لأن المحاسب المدقق هو الله تعالى المطّلع على السرائر الذي لا تخفى عليه خافية وهو أقرب إلى عبده من حبل الوريد فهو يعلم خطرات قلبه وما ينوي القيام به قبل المباشرة. مما يشكل طوقاً محكماً على أفعال الإنسان وتصرفاته فلا يخرج بها عن الحدود المسموح بها شرعياً.

فالاهتمام بالحساب إنما هو لمصلحة الإنسان ليسهل عليه وقوفه عند المساءلة الإلهية.

الثالثة: أن يكون الإنسان راضياً بما قُسِمَ له مما يسّد احتياجه اليومي ويوفر لـه ما يستره ويحميه من الذل للغير بما يجعله متسولاً أو متمنناً الآخرين الذين لا يتساوون في كيفية الرد فقد يكون عنيفاً، فتكون الصدمة وعندها تتضاعف المشكلة ويتفاقم الحل ويصعب.

أما إذا تعّود أن يرضى بما أعطاه الله تعالى فسيكون قانعاً، وهذا لا يعني في حال من الأحوال عدم السعي وراء مصدر الرزق بل على الإنسان أن يبذل الجهد الممكن لتحصيل ما يؤمّن احتياجه ولكن بدون لهفة واندفاع بما يصرف الإنسان عن التوكل على الله تعالى والاستعانة به والرضا بمقسومه، ولو فقد الإنسان وسائل اتصاله بالله تعالى فإنما يحكم على نفسه بالخيبة والحيرة بقية عمره.

الرابعة: أن يكون مؤدباً في تعامله مع ربه وخالقه ومكوّنه من العدم إنساناً سوياً فلا ينقم أو يجزع أو يشكو من حالة تمرّ به مهما كانت شدة وطأتها

لأن الله تعالى عادل غني عن عباده لا تنفعه طاعة من أطاعه ولا تضره معصية مَنْ عصاه.

إذن فهو غير متهَم بالحيف والظلم والتجاوز لأنه منزه عن كل النقائص فانه الغني المطلق والإنسان هو المحتاج المطلق. فعليه أن يخضع ويخشع فيرضى ويسلّم لعظمته ليكون بذلك من المرضيين لديه تعالى وهو غاية الطموح وأقصى المأمول.

فالدعوة إذن للتحلي بهذه المميزات لينطبع الإنسان بطابع يؤهله للوصول إلى ما يتمناه في الآخرة. التي يكون الإنسان فيها وحيداً لا ينفعه مال ولا ولد بل يتخلى عنه كل أحد إلاّ ما قدّمه من أعمال صالحة والتي منها هذه المميزات الأربع.

٩٣ – قال عليه السلام:

طوبى لمَنْ ذلّ في نفسه، وطاب كسبُه، وصَلُحتْ سريرته، وحَسُنَتْ خليقته، وانفقَ الفضلَ من ماله، وامسكَ الفضلَ من لسانه، وعزل عن الناس شرَّه، و وسعته السُنّة، ولم يُنسب إلى البدعة.

هذه الحكمة جاءت تالية لما سبقها وقد اتحدتا في طريقة الضمان والتأمين لحصول ما يتمناه الإنسان من منزلة رفيعة في الآخرة، وان التفاعل مع هذه المميزات كفيل ببناء شخصية الفرد وحماية المجتمع وتحصيل المطلوب أخروياً.

الأولى: أن لا يكون مغروراً معتزاً بما لديه من قوة أو مال أو جاه أو ولد أو.. بل يتواضع للغير فيكون بالمقابل أن الآخرين يقدّرون ذلك له فيكرموه ويحترموه ويوقروه فترتفع منزلته الاجتماعية ويزداد رصيده بما يؤمّن له حياة عزيزة وهذا ما يطمح اليه مَنْ يتكبر ويشمخ زاعماً انه يتوفر على ذلك من خلال

ترفعه وغطرسته وتعاليه بينما إذا لاَنَ وتأدب ولم يسئ إلى الآخرين في تعامله فسوف يكسب المنزلة الرفيعة في الآخرة والذي قد عبّر عنها بـ طوبى وما تمثله من إدراك الأماني وتحقيق المُنى، وقد تقدم في الحكمة السابقة شرح (طوبى).

الثانية: أن يكون حريصاً على أن يخلو كسبه وما يحصل عليه من منافع دنيوية من الحرام أو الشبهات لأنه إذا كان ما يطلبه الإنسان من الربح والعوائد عن طريق مشروع ومن وجه حلال فسيساعده في التخفف من الأوزار والآثام والتبعات وطول المسائلة وشدتها وعسير الحساب وأليم العقاب فيكون مقره ما أعّد الله تعالى للمتقين المراقبين له في السر والعلن، أما إذا لم يلتزم بكل ذلك وتمّرد على الضوابط الشرعية وطلب الربح والعوائد من طريق ملتوٍ غير مشروع ومن وجه حرام كان مقره النار وساء مصيراً.

الثالثة: أن يكون سليم القلب طاهر النفس صالح العمل طيّب النية ليحظى بذلك الوعد، وليتعايش مع أفراد مجتمعه بما يحقق الأمان والسلام والطمأنينة فيكون بذلك عضواً صالحاً في المجتمع يتعلم منه الآخرون ويقتدي به الأشرار ليرتفعوا من حضيض الجهالة إلى مستوى الحكمة والعمل الصالح، وهو بذلك محترم مهاب وهذا ما يسعى اليه الإنسان وقد أمَّن التوفر عليه من خلال النية الصالحة.

فإذا أمكننا توفير عدة نماذج فسننقذ المجتمع من حالات التردي والوقوع في المشاكل والجرائم بما يربك الوضع الأمني للمجتمع، فالكل خائف ومذعور وغير مستقر لوجود ذوي النوايا السيئة.

إذن من أولويات بناء المجتمع الآمن، تهيئةُ ذوي النية الطيبة الصالحة الحسنة بما يحقق وجود مرشدين عملياً في المجتمع لتقلّ نسبة الجريمة والتعدي.

الرابعة: أن يكون حسن الأخلاق يتفاعل بايجابية مع الآخرين ويتعامل

معهم بكل احترام ومودة وبما يحقق لهم فرصة العيش بخير وسلام. وهذه الميزة أن أمكننا تحقيقها اجتماعياً وتكثير عدد المتميزين بها فسنسيطر على حالات وقوع الجريمة والحوادث المؤلمة المنهكة للمجتمع بما تتركه من أعباء وأثقال تدوم طويلاً.

الخامسة: أن يكون مواصلاً الآخرين بما يرفد المحتاجين ويساعدهم على توفير الأمور اللازمة فيكسب بذلك أصدقاء وأعواناً ومؤازرين له في الحياة، كل ذلك بفضل ما أنفقه مما زاد عن حاجته ونفقته اللازمة، لأن من الصعب على كل أحد أن يُقدّم غيره على نفسه أو يقاسمه ما عنده ولكن إذا فَضُلَ شيء فينفقهه ليبقى الأجر والمثوبة ويدوم النفع والفائدة.

السادسة: أن يتعود الانضباط وحفظ اللسان وعدم الخوض في كل ما يقال لأن ذلك مورِّط في مشاكل ومتاعب دنيوية وأحياناً أخروية، فاللازم أن يوازن أقواله فلا يفلت منه زمام السيطرة على لسانه، ولا يترك الأمر من دون ما مراقبة لأن اللسان كفيل بإسقاط الإنسان في مهاوٍ لا يسهل عليه التخلص منها.

فإذا أمسك لسانه إلاّ عن اللازم له من الكلام من ذكر الله تعالى بكافة مصاديقه، أو ما يؤدي به عن أفكاره ومطالبه، أو ما يصلح به بمختلف حالات الإصلاح ما يجعل اللسان تحت طائلة الحساب والسيطرة وعدم الانفلات لأن لذلك عواقب وخيمة تحكم على الإنسان بأحكام تفقده نفسه، مركزه، موضعه في قلوب الآخرين، أمواله، أصدقاءه، أقرباءه.

السابعة: أن يكون مأمون الجانب لا يصل شرُّه إلى الناس. وحالات وصول الشر إلى الناس كثيرة.

مباشرة وغير مباشرة.

عن قصد وعن لا قصد.

فلا بد للإنسان التوقي منها جميعاً قدر الإمكان لئلا يقع فريسة الشر وما يجره من مواقف عدوانية يأثم عليها وعلى ممارستها في الآخرة، فيكون هو الخاسر في الدنيا والآخرة. مضافاً إلى ما يستجرّه من عداوات وأحقاد وضغائن الآخرين فيكون المجتمع معانياً من وطأة الشر وأهله بينما الأجدر بالأفراد أن يتساعدوا على إشاعة الخير ومنع الشر ليعمر المجتمع بالمحبة والإخوّة الإنسانية والإسلامية بما يحقق الأهداف السامية التي يسعى المصلحون إلى تحقيقها وإدامتها.

الثامنة: أن يكون مطبّقاً لسنة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وآخذاً بطريقته وسيرته من دون إضافات وزيادات لأن السُنة الشريفة قد تكفلت بإتمام جميع ما يحتاجه الإنسان فلم يبق مجال للإضافة والزيادة، فإذا ما صدرت إضافة من احد فإنها تكون من البدعة فلابُدَّ للمسلم أن يكون كفوءاً عندما ينتسب للإسلام ديناً ويعتنقه عقيدة ولا يكتفي بمجرد الاسم والمظهر بل عليه أن يعيشه روحاً وفكرة لينطلق به نحو السمو والرفعة وكل معاني الخير ومن ذلك أن تحصل لديه القناعة الكافية بتمامية القوانين اللازمة لحفظ نظام الحياة بما يسع كافة الأجيال إلى يوم القيامة فلا توجد فراغات في التشريع حتى تبقى حاجة لملئها حسب الرغبات الشخصية.

فإذا طبّق ذلك والتزم به من دون ما مخالفة مقصودة فسيضمن الحصول على المكانة الرفيعة في الآخرة ويكون مستحقاً بجدارة للبشارة بـ(طوبى) وما تدلل عليه من حالة بلوغ المقصد. أما لو حاول الإضافة فزاد من عنده وجعل ما ليس من الدين كأنه من صلب التعاليم الشرعية فيأثم ويحاسب على ذلك لأنه من التشريع المحرّم. وفي هذه الفقرة من الحكمة دعوة لتجنب ما يفعله بعض

الناس من الرجال أو النساء من الالتزام بأمور لم يثبت ورودها في الشريعة.

التاسعة: أن يكون حذراً مترقباً من الانتساب إلى كل (عقيدة أُحدثت تخالف الإيمان)[١] لأنها مكمن الخطر والانزلاق ولا يمكن عندها التدارك خصوصاً وأن أصحاب التيارات المواجهة الهدّامة يحاولون التوصل إلى أغراضهم بالوسائل المتعددة المختلفة بما يجعل حالة التخلص مستصعبة. ولذا فقد يزيّن ما ليس من الدين بزي الدين لينخدع به البسطاء وينطلي عليهم ولكنه ليس من الدين بشيء أبداً.

فعلى الإنسان أن يعرض الأفكار - التي يدعى الالتزام بها - على أحكام الشريعة الإسلامية وما تحويه من سُنة النبي الأكرم وآل بيته الأطهار (صلوات الله عليهم) الذين يستقون من منبع فيضه صلى الله عليه وآله، لئلا يغترّ وينخدع بالأباطيل المضلّة.

(١) المنجد ص٢٩، مادة (بدع).

حرف العين

٩٤- قال عليه السلام:

عَاتِبْ أخاك بالإحسان إليه، وأرْدُدْ شرَّه بالإنعام عليه.

إن تاريخ العلاقات الثنائية بين أفراد المجتمع يتعرض لتحولات كثيرة كالتقصير في الحقوق، والإهمال، بل يتطور الأمر أحياناً فَيَصِل إلى صدور الإساءة من الأخ والصديق، مما يترك ألماً في النفس، وصدمة، وخيبة أمل، فيتحرك الإنسان إلى الانتصار لنفسه عن طريق اللوم والتذكير بالأخوة أو المواقف الايجابية بما يثير كمائن نفس الطرف الآخر فيشعر بالتقصير أو الضغينة والحقد فيزداد شراً ويحاول إيقاع الأذى به.

فلئلا يتسع الأمر وينتشر أكثر فيفضي إلى حالات من التشنج والقطيعة جاءت هذه الدعوة إلى الرفق والمعاملة بالأحسن ومقابلة الأذى بالإحسان واستكفاء الشر بإسداء المنفعة وتقديم ما فيه الخير عسى أن يرعوي ويتأثر من هذا الموقف الايجابي المتبادل به مع ذلك الموقف السلبي فينصلح ويتحسن وضعه اجتماعياً فيكسب الموقف بانتشاله إنساناً سيئاً من وهدة السقوط وليتعود

مستقبلاً على معايشة الأصدقاء بالأحسن.

ومن هنا نعرف أن تاريخ العلاقات الاجتماعية تتخلله شوائب ومكدرات ينبغي للعاقل أن لا تكون حاجزاً أمامه مهما كانت بل يغضي عن الإساءة و لا يصغي لتحريض مثيري الفتن بين الإخوان والأصدقاء.

ومن المعلوم أن الأخ يشمل كل من تربطه مع الإنسان رابطة نسبية كالأشقاء والأخوة الأرحام أو السببية كالزملاء والأقران والأصدقاء والشركاء والأصحاب والأحباب ونحو ذلك من الأسباب والروابط التي تجمعها ميادين الحياة، أو الانتماء إلى فكر واحد كالأخوّة الإسلامية الإيمانية.

٩٥- قال عليه السلام:

عجَبُ المرء بنفسه أحدُ حُسّادِ عقلِهِ.

الدعوة إلى السيطرة على النفس وعدم الاغترار بإقبال الدنيا أو الحظ أو الجاه أو النجاح في ميدان من ميادين الحياة العلمية أو العملية؛ لأن ذلك العَجَب واستعظام الحالة التي هو فيها يؤثر سلباً على التواصل والازدياد بينما الإنسان مدعو إلى تقديم المزيد والبرهنة على الكفاءة بما هو أكثر وأكثر، إذ عجلة الحياة سائرة متحركة دوماً بالناس فلم تتوقف ليعرف أحدٌ أن ما قدّمه أفضل مما قدّمه الآخرون بل هناك الأفضل دائماً. فلابُدَّ أن لا يرضى الإنسان العاقل عن نفسه بما يحدد نموّه ويعرقل مسيرته الإبداعية في الحياة، وإلاّ لكان إعجابه بنفسه من جملة الحاسدين له الذين يحاول بل ويزاول التعوذ منهم أو التستر عنهم لئلا تزول النعمة التي هو فيها، فإن الحاسد يتمنى زوال نعمة الغير مما يعني توقف الغير وانقطاع النفع عنه وتعطّله وتعرضه للمشكلات الجانبية جرّاء زوال النعمة، فهذا الدور للحاسد يؤديه المعجَب بنفسه فانه يأخذه الخيال حيث النشوة

والشعور بالانجازات العظيمة مع انه لابُدَّ من وجود قريب إليه أو بعيد عنه ممن أنجز ما هو أعظم، إذن توقفَ هو وتقدّمَ غيرهُ. وعندها يكون قد ساعد على زوال نعمة الإبداع وتقديم المزيد، وهذا ما يحدده ويحجّمه فلا ينمو، ولا يتفاعل مع حركة الحياة فيخمل ويتضاءل تدريجاً، وتلك نتيجة يتحاشاها العاقل.

٩٦- قال عليه السلام:

عجبت للبخيل يستعجل الفقر الذي منه هرب ويفوته الغنى الذي إياه طلب فيعيش في الدنيا عيش الفقراء ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء.

وعجبت للمتكبر الذي كان بالأمس نطفة ويكون غداً جيفة.

وعجبت لمَنْ شك في الله وهو يرى خلق الله.

وعجبت لمَنْ نسي الموت وهو يرى الموتى.

وعجبت لمَنْ أنكر النشأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى.

وعجبت لعامرِ دارِ الفناء وتارك دار البقاء.

يضع الإمام عليه السلام عدة علامات استفهام، وتستبطن علامات تعجب أمام حالات تُمارَس في المجتمع تترك أثرها السيئ على أفراده بما يغوي الجُهّال ويشجعهم على التمادي في الجهالة بمختلف مناحيها وطرقها وقد ذكر عليه السلام ستة:

الأول: يمسك على يد البخيل الذي لا ينفق ويشح بما آتاه الله تعالى فيظهر بمظهر المُعدَم البائس، فينبهه إلى أن رفع هذا الشعار إنما يعني التراجع العملي عن مسلك الأغنياء الذي حرص على الوصول إليه فهو بهذا تعجّل حالة العُدْم

والفاقة وتمظهر بمظهر البؤس والشقاء، مع أنه من الأغنياء وعلى ملاكهم وفي عدادهم ويكون حسابه أخروياً كذلك فيُسأل عن كل وارداته وصادراته وربما يكون التدقيق أكثر على ما رزقه الله تعالى من نِعَم وأفضال ولم يتمتع بها ولم يوسِّع على عباد الله من حوله سواء العيال أم أهل الحاجة ممن يمكنه رفدهم وتنفيس كربتهم وكشف أزماتهم المالية.

ثم يحاول عليه السلام أن يثير فيه الإحساس بالكرامة والعزة ويؤنبه فيؤشر له على واقع حاله بكل صراحة وانه يتساوى في أسلوب عيشه مع الفقير الذي يبتعد عنه ويشمئز منه. إذن فهو غني على الورق فقط، وللعلم والاطلاع رجاءً - كما يقولون - ولكنه فقير في واقع أمره نفساً وسلوكاً وهكذا حتى النهاية.

فهل هذا ما ينبغي لأن يسعى إليه الإنسان؟! فالدعوة إلى التخلي عن البخل والشح وان لا يتصور أن الإنفاق والإعطاء يسببان قلّة المال، بل يؤثران - بالتجربة - في البركة والنماء؛ لأن الله تعالى هو وحده بيده مقاليد الأمور، والغنى، والفقر فيبارك وينعم بالزيادة.

الثاني: ينبه الإمام عليه السلام الإنسان ويذكّره بمبدأ أمره وخلقته وانه مهما بلغ مجده في الدنيا فهو المتكوِّن من النطفة المتنفَر عنها فان كلاًّ من الرجل والمرأة يتنزهان عن المني بالإزالة والغسل والتعقيم - أحياناً - فتَذَكُّر هذه البداية الطبيعية لكل مخلوق تكفي للتخفيف من غلواء النفوس وتكبّرها وتعجرفها للسيطرة عليها فلا ترمي صاحبها في مزالق التكّبر والترفع والتعالي الفارغ الأجوف الذي لا مبرر له سوى الطموح والشموخ اللذان يتجاوزان حدود المقبول، وهو أيضاً المنتهي إلى حالة يبتعد عنه فيها أقرب وألصق الناس به ويسد انفه من جرّاء نتن رائحته وجثته المنتنة.

فمَنْ كانت تلك بدايته وهذه نهايته فهو الجدير والحقيق بأن يتواضع

ويتعامل بقرب ولطف من الآخرين ومعهم، ويحاول جاهداً الابتعاد عما يذكّرهم بتلك البداية وهذه النهاية.

فالدعوة إذن إلى التخلّق بالتواضع، والتأدب وفق موازين العقل والشريعة من دون ما تعالٍ وتغطرس فإن الحال واحد.

الثالث: يرشد الإمام عليه السلام مَنْ لم يتيقن وجودَ الله تعالى مع هذه الدلائل والشواهد إلى أن يستدل على وجود الشيء من خلال وجود آثاره وصنائعه فإن ذلك أنجح شيء للوصول إلى الطريق الصحيح، والكونُ بما فيه ومَنْ فيه إنما هو من خلق الله وإبداعه واختراعه وصنعه، لم تُذكر لأحد مهما كان مشاركة في أصل التكوين ومبدأ التصوير. مما يعني التفرّد في الخلق والتوحد في التدبير مبدأ ومنتهى.

ولابد من الاهتمام بترسيخ العقيدة أكثر من الاهتمام بسائر شئون الحياة؛ لأن بالعقيدة ينجو العبد من النار والحساب العسير، فلو اعتقد عقيدة أخرى غير الإسلام استحق النار؛ لانّ العقيدة الإسلامية بتفاصيلها هي التي يلزم الإيمان بها في هذا العصر؛ فإن الإسلام خاتمة الأديان السماوية وهو الدين العالمي الدائمي حتى يرث الله الأرض ومَنْ عليها.

الرابع: يُذَكِّر عليه السلام الإنسان بالنهاية المنتظِرة لكل أحد من المخلوقات وهي الموت الذي هو دائم الحضور بينما ينساه الإنسان مع كثرة ما يشاهده من أموات فان ذلك أمر منتشر في الكون أجمع وإن دلَّ هذا على شيء فإنما يدّل على التوعية الدائمة والتذكير المستمر والتنبيه الحثيث لئلا يرتكب الإنسان ما يتنافى وما بعد الموت من الحساب والمجازاة.

فالدعوة إلى تذكّر الموت عملياً لا مجرد القول والمظاهر لأنها تتلاشى فلا تصل إلى الأعماق بينما استشعار: أن الموت ينتظر كلاً منّا ومن غيرنا من مخلوقات

الله تعالى يجعل الإنسان منتبهاً دائماً فلا يغفل.

الخامس: يذكّر الإمام عليه السلام بيوم القيامة وما بعده من الحساب والمساءلة الدقيقة عن جميع ما عمله الإنسان في حياته الدنيا، إذ أن البعض ينكر أو يشك بحياة أخرى بعد الموت مع أن الدلائل ثابتة على ذلك ولأن خالق الدنيا وما فيها ومَنْ فيها ومبتدعها من العدم وموجدها من اللاشيء قادرٌ على إيجاد حياة ما بعد الموت تفاصيلها المقبلة - والتي لم نتوفر إلاّ على القليل منها لعدم الوصول إليها - وهو القادر على كل شيء.

قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ**﴾[١]، كما قال تعالى: ﴿**ثُمَّ اللهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ**﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿**وأنَّ عليه النشأة الأخرى**﴾[٣].

السادس: ينصح الإمام عليه السلام الإنسانَ المنصرفَ بكلّه نحو الدنيا وما فيها بأن لا يهمل الآخرة لأنها الأدوم والأبقى فلا يغتر بما أوتي من مال، جاه، نفوذ، قوة، سلطان، أولاد، عقار، وغير ذلك مما يتركه ويخلّفه لغيره ويذهب وحيداً إلاّ ما يستره، وإلاّ عمله الصالح الذي ينفعه عند المساءلة، وعرض الأعمال على الواحد القهار الذي لا يحيف ولا يظلم فيجازي كلاً بعمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر، ﴿**وَمَا اللّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبَادِ**﴾[٤].

فالدعوة إلى الموازنة والعمل للدنيا بما يمرر الحالة فيها، والعمل للآخرة بما ينفع فيها.

---

(١) سورة الواقعة آية (٦٢).
(٢) سورة العنكبوت آية (٢٠).
(٣) سورة النجم آية (٤٧).
(٤) سورة غافر آية (٣١).

٩٧ - قال عليه السلام:

عجبت لمَنْ يقنط ومعه الاستغفار.

الدعوة إلى عدم اليأس ومحاولة البداية الجديدة مع الله تعالى فإنّ طلب المغفرة والتماس السماح والتكفير عن الذنب والخطأ كفيل بفتح سجل جديد قد أُبعدت عنه كل الصفحات السود السابقة بما يعطي حافزاً نحو العطاء والمواصلة بما ينفع المجتمع وينمّي فيه القابليات ويدعم مسيرة التوحيد ليظهر العدل الإلهي واللطف الرباني اللذين أدركا الإنسان العاصي فأنقذاه من الجهالة والانحراف إلى حيث الانفتاح على دنيا جديدة وعالَم جديد بما يزيد عدد المنفتحين على الله تعالى والمبتعدين عن الضلالة والخطيئة.

فالحكمة تستقطب أولئك العصاة القانطين الآيسين من بلوغهم إلى ساحة عفو الله ومغفرته، وسعة رحمته وتجاوزه عن العاصين.

ولكن من المعلوم لكل أحد أن الاستغفار علاج نافع بشرط الصدق وعدم العودة إلى الماضي والتخلص من كل ما يذكِّر به أو يتصل بالسابق ليخلو الإنسان ويخلص من الآثام تماماً فتكون توبته صادقة ناصحة ناصعة نابعة من القلب والشعور بالتقصير وإرادة العودة حيث رحاب الله تعالى.

فعندها يكون الاستغفار علاجاً نافعاً للمذنبين وإلاّ فلو كان مجاراةً لحالة عائمة من مظاهر خدّاعة أو استجابة لإلحاح من دون ما اقتناع بضرورة الاستغفار والإنابة إلى الله تعالى فلا ينفع بل يعاقبٍ على حالة التجري واقتحام الساحة من دون ما اقتناع بالأهمية والأفضلية، فليس الاستغفار مجرّد قول نردده بل هو إيمان ويقين بالله تعالى وتوجه وانقطاع إليه ومعرفة مخلصة تامة بأنه الطريق الوحيد للإنقاذ فعندها تفتح للعبد أبواب القبول فيدخل عالماً جديداً يحتفى به

بمقدار ما يقدّمه من عطاء وإنتاج ينفع المسلمين بل الإنسانية ويُعلي صرح الدين ويُبقي كلمة لا اله إلاّ الله محمد رسول الله عالية على كل الكلمات.

٩٨- قال عليه السلام:

عرفت الله بفسخ العزائم[١] وحلِّ العقود[٢] ونقض الهمم[٣].

رُوي (أن رجلاً قام إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين بماذا عرفت ربك؟

قال: بفسخ العزائم ونقض الهمم، لمّا هممت فحيل بيني وبين همي، وعزمت فخالف القضاء عزمي، علمتُ أنّ المدبِّر غيري)[٤].

فالدعوة إلى الإيمان بالله من خلال تأثيره في حياة الإنسان، وما يقدّره تعالى للإنسان وما يتصرف فيه كيف يشاء وفقاً لحكمته عز وجل المتعالية ومصلحة العبد ذاته، فإنّ هذا التدبير من حيث يشعر العبد أو لا يشعر يدل دلالة واضحة وأكيدة على وجود الله تعالى بما يجعل الإنسان متيقناً بوجود قوة غيبية تحميه وتحفظه وترتب شؤونه وقضاياه.

ومن هنا يُعلم أن الاعتماد التام على الكفاية العقلية، البدنية، العلمية،... أمر غير صحيح بل الصحيح أن يعرف الإنسان أنه مرعي وملحوظ ومحفوظ، وهذا أمر يشمل كل المخلوقات كلها، فخالقها يحميها ويدبرها.

ومن صور الحماية والتدبير أن يُصرف الإنسان عن أداء عمل كان قد

---

(١) العزائم جمع العزيمة: الإرادة المؤكدة. المنجد ص٥٠٤ مادة (عزم).
(٢) أي الشيء المصَمّم على تنفيذه.
(٣) الهمم جمع الهِمّة: العزم القوي. المنجد ص٨٧٢ مادة (هم).
(٤) التوحيد للشيخ الصدوق ص٢٣٣ ط النجف.

توجـه إليـه أو بـاشَرَ بِهِ فلا يتم له ما أراد ثم يكتشـف بعد ذلـك أن الخير كان في عدم إتمام العمل، والشواهد على هذا كثيرة جداً ومتوفرة لدى كل أحد تقريباً.

فهـذه المداخلـة في حياة الإنسـان فرصة لأن يفكر الإنسـان جيداً ليعرف ويتيقـن وجود الله تعـالى وعظمته وقدرته على حفظ المجموعـة الكونية بأجمعها في آن واحد.

٩٩ – قال عليه السلام:

عِظَمُ الخالق عندك يُصغِّر المخلوق في عينك.

الدعـوة إلى تعميـق الإيمان بالله تعـالى في النفس، والتأمـل بمظاهر قدرته تعالى فإنها أكثر وضوحاً للوصول إلى الإيمان الكامل بعظيم قدرته على الأشـياء أياً كانت ومهما كانت. لئلا يُخدع الإنسـان بما يواجهه من مظاهر التقدم العلمي أو مراحـل الإنتـاج البشري أو وسـائل الرقـي إلى مسـتويات متقدمة في مختلف شئون الحياة.

فـإنّ لدى الإنسـان المؤمن الواعي السـبيل للإيمان الراسـخ إذا تيقن بالله وعظمته، فإذا داوم على ذلك فسـيصل إلى حالة استصغار ما عداه مما يواجهه في الحيـاة من إبداع ومبدعين، لمعرفتِهِ بأنَّ ذلكَ، مـن فيض الله تعالى وتمكينه لعباده، ومـن عطائه وواسـع رحمته وليـس من مقومـات المبدعين الشـخصية، البدنية، الذهنيـة... إذ لـو أراد الله تعالى تعجيز أحد لما تمكن العبد من الإفلات من ذلك والسيطرة على تحقيق مراده ومطلوبه لاستحكام قدرة الله تعالى.

فلا بُدَّ من عدم الاغترار بمظاهر الإعجاب في الحياة البشرية وإنما التوجه بالإعجاب نحو الذي أعطى القدرة على جميع ذلك.

فالمؤمن لا يستعظم شيئاً على قدرة الله تعالى بل يستصغر كل ما دونه عزّ وجلّ؛ لأنه مخلوقه ﴿صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[1].

١٠٠ – قال عليه السلام:

العفافُ[2] زينةُ الفقر، والشكر زينةُ الغنى.

لاشك أن لكل شيء في الحياة ما يزيّنه ويحسّنه، وآخر يقبّحه ويسيء إليه. ويصادف الإنسان في حياته تقلبات متعددة تطرأ على شئون حياته فتغيّرها ألواناً وألواناً ومن ذلك الفقر والغنى، فإذا كان الفقر والعُدم والحاجة وعدم التمكن من تحقيق المراد لقلة ذات اليد وإعدام المال أو قلّته جداً بما يعجز معه عن تسديد الحاجات وتلبية المتطلبات فحتماً يكون التفكير بالحصول على المال مُلِحّاً جداً ويتخذ عدة مناح ويسيطر على تفكير الإنسان بما يلهيه عن التفكير في الشئون الحياتية الأخرى لأن المال وسيلة تخاطب وتعامل وانفتاح وتوصل و.. و.. في الحياة ولكن على المؤمن أن لا ينساق بعيداً وراء ذلك بما يفقده أُسسه الإيمانية التي يرتكز عليها إذ ليس المال كل شيء في الحياة أو عند الإنسان، بل لابُدّ من الاقتناع التام بأنه شيء من الأشياء له أهميته وله مفاسده، ومن ذلك أن يلجأ الفقير إلى الوسائل غير السليمة للحصول على المال كالجشع والطمع والسرقة والغش و.. و.. لكن إذا سيطر على نفسه وعفّ عن مال غيره مهما كان المال ومهما كان الغير، زيّنه ذلك وأضفى عليه رونق العفة والأمانة؛ لأن الكف والامتناع عما لا يحل زينة الفقير إذ قد سيطرت عليه مظاهر البؤس والفقر فلم

(١) سورة النمل:٨٨.

(٢) عفّ.. عفافاً: كفّ وامتنع عمّا لا يحل أو لا يجمل. المنجد ص٥١٤ مادة (عف) وهو بمعنى الترك والامتناع.

يعد هناك ما يزيّنه لا مال، لا جاه، لا منصب، لا سلطة،... لكن جاء العفاف ليزينّه وليكون ناطقاً عنه بأنه يتمتع بالشيء المهم جداً في الحياة العملية للإنسان بما يحمي المجتمع من حواليه ويضيف إلى قائمة حسناته حسنة أخرى تكون نقطة تحوّل في غاية الأهمية. إذ الكثير ممن يقتني ويجمع المال ولكنه من دون عفاف فلا يترك أي اثر له أو أي شيء يثير الانتباه إليه.

فلابُدّ للإنسان الفقير أن لا يستولي عليه الجزع من وضعه الاقتصادي المادي المتردي بل عليه أنْ يعرف جيداً انه يمتلك ما هو أهم من المال عند الأغنياء وهو حالة السيطرة على النفس فيمتنع عن الوصول إلى ما لا يحل له مما يعني انه مراقب لله تعالى ومؤمن حق الإيمان لا مجرد رفع الشعار من دون ما تطبيق.

وأيضاً فالغني إنما يزيّنه ويضفي عليه ما يزيد من احترامه وإكرامه وزيادة النعم عليه - إنما هو - الشكر ومعرفة النعمة وتقديرها وعدم التنكر لها وعدم استعمالها فيما لا يرضى الله تعالى وعدم الاستعانة بها على المعاصي، بما يحقق للشكر مظاهر عديدة غير مقتصرة على اللسان بل يتعمق في داخل الإنسان فيظهر من خلال تصرفاته وأفعاله مما يدلل على الشكر وعرفان النعمة والثناء على المنعم تعالى.

فلا بُدَّ للغني أن يعرف أن المال وديعة عنده، لا دوام له والشواهد على ذلك كثيرة بما يدعم الفكرة ويقنع بها فعليه أن يغتنم وجوده ليستعين به على طاعة الله ومراضيه بما يرّفه به على عياله أو يعين مَنْ حواليه ومَنْ يعرف حاجتهم بما أمكنه من ذلك.

وعليه أن يحسن التلقي لأنه لو أساء ذلك لذهبت النعمة عنه ولا تعود اليه.

وعليه أن لا يغتر بتوارد النِعَم عليه فليس ذلك مؤشراً ايجابياً دائماً بل قد يكون للاستدراج والاختبار.

وعليه أن يشـكر الله ويثني عليه بما يليق به مما يقدر عليه قولاً وفعلاً، ولا يكون تقليدياً في إظهار الشكر من خلال ترديد عبارات الشكر.

١٠١- قال عليه السلام:

العلمُ علمان: مطبوعٌ ومسموعٌ، ولا ينفع المسموع إذا لم يكن المطبوع.

التأكيد على حقيقة أكيدة راسـخة وهي أن العلم بالأشـياء يتخذ شكلين: الأول: مجـرد وصـول المعلومة والعلم بها، والآخر: التطبيق العملي الناشـئ من خـلال الانطباع والتأقلم من الداخل مع هذا العلـم فيكون تأثيره اجتماعياً أهم من مجرد وصول المعلومة.

ولـذا قـد ورد الحـث الكثـير على مطابقـة العلـم للعمـل وان لا يتخلف الإنسان عملياً عمّا عَلِمَهُ وعَرِفَهُ وإلاّ فيكون حاله حال آلات التسجيل والطباعة والكمبيوتـر فإنهـا تحوي العلم ولكـن لا يمكنها تطبيقه عملياً فـلا تنتفع به ولا يقال في حقها أنها عالمة مع أنها تشارك الإنسان في احتواء المعلومات و خزنها إلاّ انه يفترق عنها بالقدرة على العمل والتطبيق سواء بفعل ما يجب فعله أو ترك ما يجب تركه.

١٠٢- قال عليه السلام:

العلمُ مقرونٌ بالعمل فمَنْ علم عمل، والعلمُ يهتف بالعمل فإنْ أجابه وإلاّ ارتحل عنه.

هـذه دعـوة أخـرى تؤكـد المعنى نفسـه لسـابقتها ألا وهـو إتّبـاع التعلم

بالتطبيق، وأن لا تخالف أقوالُ الإنسان ما يفعله مما لا يلتئم مع ما يرفعه من شعارات برّاقة، فلا بُدَّ من المحاسبة جيداً لئلا يتخلف أحدهما عن الآخر بل لا بُدَّ من المحافظة على الاقتران والملازمة بين العلم والعمل لتكون الحصيلة توازن الإنسان في تصرفاته وعدم تخلّيه عما يردِّده من ألفاظ فيكون عندئذ محلَ ثقة واطمئنان النفوس فإن ذلك يؤشر على مدى تعمّق الفكرة والتزام صاحبها بها وأن ذلك ناشئ من التصميم والاقتناع التام وليس لمجرد التأثيرات الجانبية التي قد يخضع لها الإنسان في بعض أدوار حياته.

مضافاً إلى أنّ في الحكمة تلويح بأن العلم إذا لم يستعمله الإنسان فيما يرضي الله تعالى بل تركه وأهمله ولم يطبّقه فانه يُسلب عنه فلا يستطيع بعدها القول بأنه عالم؛ إذ قد ذهب عنه بهاء العلم وعزّته ورونقه وسائر ما يتركه العلم في المتعلم أو العالم من آثار ملحوظة للفرد والمجتمع، وعندها تكون دعواه بدون شاهد، فلا يُصغى لقوله، ويفتضح أمره، ويتجرأ عليه جهّال الناس وصغارُهم إذ كانت الحصانة الوحيدة له خوف الله ومراقبته فيعمل بما علم وإذا تخلّى عن ذلك فسوف يذل ويهون قدره حتماً من حيث يشعر أو لا يشعر، وكل ذلك مما يعني جفاف الروح وذبولها إذ لو لم تكن كذلك لبانَ الأثر.

إذن لابُدَّ من الالتزام التام لأهل العلم أنىّ كانوا ومتى يكونوا وفي أيّ درب من دروب العلم سلكوا والى أي باب من أبوابه توجهوا؛ لأن بالالتزام التام - التطبيق العملي الفعلي - يتم ما يتمنى الإنسان من بلوغ مراتب عالية اجتماعية أو وظيفية منصبية - مؤقتة -.

حرف الغين

١٠٣ - قال عليه السلام:

الغنى والفقر بعد العرض على الله.

الدعوة إلى عدم التباهي بالمال فإنَّ الغني مَنْ نجا بعمله والفقير مَنْ أُحتبس بذنوبه، وليس الغني بكثرة أمواله، وكذلك الفقير ليس مَنْ عُدِمَ المال واحتاج إلى غيره وإنما مَنْ تورّط في الحرام أو الشبهات واستعصى عليه المخرج فانه الفقير المحتاج، بينما مَنْ عمل عملاً صالحاً واهتدى إلى التي هي أقوم سبيلاً فانه الغني المكتفي عن غيره.

فليس المهم الغنى والفقر في الدنيا فإن الأول لا يهم كثيراً وإن الآخر لا يضّر كثيراً؛ لزوال الدنيا وعدم استقرارها على حال ولكن الدار الباقية والحالة الدائمة هي الآخرة وما فيها من نعيم مقيم أو عذاب دائم، فعلى الإنسان العاقل أن يحرص على تحصيل ما يغنيه في الآخرة من الحسنات والعمل الصالح ولا يكون ملهوفاً على جمع المال في الدنيا واقتناء الأثاث والتكاثر بالأولاد والأموال وإنما عليه أن يهتم كثيراً لحاله في الآخرة يوم لا ينجيه إلاّ عمله ولا يخلّصه إلاّ

الورع والتقوى.

وأيضاً على الفقير أن لا يحزن كثيراً لفقده مقوّمات العيش الماديّة، فالنتيجة لصالح مَنْ يكون غني العمل الصالح لا غني المال النافذ، خاصة وأنه إذا حاز العبد رضا الله تعالى فسيكون أغنى الأغنياء، بينما إذا خسر ذلك - والعياذ بالله - فسيكون أفقر الفقراء لأن مصير كل منهما يحتِّم تلك الحالة.

فلابُدَّ من أن لا يُحتقر أحدٌ أو يستهان به لفقره، أو يُحترم أحد أو يُقام له لغناه، وإنما لا بُدَّ من متابعة الحالة الإيمانية، إن كانت نشطة لديه فهو الغني حقاً وإن كان فقيراً بالحساب المادي، والعكس صحيح.

١٠٤ - قال عليه السلام:

الغِيبَةُ جهد العاجز.

الغيبة من الأدواء التي تكثر في اغلب المجتمعات لاسيما تلك التي يتوقع فيها الالتزام ومزيد التحفظ، وهي - الغيبة - مُفْسِدَةٌ لأخلاق الفرد ومُضِرَّة به ومخلخلة لكيان المجتمع؛ إذ تلقي بذرة الحقد والضغينة فتنشأ العداوات والمهاترات الأخرى التي تضر بجميع الأطراف.

وقد جاءت دعوة الإمام عليه السلام إلى التخلّي عنها لأن الذي يركن إليها ويستعين بها إنما هو غير القادر على المواجهة والعاجز عن المدافعة وأما القادر على ذلك فيلجأ إلى الحوار والمناقشة البنّاءة بما يقنع الطرف الآخر ويصحح له الحال.

وأما ترك الأمر والالتجاء إلى ذكر العيوب فإنما يدل على ضعف النفس وعدم قدرتها على المواجهة وهذا ما يشكّل خللاً في التوازن الشخصي للإنسان

ومن ثَم للمجتمع بما أن الفرد نواة لتكوين المجتمع. فينشأ جيل يستعينون على أمورهم بنشر معايب الخصوم والأخذ بطرق السلبيات وهذا ما يتخّوف منه؛ إذ قد يستجر الإنسان إلى النسبة الباطلة للطرف الآخر وهو ما يدخل تحت عنوان الكذب، البهتان...، وهو مما يُعَاقَب عليه بالنار فهو إذن من قسم الذنوب الكبائر فضلاً عن أن الغيبة بنفسها من قسم الذنوب الكبائر.

ولو تصورنا مجتمعاً خالياً - ولو نسبياً - عن الغيبة لأمكننا الحكم بأنه مثالي ومتحضر ولا بُدَّ من السعي إليه أو التخلّق بمثل أخلاقه الفاضلة هذه.

١٠٥ - قال عليه السلام:

غَيرةُ[١] المرأةِ كفرٌ، وغَيرةُ الرجلِ إيمانٌ.

الدعوة إلى أمرين:

الأمر الأول: تخلي المرأة عن الغيرة وما تعنيه من انسياقها المفرط وراء عاطفتها وما تجره من تصرفات غير مَرّضيّة - غالباً - بل عليها التصرف بحكمة ورزانة فيما تتعرض له من مواقف لتكون بذلك أكثر تطبّعاً وتعوّداً على تقبّل الأحكام الشرعية وتلقيها بإيمان ومعرفة، وإلاّ فينتج أن تُقابل الأحكام الشرعية بالرفض وحالات من التشنج والمجابهة متناسية الجهة المشرِّعة ومتجاهلة التبعات المترتبة على ذلك وعندها فتخرج عن إطار التدين والإيمان إلى ساحة الانفلات وعدم الانصياع للأوامر الصادرة بحقها من الله تعالى.

ولتوضيح الفكرة سأستعرض بعض الحالات المرصودة مما يبرز عنصر الغَيرةَ بما تعنيه من اللامبالاة بالأحكام، وبما تعنيه من الإصرار على إرضاء

---

(١) الغَيرة: الحَميّة والأنفة. لسان العرب مج٢ ص١٠٣٦ مادة (غَيَرَ).

الذات وتلبية نداء العاطفة والأنوثة، فمن تلك الحالات:

١ - عدم تقيّدها بالحجاب والملابس المحتشمة التي تضفي عليها الوقار والحشمة والعفة وذلك من واقع شعورها المتصاعد بالغَيرة ممن فعلن ذلك فتحاول أن لا تبقى وحيدة منفردة (نَشَاز) ولئلا يعيبها أحد و.. و... مما تفسر به تصرفها ذاك فتخلع لباس العفة وتستبدله بما لا يليق بها كأنثى، مسلمة، ملتزمة، إنسانة... فيُبديها وكأنها أحدى المعروضات التي يتطلع إليها مَنْ يرغب، ومَنْ يريد إشباع فضوله، وعندها فقدت أهميتها وصارت كأي سلعة مبتذلة غير مصونة، فعند ذلك خسرنا إنساناً وكان التعويض عنه بصورة إنسان وبأداة طيّعة لا ترفض يد لامس، ولا تحتشم من عين ناظر، ولا تتحرّج من سماع كلمة غير لائقة و.. و.. مما يؤدي إليه عدم التقيّد بالحجاب.

٢ - عدم تفهمها للحالة الطبيعية التي قد يمر بها بعض الرجال من الحاجة إلى تعدد الزوجات لأسباب وأحوال كثيرة.

فتغار من المشارِكة لها في زوجها متناسية أن ذلك - التعدد - أمر مشروع مسموح بممارسته وقد تكفل لها المشرِّع الإسلامي بضمان حقوقها كاملة، فلا يعني تقصير بعض الرجال إهمال حقوقها، بل حقوقها محفوظة مرعية و هذا ما يجب الاقتناع التام به لأنه يخفف من بعض الثورة النفسية لدى المرأة على تشريع التعدد.

فإذا ما أصرّت على عدم تفهم ذلك بما يثير بعض علامات الاستفهام حول التشريع فيؤدي إصرارها إلى عدم الإيمان ببعض ما هو مشروع بما يؤشر ضمناً اتهام العادل في عدله وهو ما لا يُقبل بحال بل لا يسامح عليه إلاّ أن تتوب.

نعم، يهون الأمر أحياناً بأن المرأة تتعرض لحالة انفعال نفسي فتقول ما

تقول وتعترض إلاّ أنه يبقى مجرد لقلقة لسان من دون اعتقاد فعندها لا تخرج عن إطار الإيمان، ولكن لا بد للمرأة المؤمنة أن تبتعد عما من شأنه الاعتراض ولو الشكلي حتى لا تتعود عليه فتتحول الحالة إلى ما يصعب اقتلاعها.

٣- عدم تعاملها اللائق مع مثيلاتها وذلك بالاغاضة، وتحسيس الطرف المقابل بالوضع المتدني سواء اجتماعياً، اقتصادياً، وهذا مما يؤذي ويجرح - أحياناً - فيؤدي إلى حالات من الهضم وانتقاص المؤمنات واحتقارهنّ و.. و... مما لا يجوز إذا كان عن قصد وعمد.

والسبب المهم في هذه الحالة وتحريكها هو الغيرة، وحب الذات، والاستعلاء.

٤- عدم اهتمامها بالنتائج المترتبة على ما تقول أو تفعل وذلك إرضاءً لما تشعر به في داخلها من عقدة الشعور بالنقص، وتفوّق غيرها عليها ولو في بعض المواقف البسيطة فلا تبالي بمصير الطرف المقابل عندما يصل إليه أثر قولها أو فعلها ولا تبالي بمشاعره وبمدى تأثير ذلك عليه ولو نفسياً فإنه كثيراً ما تجرح العواطف بسبب كلمة.

وكل هذا مذموم يؤشر في أحيان كثيرة..على عدم إيمانها بالأخوّة الإيمانية فضلاً عن الإنسانية التي تربط أفراد المجتمع.وعلى استخفافها بالآخرين ممن جعل الله تعالى لهم حقاً، وعلى استهانتها بأحكام الله عز وجل لأنه كما تقدم قد يكون نتيجة قولها أو فعلها إلحاق الأذى والضرر بغيرها بما يلغي الحياة أو يحجّم الوضع أو يقطع أسباب العيش أو يتهم بخيانة أو دناءة أو.. أو...، مع أنه قد لا يستحق الموقف ذلك كله، ولكنها قد وقعت تحت تأثير الغَيرة فأخرجتها عن حالة التوازن إلى حالة الإفراط، أي عن الإيمان إلى عدم الإيمان؛ لأنها لو كانت تؤمن حقاً لحسبت جيداً حساب النتائج المترتبة فإذا لم تبالِ بذلك فهو

عدم الإيمان.

فالدعوة إلى أن تتخلى المرأة عن انسياقها المفرط وراء عاطفتها والى أن لا تتسرع في اتخاذ بعض القرارات الحساسة؛ لما لذلك من آثار سلبية عليها أو على الآخرين.

وإلى أن لا تتهور فتتصرف بما لا تحمد عقباه.

بل عليها الالتزام بالأحكام الشرعية والآداب الإسلامية التي قد غطت مساحة الحياة بأكملها فلم يبق فراغ حتى تتولى هي إشغاله بحكم مناسب بل على المرأة - كما هو على الرجل أيضاً - أن لا تنسى الدين، المبدأ، الإنسانية في المواقع كافة وفي مختلف الحالات التي يتعرض لها الإنسان في الحياة.

وبعد ذلك تكون المرأة مؤمنة وإلاّ فهي ليست بمؤمنة بتمام معنى الكلمة.

الأمر الآخر من الأمرين اللذين تدعو إليهما الحكمة:

تحلّي الرجل بالغَيرة وما تعنيه من اتصافه بالمعاني الإيجابية التي تجتمع لتكمل شخصية الرجل بما يجب أن يكون فيه كالحَميّة ورفض ما من شأنه الخدشة بحرمة عَرضه وما يصونه من الأهل والمال والوطن وسائر القيم والمبادئ والمقدسات، لأن اتصافه بذلك يعني تكامله المستمر في خط الإيمان وعلى درب الفضيلة بما يجعله بحق لائقاً بوصف: رجل، مؤمن، محافظ على التزاماته، غيور، فيتعلم درساً بليغاً بأن لا يكتفي بالاسم دون المضمون، ولا يكتفي بأن يقال له مسئول عن شؤون أسرة، زوجة، أولاد، أم، أخت،... فيتكفل بتأمين الحاجات الاقتصادية الأولية أو الكمالية ليكون هو الممول وهم من يستهلك. بل يضم إلى ذلك شعوره بالمسؤولية الأخلاقية تجاههم بما تحويه هذه الكلمة من انضباط وتقيّد وحُسن تصرف وسلوك.

والنتيجة تكون لصالحه وصالحهم لو التزموا جميعاً بما يفرضه الإيمان من أحكام شرعية وآداب إسلامية ليكونوا نواة صالحة تثمر براعم حيّة تتحول إلى ما ينمي أفراد المجتمع ويرفدهم بما فيه صلاحهم وإصلاحهم.

ولا أحسب أن أحداً يغفل عن النتيجة المعاكسة فيما لو تخلّى الرجل عن غَيرته وفيما لو أصرّت المرأة على التمسك بالأفكار أو الأفعال التي تمليها اعتبارات ضيقة.

اسأله تعالى أن يعين الجميع للأخذ بما يصلح حالهم ويرفع مستواهم فتقل الحالات الشاذة من المجتمع الأصيل.

حرف الفاء

١٠٦ - **قال** عليه السلام :

فاعلُ الخيرِ خيرٌ منه، وفاعلُ الشر شرٌ منه.

الدعـوة إلى فعل الخير و الاسـتكثار منه، ونبذ الـشر والابتعاد عنه، إذ أنّ الخير عنوان يحتوي كل الفضائل والكمالات وكل ما فيه مصلحة أو نفع من دون ما مفسدة أو ضرر على أحد، فالتوجه نحوه والتفاعل معه وجعله محلاً للاهتمام ومحـوراً في الحياة يعني أن فاعله ينطوي على حب الآخرين وأرادته المصلحة لهم والعمل معهم على أسـاس ايجابي يسهّل عليهم تجاوز الصعوبات أو يعينهم على تفادي الوقوع فيها مما يؤشر على التقوى وكمال الإنسانية وحسن الطويّة. وهذه مقومات لإيجابية الإنسان وجعله خيراً من غيره.

إذن فلا بُدَّ لنا أن نحب الخير للجميع ونسـعى لأشـاعته وتكثير مناشـئه وسبلهِ ليِعمَّ فينتفع به أكبر عدد من الناس ممن لهم علينا حق المشاركة في الإنسانية أو العقيدة أو الوطن مما يحتم علينا ضرورة المعاملة الحسـنة وعدم البخل عليهم بما فيه خيرهم وإسعادهم بالمقدار الممكن المشروع.

والعكس صحيح؛ إذ أن الشر عنوان يجمع ما يرفضه الناس من المساوئ والمعايب والرذائل وما يؤدي إلى شيء من السلبيات أو التشنجات الاجتماعية أو الفردية بما يجعل الناس مبتعدين عنه رافضين له معرضين ما يتصل به.

وبطبيعة الحال فاعل الشر شرٌ منه؛ إذ يكشف ذلك عن سوء الدخيلة وإلحاق الأذى بالغير مما يعني انحرافاً عن الطبيعة الإنسانية التي أودعها الله تعالى لدى الأسوياء من المخلوقين وهذا ما يؤثر في تحميل المجتمع تبعات مشكلات هذا الفرد الشرير لأن المجتمَع حقلُ تجاربه ومحلُ تصرفاته إذ لا نتصوره يُكِّنُ الشر ويضمر السوء على مخلوقات أخرى أو أناس يبعدون عنه بما لا يبلغهم، وإنما المحيط مِنْ حواليه هو المتضرر بالدرجة الأولى والأخيرة إذ هو المنشأ له فيعاب عليهم سوء تربيته أو عدم الاعتناء به بالشكل الذي ينمّي فيه حب الخير وتجنب الشر، وأيضاً هو الذي يتحمل أذاه وشره بالتالي.

فلابد لنا أن نمسك على يد الشرير ليكف شره عن الآخرين فلا نتأذى من جرّاء شره سواء كان التأذي مباشرة أو بالانتساب إلينا. ولو عملنا بهذا وتحملنا المسئولية لأمكن إلى حد كبير السيطرة على الحالات السلبية في المجتمع ليصفو الجو ويعم السلام.

١٠٧ – **قال** عليه السلام:

فوتُ الحاجةِ أهونُ مِنْ طلبها إلى غير أهلها.

الدعوة إلى أن لا يطلب الإنسان الحاجة من أيٍّ كان، انجازاً لتلك الحاجة وتوصلاً لها؛ لأن لذلك آثاراً سلبية عليه كالمنّة والاحتكاك بمَنْ هو في حاجة إلى الإصلاح وما يسببه ذلك من اتصال وربما اكتساب وتعوّد على بعض ما لديه من سيء الأخلاق وذمائمها وهو ما يؤدي إلى إسقاط الفرد في مهاوٍ كان بمنأىً

عنها.

بينما نجد الإمام عليه السلام يريد له الرُقي إلى مستوى أفضل فلا يكون وصولياً يستسهل كل شيء لأجل انجاز مطلبه والتوصل إلى حاجته بل عليه الصبر على فوتها وعدم تنجزها لئلا يخسر بعض أخلاقه إذ سيكتسب مَنْ لم يكن أهلاً لطلب الحاجة من خلال توصل الآخرين به إلى حوائجهم، مما قد يعني له كونه ذا منهج صحيح مع انه إنما صار غير مؤهل لطلب الحاجة منه باعتبار تخلقه أو تصرفه بما هو بعيد عن المبادئ والقيم الصحيحة، فالاحتكاك به والتعامل معه كالآخرين سيضيء له الضوء الأخضر للاستمرار في مسيرته نحو الخطأ. بينما علينا أن نتعاون لاستنقاذه مما هو فيه ليكون في الصف المعتدل ويكتسب الأخلاق الحميدة وعندها فلا مانع ولا ضير من الاحتكاك به وطلب الحاجة منه.

ففي هذه الحكمة أمران:

الأول: أن لا يكون الإنسان وصولياً بل عليه أن يحتفظ بمبادئه وكرامته الإنسانية لئلا يُغلب عليهما من خلال ضغط الحاجة الموقوتة.

الثاني: تجنب التعامل مع بعض الذوات ممن يحملون صفات ذميمة ليكون ذلك التجنب أو المقاطعة رادعاً له عن الاتصاف بتلكم الصفات غير الحميدة.

كون الهدف الأسمى للإمام عليه السلام هو كسب الناس جميعاً إلى حيث الاستقامة والسلامة في الدنيا والآخرة من كافة ما يعرّضهم إلى المسائلة أو التردي في المهاوي.

إذن فعلى الإنسان أن يعيش مبادئه وما تعلمه من قيم ومُثُل روحاً وفكرة لا مجرد شعارات يرفعها و يتركها عند الحاجة؛ لأن ذلك يعني انهزاميته وعدم

ثقته بمبادئه وأفكاره وهو مؤشر سلبي.

١٠٨ – قال عليه السلام:

في تقلبِ الأحوالِ علمُ جواهر الرجال.

من السهل جداً تكوين العلاقات الاجتماعية على صعيد الأفراد أو الجماعات، وبمستوى وثيق أو مصلحي مؤقت، إلاّ أنّ ذلك قد يشّكل مشكلة في يوم من الأيام عندما يكتشف الإنسان أنّ مَنْ أقام معه العلاقة لم يكن بمستوى يؤهلّه للاتصال به، إما للانحطاط الفكري أو العقيدي أو الأخلاقي أو حتى المستوى المعاشي أحياناً والسياسي في أحيان كثيرة.

فالدعوة إلى انتقاء الأصدقاء وعدم التساهل في ذلك لأنه إنما تصح العلاقات وتتأكد وتأخذ طابعاً أخلاقياً مؤكداً عندما تتعرض للتجربة وتخضع للاختبار اما بقصد أو بشكل عفوي وعندها يعرف الإنسان معارفه وأعداءه، وأعوان الزمان عليه، ومَنْ هم مخلصون معه، ومَنْ هم مصلحيّون يتبعون مصالحهم الشخصية، إذ قد تتجلى شخصية فرد في المجتمع فيلتف حوله الكثير طلباً لفوائد ومقاصد خاصة. لكن على العاقل أن لا يُخدع فيجعلهم رصيداً يتّكل عليه في وقت الضيق وعند الحاجة، بل يلزمه التريّث في الحكم طويلاً إلى أن تصادف التجربة المناسبة غير المصطنعة – لأن رد الفعل قد يكون مصطنعاً أيضاً – ليكتشف مدى نجاحه في علاقاته الاجتماعية، فلا يظهر معدن الصديق إلاّ بعد إخضاعه للتجربة ولا يمكن لأحدٍ معرفة جوهر الآخرين إلاّ عند تغيّر الحال في المستوى المعيشي، الاجتماعي، الثقافي، المنصب الإداري، المركز الحساس؛ إذ قد تكون العلاقة مبنية على الانتفاع فحتماً يظهر جوهر المقابل بأنه مزّيف وغير صدوق في صداقته وليس جديراً باستمرار العلاقة والمداومة عليها

لأن الصداقـة تحتاج إلى تبادل الإخلاص والوفـاء والصفاء وأما إذا انقطع ذلك من أحد الإطراف فتصاب بالفشل حتماً.

حرف القاف

١٠٩ - قال عليه السلام:

قَدْرُ[١] الرجلِ على قَدَر همته، وصدقُهُ على قَدَرِ مروءته، وشجاعتُهُ على قَدَر أنفتهِ[٢]، وَعفتُهُ على قَدَر غَيرتهِ.

الدعـوة إلى أن يتعرف الإنسـان عـلى خصائصه الذاتية الحميـدة ليحجِّم نفسـه بالحجم المناسـب فلا يكون مجحفاً معها ولا متجـاوزاً مبالغاً ومما يتعرف من خلاله على ذلك هو:

١ - علّوُ الهمة وقوة العزم والتصميم على التنفيذ والانجاز بما يحقق نجاحاً له ومنفعة لغيره، فإذا كان الإنسـان كذلك كان رفيع الشـأن عاليَ الجانب محترماً لدى الآخرين موقراً بينهم محبوباً؛ لما وجدوه فيه من قوة وإرادة وهمة عالية تدلل عـلى رجولته وكماله واتصافه بخير الصفـات فيكون محلاً للثقة ومركزاً للاعتماد

(١) القَدْر بتسكين الدال بمعنى الحرمة والوقار، والقَدَر بفتح الدال أو تسكينها بمعنى مبلغ الشيء والطاقة والقوة. المنجد ص٦١٢ مادة (قدر).

(٢) الأَنَفَة: وهي عزة النفس. المنجد ص٢٠ مادة (أنف).

وموردًا للاهتمام ومحطاً للأنظار.

إذن مَنْ أراد تقدير الناس لـه واحترامهم واعتمادهـم، فعليه أن يتصف بالهمـة العالية والإرادة الصلبة ليستطيع خلالها تحقيق مـا يريد وتنفيذ ما يطمح إليـه، أمـا لـو تصورنـا العكس لتَفَـرَّقَ النـاس من حولـه ولقلَّ اعتمادهـم عليه واحترامهـم وتقديرهم له ولزالـت ثقتهم أو تزعزت، فيُهْجَـر ولا يكون مؤثراً في الحيـاة ليكـون حاله كبقيـة المخلوقات مما لا تـترك بصمات ايجابيـة نافعة على صفحات الحياة بما يخلِّد الذكر ويرفع الشأن.

٢- الصـدقُ ومطابقـةُ القول للعمـل وانجازُ الوعد وعـدمُ التخلف عنه - مهـما كان - فانه يدلل على اتصافـه بالصفات الحميدة مما يعني كمال الرجولية والنخـوة والقوة فمهما تكامل في هذا السـبيل كانت نسـبة صدقه أعلى من كذبه وتخلفه عن وعده والتزاماته.

وهـذا ما يحث على الالتـزام والانضباط والتعوّد على النظـام الدقيق فانه مؤشر على التكامل النسبي وهو مطلوب الأغلبية إن لم يكن الجميع ولو ادعاءً.

٣- الشـجاعة، والإقـدامُ وهيمنـة روح الصمود، والصـبر على المواجهة عنـد الحاجة، مما يـدل على عزة النفس والشـعور بالكرامـة والأصالة فيتقدم في حـالات المواجهـة على أسـاس إبائه الضيـم وترفّعه من الداخل عـن الذلة فلذا يستسهل الصعب من أجل ذلك ليعيش عزيزاً محترماً محفوظ الجانب.

فالأجـدر بالإنسـان أن يتكامـل عـلى خط الدفـاع والقدرة عـلى التغلب والوصـول إلى النصر والظفر من دون ما شـعور بالانخـذال من الداخل ليتم له ما يريده من عيش كريم.

٤- العفة والكف والابتعاد والتنزه عما لا يحل شرعاً أو لا يليق بالإنسان ولو عرفاً وعقلائياً؛ فإن ذلك يدلل على ترّفعه وحميته وانبعاثه في ذلك عن قناعة

بعدم استحقاق الغير في مشاركته ولذا يغار ويتحمس للدفاع عما يكره المشاركة فيه.

فالمطلوب إذن أن يكون الإنسان متحسساً في مواقف معينة لتُعْرَفْ عفته ونزاهته ولئلا يُرمى بعدم الغَيرة والتسافل الأخلاقي.

فهذه الخصائص: علو الهمة، الصدق، الشجاعة، العفة.. لها أثرها البالغ في الكشف عن شخصية المتصف بها وإثبات جوهره ولو لم يكن معروفاً، مشهوراً، غنيّاً، ذا منصب، ذا قوة، ذا جاه.. فإنها تصلح كمعرِّفات ومفصحات عما يتحلّى به الفرد. فلابُدَّ من المحافظة عليها لتتكامل الشخصية القوّية التي أرادها الإسلام للفرد المؤمن.

١١٠ - قال عليه السلام:

قُرِنَتْ الهيبةُ بالخيبة، والحياء بالحرمان، والفرصة تمرُّ مرَّ السحاب فانتهزوا فُرصَ الخير.

الدعوة إلى أن يثق الإنسان من نفسه ومما يحمله من طاقات فعّالة في المجتمع، ولا يتعوّد التردد في اتخاذ المواقف بعدما تتضح له حقيقة الأمر مما يسهل عليه اتخاذ القرار وما يناسبه من إقدام وسعي وتنفيذ وتحمّل المسئولية فإنّ مَنْ يهاب شيئاً ويخاف من الإقدام عليه سيخيب في تحقيقه ويُحْرَم من تنفيذه.

إذن الهيبة من الإقدام ومخافة النتيجة المقبلة يلازمها الخيبة وعدم الظفر بالمطلوب وانقطاع الأمل والتراجع خطوات إلى الوراء بدلاً من التقدم المأمول وهذا كفيل بإسقاط شخصية الإنسان داخلياً وخارجياً، عند نفسه وعند الآخرين. إذ حالة التردد والتقاعس وخوف النقد أو عدم التلقي المتوقع ونحو ذلك تهيئ جواً نفسياً يخيم عليه اللوم والندم واحتقار الذات وعدم الثقة بالنفس

وهو ما يؤدي إلى تأزّم الوضع والإحباط بالتالي، فلم يفلح في طريق الحياة، وقد يؤدي إلى محاولة التخلص من هذا الجو الخانق بمختلف الوسائل.

وأيضاً - حالة التردد - تقلِّل من فرصة اعتماد غيره عليه أو الثقة بآرائه ومستويات تفكيره ومنجزاته وخطواته الإصلاحية مما يؤطره داخل خيبة الأمل وعدم الأهمية في المجتمع وهو أمر متعب جداً، قد يفضّل الإنسان الهروب من المواجهة، المعايشة، الحياة - أحياناً - لذلك.

وهذا مما يعني أن ندقق في دراسة المواقف لئلا تُصَاب بالفشل والخيبة، ولا نتورط بالتهور والإقدام غير المدروس المنتج لعواقب وخيمة، وعند اكتمال النظرة المبدئية للحالة يقرر الإنسان الإقدام أو التريث فلا تفوته الفرصة في وقتها المناسب.

وأيضاً فإنّ حالة الخجل المفرط تثني الإنسان عن بلوغ الأماني وتحقيق الطموح وبالتالي يفشل في الحياة وهو ما يتجنبه كل أحد - غالباً - لأنه قد يضيّع الفرصة على الإنسان، والفرصة لا تعوَّض؛ لأن الحظ يطرق باب الإنسان مرة واحدة - كما يقولون -. فان وجده مستعداً أخَذَه إلى حيث تحقيق الآمال والنجاح في الحياة، وإلاّ فهناك الكثير ممن هو أكثر استعداداً وتلقفاً لذلك.

فلابُدَّ أن نقدِّر دعوة الإمام عليه السلام إلى الاستعداد للأخذ بالفرصة في الحياة لأن للإنسان دوره في التخطيط للمستقبل بتوفيق الله تعالى وإرادته، كما لا أحد يُلْجَأ إلى اتخاذ قرار بالشكل الذي تُسحب منه القدرة على التفكير إذن لابُدَّ من أن نسعى لنكونَ سعداء في الحياة بما لا يترك مجالاً للفشل بل يفتح أبواب الأمل أمامنا لئلا نكون اسقاطيين بمعنى أن نلقي ونسقط بفشلنا على القسمة، النصيب، الأهل، الحظ، الظروف، مداخلة الغير، بل لا بُدَّ من أن نستوعب الحالة بما يجعلنا قادرين على اتخاذ القرار المناسب في وقته المناسب لنتواصل في

مسيرة الحياة كما سار السابقون.

١١١ - قال عليه السلام:

القناعةُ مالٌ لا ينفد.

الدعوة إلى الرضا بالميسور والاكتفاء بالموجود وعدم اللهفة وراء المفقود؛ لأن التعّود على القناعة يهيئ عند الإنسان قاعدة صلبة يستقبل عليها ما يطرأ من متغيرات الأحوال: الفقر، الغنى، الصحة، المرض، الوجاهة الاجتماعية، عدمها، الولد، فقده، لكن المقصود هنا بالذات هو تعويد النفس على الرضا بالمقسوم لأن ذلك يوفر له راحة دائمة تقوم مقام المال في أحيان كثيرة ولو من حيث الحالة النفسية ليطمئن من الداخل ولا يقلق لعدم وجود المال لتمشية لوازمه الحياتية بل يكتفي بالموجود ويبرمج وضعه الاقتصادي ومستواه المعيشي وفق ذلك وحتماً سيصل إلى الكثير مما يريد عن طريق ذلك المال الباقي بما يحتفظ به من رصيد معنوي داخل النفس والناشئ من الإيمان الكامل بجدواه كحل للحالة المعاشة، بينما لو كان ممن لديه المال وينفق منه فلا بُدَّ من نقصه تدريجاً والوصول إلى الرقم الأقل وهكذا حتى تصل الحالة - أحياناً معينة - إلى الإفلاس أي نفاد المال وانتهاؤه.

إذن فلا بُدَّ لنا من القناعة لأنها تخدمنا من حيث نشعر أو لا نشعر وتجعل من حياتنا فرصة عيش مريح بدون قلق وتحسبات مزعجة.

١١٢ - قال عليه السلام:

قيمةُ كل امرئ ما يُحسِنه.

الدعوة إلى الارتقاء بالنفس إلى حيث التكامل والتنامي وتحسين الوضع في مناحي الحياة المتعددة كافة، وان يبني الإنسان ذاته بما ينفعه ويخدمه حاضراً ومستقبلاً وعدم التعويل على الماضي سواء له أو لسلفه من آباء وأجداد لأن مقياس التقدير وميزان التصنيف الاجتماعي إنما يتم بلحاظ القابليات والمؤهلات الشخصية بغض النظر عن الغير مهما كانت القرابة.

وبهذا علا نجم النجوم واشتهروا، وذاع صيت العظماء والمبدعين، لا بالنسب أو الرصيد من الأموال أو العدد من الزوجات أو الأولاد؛ فإن أنحاء المعرفة التي يتوصل إليها الإنسان في حياته هي التي توجِد منه إنساناً له حضوره في المجتمع، وتخلّده في سجل الحياة بمقدار ما أثّر ونفع بغض النظر عن صنفه الاجتماعي مبتدأ من رأس الهرم إلى مستوى القاعدة؛ فإن كل فرد في هذا التسلسل الهرمي له تأثيره في مسيرة الحياة وتكاملها، وسعي الناس نحو التكامل من دون ما ملاحظة للخصوصيات الجانبية للمهن، أو الأهمية للعلوم. وقد صارت هذه الحكمة مَثَلاً سائراً[١].

فنستفيد من ذلك التأكيد على مضمون المثل المعروف (كن عصاميّاً ولا تكن عظاميّاً)[٢] مما يعني الاعتماد على النفس والمؤهلات الشخصية لا الاعتماد على الآباء والأجداد ممن صاروا عظاماً نخرة؛ فإن مجدهم لهم وليس للإنسان منه إلاّ الانتساب فقط.

---

(١) انظر المنجد - قسم فرائد الادب - حرف القاف.

(٢) انظر القاموس المحيط ج٤ ص١٥١. ولمعرفة قصة المثل انظر مجمع الامثال للميداني ج٢ ص٢٩٣.

حرف الكاف

١١٣ – قال عليه السلام:

كفى بالأجل حارساً.

الدعوة إلى الثقة بالله والتوكل عليه وعدم الاتكال على الإعدادات الشخصية للحماية؛ لأنها مهما كانت دقيقة وحساسة في ضبط الحالة لتطوّرها وتفوقها في مجال الحراسة وتوفير الحماية فإنها تعجز عن ذلك إذا كان المحتوم، بل وتكون أداة مساعدة أحياناً على تهيئة الأمور بما يجعلها مستجيبة لأمر الله تعالى، فإن من اليقين أن لكل مخلوق أجلاً معيناً ومدة يقضيها في الحياة الدنيا ولا يمكن لأحد – مهما كان – أن يختصر من ذلك أو يقلل المدة أو يتدخل في كيفيتها بل ذلك مما ينفرد به الخالق عزّ وجلّ، وهذا لوحده كافٍ في تأمين هذا الجانب الحساس الذي يحتل من الإنسان جانباً واسعاً من تفكيره وتدبيره.

إذن إنْ تَطَرَّقَ الشك لدى الإنسان في شيء فلا يشك في أنّ الموعد المقرر لرحيله عن هذه الدار الدنيا إلى حيث الدار الآخرة وساحة القضاء العادل والمجازاة، هو الكفيل بإبقائه حتى حلول الموعد فهو المدافع والمحامي

والحارس.

ولا يعني هذا أن يترك الإنسان نفسه عرضة للخطر أو من دون ما إجراءات أمنية مناسبة وحالته الخاصة بل عليه أن لا يمنعه ذلك من الاعتقاد الراسخ بان الله هو الحامي القادر على كل شيء ومن دون إرادته وأمره لا يتم شيء.

فالمطلوب من الفرد المسلم أن يسلّم أمره لله تعالى ولكن مع إجرائه لتلك الإجراءات المناسبة له كإنسان ومن دون ما اتكال واعتماد بل يعزز ذلك إيمانه بالقدرة المتعالية والإحاطة بكل شيء إحاطة هيمنة وقدرة.

١١٤ - قال عليه السلام:

كفى بالقناعة مُلْكاً وبحُسنِ الخُلُقِ نعيماً.

الدعوة إلى تمثل أمرين مهمين في مسار الحياة ليضمن الإنسان الحياة الكريمة من دون ما إساءة أو تعكر.

القناعةُ مُلكٌ

الأمر الأول: القناعة، بأن يكتفي بما يجده ويرضى بما قسم الله تعالى له، وبذلك يضمن عدم إساءة أحد إليه من هذا الجانب بل يعيش الغنى والاكتفاء نفسياً ويمارس ذلك عملياً لا من دافع الأرصدة في البنك أو ضخامة في الأموال والمقتنيات والعقارات و... مما يفقده معنى القناعة، ويكون على النقيض تماماً من ذلك بل يتحرك في المجتمع بكل ثقله من الطمع والجشع وربما أخذ فرص الغير أو تَفَرّدَ بالفرصة المربحة و... مما يجعلنا نفقد إنساناً ونعايش مجمّعاً للمال ونساير

كتلة ثراء وغنى الأمر الذي يؤثر – حتماً – على المجتمع ولو بنسبة معينة.

فالإمام عليه السلام يشّد على يد القنوع ويطمئنه بأنه من ذوي الملك لكن لا بالتعبير السائد لأصحاب الأموال التي ما عرفت الرحمة والقناعة طريقها اليهم فلم يتذوقوا طعمها.

حُسنُ الخلق نعيمٌ

الأمر الثاني: حُسن الخُلُق بان يتعامل مع الغير بأوسع ما لديه من انفتاح وانشراح في المعاملة سواءً قولاً أم فعلاً لا بحدود المعاملة الوقتية بل على الإنسان أن يقتنع بجدوى حُسن الخلق فيتلبس به ويمارسه من واقع الاقتناع بضرورته وأهميته إذ ليس من الضروري تحميل الآخرين المشكلات والأزمات وحالات الفشل الخاصة الشخصية بل لابد من التساير بما يحقق الجو الملائم لديمومة عجلة الحياة وبما يجعل الكل في تبادل ايجابي وتعامل مرضي لتكون النتيجة صالحة لكل الأطراف.

فالدعوة قد ركزّت على أمرين مهمين في حياة الإنسان الشخصية والعامة ولهما دور كبير في تشجيع الإنسان على مواصلة الكفاح في درب الحياة – كما يقولون – فلا يشعر أحد بتفوق أحد من حيث الثراء والغنى، ولا يعاني أحدُ من سوء معاملة آخر بما يجعله متشنجاً ومتعباً.

١١٥ – قال عليه السلام:

كفاك أدباً لنفسك اجتناب ما تكرهه من غيرك.

من المعلوم أن الإنسان المستقيم التفكير، السوي الطريقة، يميل نفسياً

وسلوكياً في الحياة العملية إلى أن يسير بسيرة يكون من ثمارها وصف الناس له انه مؤدب، مهذب، ملتزم، موزون، وغير ذلك مما يعني المدح والثناء والقبول والارتياح الذي لا يمكن صدوره من الجميع إلاّ إذا تحققت في الفرد الممدوح شرائط السيرة الصحيحة والتعامل المحافظ على الخطوط العامة لقواعد المجاملات الاجتماعية وهو أمر ليس بالسهل - غالباً بل دائماً - لما هو معروف من تعدد الأهواء وتشتتها وعدم اتفاقها على أمر واحد فقد يرضى شخص بالتصرف المعين في الوقت الذي يغضب منه آخر، أو قد يثني إنسان على قول معين في حال أن إنساناً آخرَ ينتقده بما يجعل عملية إرضاء الجميع غير سهلة فكان دور هذه الحكمة هو رسم طريق لو سار عليه الإنسان في حياته العملية لأوصله إلى الهدف المنشود الذي يسعى إليه ويميل نحوه بحسب طبيعته القويمة وفطرته الأولى وان (الإنسان مدنيٌّ بالطبع)، ومعالم هذا الطريق وأوصافه قد اختصرها الإمام عليه السلام بأن يجعل الإنسان نفسه مقياساً لمعرفة حالة القبول أو الرفض لدى الآخرين لما يصدر منه شخصياً من أقوال أو أفعال، وذلك بان ما يجده الإنسان مقبولاً وسائغاً من الغير فيعرف انه مقبول وسائغ منه والعكس صحيح أيضاً، وان ما ينتقده الإنسان من الأقوال والأفعال ويعتبره أمراً مستهجناً من الغير فعليه أن يتجنبه ويبتعد عنه ولا يتورط به لأنه يشكِّل علامة سلبية عليه في أذهان الآخرين.

ولو التزم الإنسان بهذا المقياس فجعله ميزاناً يزن به أقواله وأفعاله فما يرضاه من الناس لو صدر منهم يفعله، وما يرفضه منهم يتركه ليضمن بالتالي انه مؤدِّبٌ لنفسه وكفى بها تقييماً يعتز به بل ويفخر به العقلاء المدركون لأحوال التعامل الاجتماعي وما يلزم في ذلك المضمار.

إذن فالدعوة إلى أن يلتزم الإنسان تأديب نفسه وتهذيبها والسيطرة عليها

من خلال الابتعاد عن كل ما يكرهه ويتجنبه وينتقده من أقوال الغير وأفعاله بما يجعل القاعدة متوازنة؛ إذ الناس[١] بحسب الخلقة والطبيعة الإنسانية متساوون في الانسجام مع أمور والابتعاد عن أخرى فمن الممكن جداً إدراك المقبول والمرفوض اجتماعياً ليتجنبه الإنسان ليكون بذلك مصدر راحة للآخرين.

١١٦ – قال عليه السلام:

الكلام في وثاقك[٢] ما لم تتكلم به فإذا تكلمتَ به صرت في وثاقِهِ، فاخزن لسانك كما تخزن ذَهَبَكَ ووَرِقَكَ[٣]، فرُبَّ كلمة سلبت نعمة وجلبت نقمة.

الدعوة إلى أمرين:

الأول: التحفظ الشديد، والتحرز، والتدقيق فيما يجرّه الكلام من عواقب، وحساب الاحتمالات في ذلك ليتعرف الإنسان على موارد النفع أو الضرر في كلامه، فإنه قبل أن يتكلم مالكٌ له ولا يعرف أحد ما يريد التكلم به كما يعرفه فهو مسيطر ومتوازن، وأما بعد الكلام فيصير مملوكاً للكلام إنْ خيراً فمصيرٌ محمود يحمد الله تعالى عليه، وإنْ شراً فمصيرٌ مذموم وموقف لا يُحسد عليه وهو يستعيذ بالله من شر ذلك الكلام الذي كان هو مصدر بثِهِ، ولولاه لما أدانه أحد،

(١) وهذا مع غض النظر عن العوامل البيئية أو الجغرافية أو الدينية التي تعترض ذلك احياناً بما يضفي عليه الخصوصية ويجعله ضمن حدود معينة فلا يتجاوزها الى الآخرين من الناس الذين يعيشون ضمن حدود اخرى.

(٢) الوَثاق والوِثاق: ما يشدُّ به من قيد وحبل ونحوهما. المنجد ص٨٨٦ مادة (وثق).

(٣) الوَرِق والوَرْق والوَرَق: الدراهم المضروبة. (القاموس ج٣ ص٢٨٨)، أقول: لما كانت الفضة هي المادة الأساس لتصنيع وسبك الدراهم – قديماً – فلذا قد عُبّرَ بما معناه الدراهم خاصة عن الفضة لهذه المناسبة سواء بلحاظ المقابلة بين الذهب والفضة، أم بلحاظ المناسبة بين الذهب الذي تُسَكُّ منه الدنانير –قديماً– وبين الورق الذي هو الدراهم المضروبة.

ولذا جاء التشبيه بما يكون مشدوداً ومأمون الجانب لإحكام القبضة عليه من خلال المَشد فلا يُخاف من إفلاته، بينما إذا أفلت صار مصدر إزعاج وتعب حتى تُعاد السيطرة عليه ثانياً وهذا إن أمكن في بعض الحالات فلا يمكن في حالة عدم ضبط اللسان لأن آلات التسجيل الطبيعية أو المصنعة قد حفظته ومن العسير محوه وعندها تكون المشكلة.

الثاني: معرفة الإنسان أن اللسان يُحفظ من الغير كما تُحفظ الأموال عن الغير بل أحياناً يكون حفظ اللسان أشد أهمية وألزم من حفظ الأموال؛ لأن الأموال عرضة للزوال والتجدد وأما اللسان فلو كان الكلام لغير صالح المتكلم فإن ذلك يعني الزوال إلى الأبد من دون ما عودة وفي ذلك متاعب شخصية، أسرية، اجتماعية لما يتركه الإنسان من فراغ بحسب وضعه الخاص.

مضافاً إلى أن الذي لا يسيطر على لسانه يكون قد أعانَ على نفسه فيأثم بذلك، والمقصود من الإعانة عليها أنْ سَهّلَ الطريق وأعطى مستمسكاً لأجل إدانته وتعريضه للأذى.

وإنما جاء هذا الحث على حفظ اللسان - مع انه باللسان يتوصل الإنسان إلى غاياته ويبّين مقاصده ويظهر مستوى تفكيره فقد يكون اللسان سُلّماً لرُقيّه وعلو شأنه - لأن الإنسان في حالات الانفعال النفسي أو الإثارة أو التأزم أو الغضب أو التفاعل مع قضية معينة قد يفقد السيطرة - وهو كذلك غالباً- فلا يلتفت إلى لوازم كلامه كما هو حاله في حالات الاستقرار النفسي والسيطرة على اللسان لعدم الغضب أو التأزم فكان هذا الحث في محله جداً لأنه كـ جَرَسِ تنبيه وجهاز انذار في حالات دنو الخطر وقربه ولعلها آخر فرصة للإنقاذ.

وقد عقّب عليه السلام ببيان حالتين تحدثان جرّاء عدم حفظ اللسان وهما:

إما زوال حالة رخاء وتنعّم بأيّ مستوى كان وأياً كان مظهره، وإما

حدوث أزمـة وضيق ومتاعب ومن بعدها المصاعب، بما يجعل الإنسـان مقتنعاً تماماً بـضرورة ضبط اللسـان وعدم إعطائـه الضوء الأخضر دائماً بـل لا بُدَّ من برمجته وفق القواعد الصحيحة.

١١٧ - قال عليه السلام :

كلّ مُعاجَلٍ يسأل الإنظار، وكلّ مؤجِّلٍ يتعلّل بالتسويف.

الدعـوة إلى انجاز المهمات المطلوبة وعدم المماطلة في أدائها خصوصاً إذا لم يكن هناك بديل؛ إذ أن الإنسان إذا لم يواجه حالةَ تحدٍ - ولو في إطار ضيق - فلا ينجـز بكفـاءة بل يتعلل بضيق الوقـت أو قلته أو عدم إعطـاء الفرصة أو طلب المزيـد منهـا أو.. أو.. هذا إن كانـت المهمة المطلوب انجازهـا على نحو السرعة والعجلة. وأما إن كان على المدى البعيد فيتعلل بالنسـيان أو تراكم المشـاغل أو كثرة الشواغل أو طول المدة بما جعله مقدِّما لغيرها أو..أو...

إذن فهـو في كلتـا الحالتـين معتذرٌ، غير منجـز للمطلوب وهـذا مما يعني تأخّـره في هذا المجال وتقدّم غيره عليه ممـن يكتب له التوفيق والنجاح في انجاز المهمـة المطلوبـة - هذا على أسـاس التنافـس المشروع الذي لا بـأس فيه لتحفيز الهمة وبعثها أكثر فأكثر نحو العمل والمواصلة بما يرفد مسير الحياة -.

فالمطلوب مواجهة الحالة بشجاعة والإقدام على العمل المطلوب القيامَ به ولا يعتذر بضيق الوقت أو طول المدة ونسيانه بل لابُدَّ أن يحتل مرتبة من تفكيره بما يجعله معايشاً له حتى الانجاز.

١١٨ – قال عليه السلام:

كلُّ مقتصَرٌ عليه كافٍ.

كلمـةٌ مختـصرةُ الألفاظ، جزلة المعاني، ضخمة الأهـداف، بعيدة الأعماق بما يعطي درسـاً وعظياً، تربوياً للإنسان ليستفيد منه في مسيرته اليومية وفي جميع شـئون حياتـه الخاصة والعامة بما يجعلـه يعيش القناعة روحـاً وفكرة ومضموناً وتصويراً بكل تعابيرها ومدلولاتها.

فلو تعلّم الإنسـان هذا الدرس واسـتوعبه جيداً، لضمنّا إلى – حدٍ كبير– عدم حدوث أزمات: اقتصادية، سياسـية، بيئيـة...؛ لأن المطلوب هو الحصول عـلى الحدّ الـكافي الذي يؤمِّن الحاجة ويوفرها مـن دون ما إلجاء إلى الادخار أو الاحتـكار أو الاسـتغلال أو الاسـتبداد بالأمور بما يوسِّـع الفجـوة بين طبقات المجتمـع الواحد أو المجتمعـات المتوحدة أو المتعددة، فيحـس البعض بالحاجة الماسّـة بينما يفيـض المخزون عن حاجـة البعض الآخر بما لا يكون منسـجماً مع قواعد التوزيع والتنظيم العادلة الصحيحة ولو من وجهة إنسـانية وليست دينية وان كان همـا توأم يتعايشـان معـاً؛ لأن الدين منقذ الشـعوب، ومن أهم أهدافه رفاهية الإنسان وإسعاد الإنسانية أينما تواجد أفرادها.

ولـو عـرف – الإنسـان – أيضـاً أنّ مـا حَصـلَ عليـه وسـدَّ احتياجه هو المضمـون له ومـا عداه فهو في عـداد الآمال والطموحات التي قـد تتحقق وقد لا تتحقـق – لـو عـرف هذا – لوَفّر على نفسـه مؤنـة المتاعب، وعـلى غيره مؤنة الحاجة والشكوى ولتكافأت إلى حدّ كبير نسبة الحصول والاستفادة ولم تتكدس في جانب دون آخر.

فالدعـوة إلى أن يكون الإنسـان عقلانياً في طريقة جمعـه وتجميعه للأمور

المادّية – طبعاً – إذ المعنويات مما ينبغي التسابق لحيازتها مهما أمكن.

١١٩ – قال عليه السلام:

كم من أكلة منعت أكلات.

إن هـذه الحكمـة تبيّن نظامـاً غذائياً مفيـداً لو ألتزم به الواحـد منّا بحيث ينظّم أكله بما يلتئم مع حالته و وضعه الصحي والنفسي فلا يسرف على أسـاس أنها فرصة ولا يترك على أساس الزهد.

بـل يتوازن بـما يحفظ له قوامـه، ويعينه عـلى مقاصده المشروعـة وأهدافه المرجـوة في الحيـاة؛ لأن الله تعـالى خلـق الإنسـان وأراد إسـعاده، وخلـق الدنيا ومـا فيهـا لخدمته وتذليل الصعوبـات المواجهة له بما يجعلـه القائم بحكم الله في الأرض.

فـلا مانع إذن مـن التنعم بالمأكولات والالتذاذ بها لكن مقياس السـيطرة متروك تحت يد الفرد ذاته لا يتحكم فيه سـواه إذ هو على نفسه بصيرة، فلا يبقى جائعاً، شرهاً، متطلعاً لما عند غيره يَنْفَس (يحسد) عليهم نِعَم الله، كما عليه أن لا يتحول إلى حاوية طعام وشراب بما يخرجه عن حد الإنسان الطبيعي وقد يلتحق بغيره من المخلوقات التي تقضي أوقاتها بالأكل.

وبهذا نأمن عدم حدوث أزمات صحية أو اقتصادية فلا نشـكو مجاعة أو حصـاراً أو تضييقـاً، وإنما الجميع يتوازن وفق هـذه الحكمة التي تؤكد أن بعض الأكل يهدد وجود الإنسـان أو يمنعه من الالتذاذ بـالأكل مرة أخرى والى الأبد – أحياناً – فيكون طبيب نفسـه من دون ما مشاورة واستشارة طبية فلا أمراض القلب ولا السـكر ولا الضغط ولا الربو ولا أمراض المعدة بعوارضها المختلفة ولا.. ولا.. مما يتعرض له الإنسـان بسـبب التركيز على بعض المأكولات ولو في

سـن معين أو مدة معينة ولو كان لظروف خاصة فللأكل تأثيره في الإنسـان مهما كان.

فالدعـوة إلى أن يلتزم الإنسـان بـما يوافق مزاجه ويلائـم طبيعته، وأن لا يـسرف في الأكل لأنـه سـيتحمل - وحـده - بعد ذلـك تبعات عـدم الالتزام، والإسراف في الأكل.

١٢٠ - قال عليه السلام:

كم من مستدرَج[١] بالإحسان إليه، ومغرور بالستر عليه، ومفتونٍ[٢] بحُسن القول فيه، وما ابتلى[٣] الله سبحانه أحداً بمثل الإمْلاء[٤] له.

مـن المعلوم أنّ الله تعالى كريم لا بخل في سـاحته عزّ وجلّ، ينعم على مَنْ يعرفه ويوّحده وعلى مَنْ لا يعرفه بل وينكر وجوده، إلاّ أن ذلك لا يعني في حال من الأحوال تساوي الحالين فانه يفيض بنعمِهِ الواسعة على مخلوقاته كونه المنعم والخالـق والغني المطلـق عن أي أحد مهما كان والقوي والجبّار والمهيمن والذي تسـع رحمته كل شيء والذي أوجد الأشـياء من العدم، مما يعني أن الجميع خَلْقُهُ لم يفرّق بينهم سوى أن المخلوقين انقسموا إلى قسمين:

قسـم آمنّ بخالقـه وموجده ومدبره فعَبَـدَهُ ونزَّهَه عـن الشريك والوالد والولد والصاحب، ونفى عنه الاحتياج.

وقسم آخر انحرف وابتعد عن الصواب ولم يفلح بالإيمان والتوحيد.

---

(١) أي مخدوع.
(٢) أي مُعْجَبْ.
(٣) أي اختبر.
(٤) الإمهال والتأخير. المنجد ص٧٧٥ مادة (مَلَوَ).

وكل منهما لم تتدخل القوة في اختياره وإنما قد وُضّحَ له المسار وحُدّد له الطريق الموصل إلى الخير، فكان توجهه بمحض إرادته من دون ما إلجاء أو جبر، ولكن من الطبيعي سيكون القسم الأول أقرب وأفضل حالاً من القسم الآخر، ولذا حصل المطيعون على امتيازات، كما حُرِمَ العاصون من بلوغ درجات لا يصلون إليها إلاّ بالإيمان والتوحيد والتقوى كما هو الحال في القسم الأول.

ولكن هذا لا يعني حرمان القسم الآخر من جميع الاستحقاقات الطبيعية لهم كمخلوقين بل لهم ذلك، ثم تأتي مرحلة الاختبار ليُكشف من خلال ذلك مدى الاعتبار والاتعاظ إذ ما من شيء خلقه تعالى إلاّ وفيه موعظة وعبرة ﴿لِمَنْ كانَ لَهُ قَلبٌ أَو أَلقى السَّمعَ وَهُو شَهِيد﴾ فإذا استفاد أحدٌ من هذا واجتاز الاختبار وكانت النتيجة الاهتداء والإيمان فيكون له ما للقسم الأول واما لو لم يستفد بل تمادى على أساس القوة والاغترار ببعض القابليات - التي لم يلتفت إلى أنها مخلوقة لله تعالى أيضاً - فسوف يُمهل ويؤخر عسى أن يرعوي ويرجع إلى صوابه ورشده، وإلاّ فمصيره النار وساءت مصيراً وقد أودى بنفسه هو إلى هذا المصير ومن دون ظلم أو انحياز ضده أو جناية من أحد عليه؛ لأنه تعالى غني عن العالمين لا تنفعه طاعة المطيع ولا تضّره معصية العاصي.

بل النفع والضرر في دائرة العبد فقط وسيندم ويشعر وقتئذ بأنه جنى على نفسه بذلك الانخداع بتوالي الفرص والذي قد ظن أن ذلك الإحسان وتتابع النِعم عليه يعني انه على الطريق الصحيح حسباناً منه انه لو لم يكن كذلك لما تواصلت النعم عليه لكنه غفل عن انه تعالى قد حدد الطريق لكل أحد، وبيّن المستقيم من المعوج، ثم أوكل الأمر في الاختيار والسلوك إلى إرادة العبد من دون ما تأثير أو ضغط.

ويعرف أيضاً أن عدم أخذه بالعذاب وعدم تعجيل العقوبة له على

المعاصي إنما هو ستر من الله تعالى الخالق العظيم الرؤوف الرحيم اللطيف الحنّان المنّان وليس عجزاً عن إيقاع العذاب وبالشكل المناسب حسب ما يشاؤه تعالى.

فالدعوة إذن من خلال هذا البيان إلى أن يراقب العبد ربّه، ويستشعر وجوده، ويؤمن بقدرته، وانه مطلّع على كل شيء حتى خطرات القلب ولحظات العين وما يجول من أفكار ولو لم يبدها لأحد، فعندئذ يكون العبد على جانب كبير من التقوى، والورع عن محارم الله عزّ وجلّ بما يوفر له حالة الاستقامة بأجلى صورها وأبهى مظاهرها فينعم بها ليصل إلى رضوان الله وما فيه خير الدنيا والآخرة.

فلابد للعاقل حينئذ من أن لا يغتر بإقبال الدنيا عليه وكونه محظوظاً إذ من الممكن أن يكون ذلك اختباراً فلا بُدَّ من أن يكون متوازناً محافظاً على القواعد الصحيحة التي تضمن له عدم المساءلة أو المحاسبة.

١٢١ – قال عليه السلام:

كنْ سَمْحاً ولا تكن مبذِّراً، وكنْ مقدِّراً ولا تكن مقترًّاً.

الدعوة إلى اعتماد موازنة متعادلة الطرفين بالشكل الذي يضمن الانسيابية والاستقرار الاقتصادي ولا يضر بالمستوى المعيشي بما يهدد الوضع الاجتماعي من جهات كثيرة.

وذلك يعني أن يتعّود الإنسان على الإنفاق في ضرورياته وما يحتاجه ولو كانت من الكماليات الثانوية ولكن لا بتعدي الحدود المعقولة لذلك، ولا بتجاوزٍ ولا بإفراط بما يشكِّل علامة سلبية ضده فيوصف بعدم التوازن أو السفه أو قلة التدبير أو سوء التوزيع أو عدم القدرة على الانضباط وكل ذلك بل بعض ذلك

كفيل بتقليل فرص الاعتماد عليه اجتماعياً أو مهنياً.

لأن الناس اتفقوا بحسب الحالة الطبيعية المودعة لديهم على جلب المصلحة ودفع المفسدة بمختلف الصور والمظاهر، ومن الواضح أن صرف المال من دون توازن، وصرف ما يفي باللازم وإبقاء غيره يُعَدُّ من المصلحة، ومَنْ لم يوافقهم على ذلك - ولو لحالة طارئة عليه - فلا يعاملونه ولا يستأمنونه، وفي ذلك من الضرر بشخصية الفرد ما هو أوضح من أن يخفى على أحد.

فلابُدَّ من أن نتصور فارقاً بين أن ينفق الإنسان على ما يريد ولكنه لا يسرف بمعنى انه لا يتجاوز الحد المعقول، وبين أن ينفق بالشكل الذي يتعدى معه الحد المعقول فيصبح مبذراً مفرّقاً للمال من دون ما حكمة ومنفعة وعائدة.

فمن الواضح أن البذل مع التقدير والحساب ومراجعة الميزانية لا يتنافى مع قواعد الجود والكرم أو البذل الوجاهي بل إن ذلك يعني الانضباط والنظام اللذين يعززان الثقة بالفرد وقدرته على التقدير من دون ما تقتير وتضييق في النفقة.

فالالتزام بهذه الموازنة يضمن عيشاً مستقراً، مناسباً،مسايراً للوضع الخاص بكل فرد أو مجتمع لأن النسبة يتحكم بها الشخص نفسه بقيمومة العقل ورعاية الضمير. فهو يتماشى مع وضعه الاقتصادي بالشكل الذي لا يرهقه من أمره عسراً كي لا يحتاج إلى اقتراض أو استيهاب أو تحايل ونحو ذلك من وجوه تحصيل المال المحللة أو المحرمة، فإن الإنسان إن سيطر على رغباته و وازن بين وارده وصادره تمكّن جيّداً من الإنفاق من دون ما إجحاف ولا تقصير.

١٢٢ - قال عليه السلام:

كن في الفتنة[١] كابن اللَّبُون[٢] لا ظهر فيُركب ولا ضرع[٣] فيُحلب.

إن لهذه الحكمة أهمية خاصة إذ قد نشأ على حفظها الصغار وشابَ على ذلك الكبار جاعلين لها قانوناً يتّبع، ونصيحة يؤخذ بها من دون ما مناقشة وما ذاك إلاّ لأنهم تأكدوا من سلامة فكرتها وصحة هدفها وأحقيّة غايتها بما يجعلهم مقتنعين بها غاية الاقتناع ومترسميها في خطى الحياة بحيث صارت شيئاً مسلّماً حتى عند من لا يبالي بالتعاليم السامية.

ولعل من أهم أسباب ذلك أنها تكفلت بتبيان خط عام يضمن لسالكه السلامة والأمان من الأخطار المحدقة، وذلك هو المطلوب للجميع حتى صارت مَثَلاً يستشهد به في حالات تلبّد الأجواء بالمشاكل السياسية أو الأزمات المحلية.

وأيضاً مما حقق لها انشداد الناس وانجذابهم نفسياً أن الإمام عليه السلام قد وَضَّح ذلك بالمثال القريب من فهم عامة الناس، فمن المعلوم أن ولد الناقة - وهي أنثى البعير - لا تكون له مشاركة فعّالة، وذلك لعدم احتماله وضعف بنيته فلا يستفاد منه ركوباً وامتطاءً أو حملاً ونقلاً هذا إن كان الولد ذكراً، وأما

(١) المحنة والابتلاء. المصباح المنير ج٢ ص٦٣١.

(٢) ابن اللَّبُون: ولد الناقة يدخل في السنة الثالثة، سميّ بذلك لأن أمّهُ ولدت غيره فصار لها لبن. المصباح المنير ج٢ ص٧٥٢. أقول: ولا خصوصية للذكر، إنما ذُكر إما باعتبار أنّ المخاطب ذَكرٌ - وهو الإمام الحسن عليه السلام -، وإما من باب التغليب، لأنه لا خصوصية للذَكر بل يشمل الأنثى أيضا، لكن عبّر بلفظ الابن تعميماً، وهو من الاستعمال الشايع.

(٣) الضرع: مَدَرُّ اللبن للشاة والبقر ونحوهما وهو كالثدي للمرأة. المنجد ص٤٥٠ مادة (ضرع).

لـو كان أنثـى فالفائدة المتوخاة منها هو إدرار اللبن فلو كانت بذلك العمر فهي بعدُ لم تتأهل إذ لابد من تلقيح الفحل حتى يتكوّن اللبن.

فإذا عرفنا هذا عرفنا أن الإنسـان إذا أراد السـلامة لنفسه فلا بُدَّ من أن لا يدخل في متاهات لا تؤدي به إلى نتيجة، فعليه بالابتعاد حتى يحقق لنفسه الحماية والكفاية مما يحذر.

فالدعـوة إذن إلى التوقـي والحذر من الدخول في كل ما يعرض للإنسـان في حياتـه العمليـة مـن قضايـا سياسـية أو خلافات قَبَلِيـة، عائليـة، أسرية، بين الأصدقـاء، بـين الشركاء، بين الزمـلاء، كما عليه أن لا يجنح وإنـما يتخذ موقفَ المحايد إن لم يتطلب الأمر التدخل، وإلاّ فعليه أن ينصر الحق ويتدخل إلى جانبه وإلاّ كان معاونـاً للباطـل ومنـاصراً للظلـم. فليس المراد من الحكمـة التخاذل والابتعـاد عن المسـؤولية بل التحفظ كيـما يتضح الأمر ويتجلى الحـال بما يجعله مسدَّدَاً في اتخـاذ القرار المناسـب ليسـلم من العواقب الوخيمـة التي تكون عادة بعد ارتجال المواقف أو تصديرها لحساب حالات ضغط فكري أو مادي.

حرف اللام

١٢٣ - قال عليه السلام:

لا تجعلنَّ ذَرَبَ[1] لسانك على مَنْ أنطقك، وبلاغةَ قولِكَ على مَنْ سددّك.

يمكن أن نستفيد من هذه الحكمة معنيين قد يهدف إلى كل منها قسم من المتأملين في الحكمة:

الأول: إنها دعوة إلى عدم استعمال اللسان بالمعصية، لأنه نعمة[2] أنعمها الله تعالى على عبده، يمكنه من خلاله التوصل إلى توضيح المقاصد والتفاهم مع القريب والتصويت للبعيد و.. و.. مما يدخل في مهمات البيان والتعبير، وأيضا يمكن من خلاله تذوّق الطعوم وإدراك الحرارة والبرودة والحلاوة والمرارة كما

(١) الذَرَبُ: بَذَاءُ اللسان. المنجد ص٢٣٤ مادة (ذرب).

(٢) ذكر د. خالص جَلبي في كتاب الطب محراب الإيمان ج١ ص٢٢٨ (ولننظر الآن الى هذا اللسان العجيب الذي يحتوي على (١٧) عضلة للحركة، وعلى غشاء مخاطي بغلّفه، وعصب خاص لتحريكه في كل نصف، أي عَصَبَان رأسيان هما العصب تحت اللسان الكبير في كل جانب و(٦) ستة أعصاب لنقل الحس...).

يساعد على المضغ والبلع والذوق.

وهذه المنافع مهمة جداً في حياة الفرد ولها دور كبير في تسيير وضعه اليومي، ولو تعطلت أو افتقدها فسوف يعاني في سبيل التعويض والوصول إلى المطلوب بل يعاني كثيراً حتى ينسجم مع البديل المعوِّض.

فالإمام عليه السلام – على هذا المعنى الأول – يريد إشعار الإنسان بأهمية اللسان البالغة، فعليه أن يعرف قدر ذلك لا يستغله في المعصية سواء كانت أكلَ أو شربَ بعِض المحرمات المنهي عنها شرعاً أو التعبير به عن الأفكار الهدّامة والمسمومة التي تروّج للإلحاد أو الباطل عامةً؛ لأن استغلال اللسان في ذلك يعني استغلاله في غير الجهة المخصَصَة أو المرجّوة له، فإنه تعالى لا يحب الباطل بكافة أشكالِهِ ومظاهرِهِ ومختلف مستوياته وغاياته.

الثاني: أنها دعوة لاحترام من كان تولّى التربية وكان يقوم بدور المعلم منذ البداية والنشأة الفكرية للإنسان ملتزماً جانب الأدب ومتبعاً قواعد اللياقة والاحترام فلا يتسلط ولا يتعالى عليه يوماً من الأيام في مقال أو مجلس أو.. أو.. لأن أساس هذه القدرة المتنامية من تعليم المعلم، فلا بُدَّ من حفظ ذلك والوفاء معه ولا يعقل أن يجرب ذلك مع المعلم الذي يعود فضل التفوق إليه.

إذن فالحكمة تدعو إلى حفظ الحق وعدم تناسيه سواء كان للخالق تعالى لأنه المنعم، أو للمؤدب المعلم لأنه الذي حاول تطبيع الإنسان (المادة الخام) وتحويله إلى مفكّر له أفقه الخاص في التفكير والتحرك نحو عالَم أوسع.

١٢٤- قال عليه السلام:

لا تجعلوا علمكم جهلاً، ويقينكم شكاً، إذا علمتم فاعملوا وإذا تيقنتم فأقدِمُوا.

الدعوة إلى التطبيق وعدم الاكتفاء برفع الشعارات ومجرد الادعاء بل لابُدَّ من تعزيز ذلك بشواهد عملية تطبيقية ليكون الأمر واقعياً صحيحاً فينتفع به الجميع، وإلاّ فما الفائدة العامة مما يختص به الإنسان لنفسه.

١- والعلم مما يجب تعميمه بصورة وأخرى للجميع ليستفيدوا منه وليتفقهوا في أمور دينهم ويعرفوا الصحيح من الخطأ فلا ينحرفوا خاصةً وأن المُضلات التي تصرف الإنسان عن الواقع الصحيح كثيرة جداً، فلا بُدَّ من تطويقها بما يجعلها محدودة الدائرة لئلا يتورط بها الجُهّال الذين قلّ نصيبهم في العلم.

ولذا قال عليه السلام (إذا علمتم فاعملوا)، إذن فهو يريد التطبيق ولا مجال للتأخر والتماهل والتباطؤ؛ لأن الإنسان إذا عرف الكفاية من نفسه وكان بمستوى المسؤولية لم يكن له عذر في التقاعس عن أداء واجبه إزاء المجتمع بل وإزاء نفسه لأنه بعد بذل الجهد الجهيد حتى تعلّم فهل يصح أن يبقى في عداد الجُهّال كون المعادلة واضحة مَنْ تعلّم يعمل ومَنْ جهل لا يعمل.

فإذا تعلم ومع ذلك لا يعمل فهو الجاهل، كما أنه إذا لم يتعلم ومع ذلك حاول العمل يقع في مشاكل ومطبّات كثيرة.

٢- وأيضاً اليقين إذا حصل للإنسان فاطمأن قلبه وعرف الواقع ولم يلتبس عليه شيء فلا خيار أمامه إلاّ التطبيق والعمل وفق يقينه.

فإذا ما ترك العمل بعلمه، أو ترك الإقدام على تطبيق ما تيقنه فإنه يحوّل نفسه إلى شيء آخر لا يطلق عليه عالم، متيقن، فإن الفائدة المنتظَرة من العلم، اليقين: التطبيق والعمل والتنفيذ الكامل لما يقررانه - العلم، اليقين - فإذا ما تجاهلهما فإنه الوأد لهما وعدم التقدير لشأنهما وهذا ما لا يريده عليه السلام منّا بل يعلّمنا الواقعية والشجاعة وأصالة الرأي ليقرر الإنسان مصيره بنفسه ولا يتعلل بعد ذلك بشيء لأن العلم، اليقين هما الحد الفاصل بين العالم والجاهل، وبين الواثق المتيقن والمتردد الشاك.

١٢٥ - قال عليه السلام:

لا تسأل عما لم يكن، ففي الذي قد كان لك شغل.

الدعوة إلى ترك البحث عما لا يعني وعما لم يأتِ بعد، وعما سيصير؛ لأنه مشغلة للإنسان بما لا ثمرة فيه ولا جدوى من أثره خاصة وأنه لا ينتهي إلى حّد لفرض عدم حصوله وتحدده بل يبقى في إطار الاحتمالات الكثيرة والمتشعبة بما يجعل الإنسان في متاهة متعبة.

فالأفضل للإنسان والأليق به أن يعتني بأمره الفعلي فيصرّف أموره ويدبّر شؤونه ويبحث عما هو مفيد له في ذلك الظرف ويتابع المستجدات بما يقوّم وضعه وحاله ولا يتهرّب من ذلك بالتوجه إلى المستقبل الغامض الذي لا يعرف مداه ولا ثمرةَ للتباحث فيه.

فما حدث وانتهى وما يحدث فعلاً، يكفي لملء فراغ الإنسان من جميع النواحي النفسية، الفكرية، الزمانية، الاقتصادية،.. ويسد عليه أوقاته التي كان يعوزها الامتلاء بما لا يترك له مجالاً للتفكير بأمور أخرى.

ولهذه الحكمة هدف سامٍ يكتسب أهمية بالغة في الوقت الحاضر لما يعانيه

العالَم عموماً من أزمات ومشكلات نفسية تؤدي في بعض حالاتها إلى ما لا يحمد عقباه وذلك - الهدف - هو:

إن الإمام عليه السلام يحث الإنسان على أن يكون عملياً أكثر فأكثر ولا يكون من البطّالين، والمقصود من أن يكون عملياً أن يتولى مسؤوليته اتجاه نفسه وعياله: زوجة وأولاد وسائر مَن يلتقيه، بتوجيه النصح، بمتابعة الدقائق ليضمن عدم الزلة، عدم الانحراف، عدم الخروج عن الخط الصحيح إنسانياً أو عقائدياً، لأنه لو ترك تلك الأمور لغيره فليس من المضمون أداؤه لها بكفاية إن لم يساعد على تحطيم بعض الأسس المتبقية في النفوس والأذهان مما يخلخل كيان الفرد المستقيم وعندها تكون المشكلة أكبر من أنْ يحتويها ويصعب وجدان الحل أو يتعسر القيام به مما يعني التأخر عن المسيرة فيعطي فرصة لأصحاب النوايا السيئة بالسيطرة والاستيلاء.

وأَحسب أن مَنْ يستوعب هدف الإمام عليه السلام يوقن يقيناً صادقاً ويؤمن إيماناً راسخاً لاشك فيه أن الإمام يرعى الإنسانية ويخطط لحفظ الأجيال كي لا ينزلقوا أو ينحرفوا أو يتورطوا فهل يبقى عذر لأحد لو صار بطّالاً يبحث عما لا يعنيه ويتدخل في حسابات القادم؟ مع أنه لا يضمن بقاءه حتى حصوله. فهذا درس اجتماعي تربوي يحسن بمن يريد السير وفق المنهج الصحيح استيعابه والاستفادة منه وعدم نسيانه مهما مرّت السنوات.

١٢٦- قال عليه السلام:

لا تستحِ من إعطاء القليل فإنَّ الحرمان اقلُّ منه.

الدعوة إلى أن يساهم كلٌ بمقدار مكنته وجهده وان لا يستحي لعدم مساواته مع غيره ممن يشارك في دفع الأكثر، وذلك على أساس أن الوجود خير

من العدم ولا بأس على الإنسان أن يقدّم ما يمكنه، بل البأس عليه إن بخل بذلك أو ترك محتاجاً من دون ما إعانة ممكنة.

وهذه المشاركة تختلف باختلاف الموارد والأشخاص ولا تتحدد عند حدود إعطاء الفقراء والتصدّق عليهم بل ذلك من بعض الموارد، ولا يعني أن المعطي المخاطب بهذه الحكمة هو من كان محدود الدخل فقط بل يعم جميع الأفراد خصوصاً وان بعض الأغنياء ممن يبحثون عن الشهرة والأُبّهة والوجاهة الاجتماعية قد يمنعه من المشاركة: انه لا يستطيع - لأي سبب كان - المشاركة بما يقتضيه وضعه الاجتماعي فيرد أو يتملص أو يتخلص بوسيلة وأخرى من المشاركة لئلا يعيّر بالقلة أو الإفلاس، أو أن غيره فاقَهُ في ذلك فتضيع عليه فرصة معاونة الغير، هذا كله باعتبار المعونة المادية بكافة صورها، وأما العون بالجاه والوجاهة وما يمكن أن يحققه الإنسان من دون ما تقديم الأعيان، فأيضاً على الإنسان أن لا يفرط في الشيء القليل منه ولا يزهد فيه لأنه ليس من المتوقع - دائماً - القيام بجميع الدور بل يكفي دفع العجلة بمقدار الإمكان.

فالحكمة تعطي محفزاً لأن يقوم كلٌ بدوره في إسعاف المحتاجين - مهما كان الدور ضئيلاً - لئلا تتعطل الحالة وتكثر الشكوى وتكون عندئذ من المشاكل الاجتماعية التي يتفاقم حلّها شيئاً فشيئاً والله تعالى يراقب الجميع فمن سعى بمسعى كريم كافأه أحسن الجزاء، ومَن بخل وتعطل أحوجه إلى ذلك ليجد ألم الرد وصعوبة الجَبْه والرد.

١٢٧- قال عليه السلام:

لا تصحب المائق[١] فإنه يزيّن لك فعلَهُ، ويودّ أن تكون مثله.

الدعـوة إلى انتقاء الصاحب، والصديق، والمعـاشر، واختياره وإخضاعه لاختبار أخلاقي، أُسري، عقائدي، بما يجعل الإنسان في أمان من شر الانعكاس، والأخـذ السـلبي، وانتقال الصفات السـيئة، فيخسر الفرد نفسـه عندئذ جرّاء الصاحب المعاشر.

وقـد حـذّر عليه السلام مـن صحبة الأحمـق لأنه يعاني من نسـبة خلـل عقلي بل قـد ورد تعريـف الحمـق في بعض المصـادر اللغويـة[٢] بأنه فسـاد العقل فتكون النتيجـة أشـد. فهـو وان يبدو للناظر وكأنـه متوازن التصرفـات إلاّ أنه سرعان مـا يُفْصِح عـن هويته من خلال تصرفاته ونزعاته وتوجهاتـه و رغباته مما يترك الخيـار للفـرد في قطع الصلـة أو الاقتصار على المجاملات الخاليـة من المصاحبة الأكيدة، أو المواجهة مع تحمّل النتائج الناجمة من طول المصاحبة وكثرة المعاشرة والتوطـن لذلـك، ولا يظنـنّ أحدٌ أن من الممكـن تفادي الوقـوع في ذلك بأخذ الجيد واكتسـابه وترك الرديء، لأن الكرة لا تكـون في ملعبه دائماً - كما يقولون - بل قد يتأثر تلقائياً، وعلى مرّ الزمان يتعوّد، خصوصاً إذا لم يكن الفرد ذا تجربة وخبرة يؤهلانه للانتقاء والاختيار فيقع في مطبّات تُفْقِدُه السيطرة على وضعه.

ومن المعلوم أن الصاحب والصديق يكون قوي التأثير على صاحبه الآخر لـذا يفوق أحياناً تأثير الوالدين أو الأقربـاء، فإذا عرفنا ذلك وآمنّا به أدركنا سرّ تحذير الإمام عليه السلام ودعوته إلى أن لا نصحب الأحمق الذي قد علّل نهيه عليه السلام عن

(١) الأحمق. المنجد ص٧٨٠ مادة (موق).

(٢) ينظر مثلاً المصباح المنير والمنجد.

ذلك بأنه يُحَسّنْ ويُحَبّذْ لصاحبه مشاكلته ومتابعته وتقليده على أساس من وحدة الحال، ومن الانفتاح، وسائر الضغوط التي يُعتاد ممارستها في مثل ذلك. مضافاً إلى أنه يتمنى ويحب أن لا ينفرد بالعمل لوحده بل يكون معه غيره فان كانت لائمة وسلبية في الموقف فلتكن على غيره أيضاً.

فلا بُدَّ للشباب والشابات خصوصاً مَنْ هم في سن لا تؤهلهم - مرحلياً - لاستبطان الأمور واستخبار الحقائق أن لا يعمّقوا أواصر العلاقات المدرسية أو المهنية أو في سائر المجالات الأخرى التي تكون مجمعاً للالتقاء بل يكتفي بمجرد التعارف من دون منح المزيد من الثقة لئلا يصدمه الواقع المرير والحقيقة القاسية المؤلمة فتكون عداوة بعد صداقة، وقطع بعد مواصلة، وهي خسارة وقد تشكل متاعب نفسية أحياناً كثيرة فيتعقّد من الانفتاح على الآخرين فيكون منطوياً، مع أن الحياة تريد منه الانفتاح المعقول، المدروس، المسيطَر عليه لا الانفلات.

١٢٨- قال عليه السلام:

لا تظُنّن بكلمة خرجت من أحدٍ سوءً وأنت تجد لها في الخير محتملاً[(١)].

الدعوة إلى حُسن الظن وإشاعة الثقة بين أفراد المجتمع والابتعاد عن سوء الظن والتهمة، وأن لا يفسح المجال للتحسبات السيئة وبذلك تسود الطمأنينة ويغلب جانب الخير ويشيع ويكون هو العنصر الفعّال الذي يسعى لعقد الاتفاقات بين أفراد المجتمع ولا تكون حزازات أو أحقاد أو عداوات أو ضغائن بما يجعل الصدور مدخولة بالشر والسوء وتحتفظ بالمواقف التي كانت

(١) وردت في بعض النسخ (محملاً) والمؤدى واحد.

نتيجة سوء الظن مما يؤجج الحقد ومحاولة الانتصار.

وهذا عدة آثار محمودة يعمر بها المجتمع، منها أن الكل يعيش الثقة والاطمئنان والصدق والتصديق بأجلى المظاهر من دون حاجة إلى وسائل إقناع وتأكيد، إذ قد يتغلغل من بينها الكذب والتزوير بما يجعل المظهر يختلف تماماً عن المخبَر، وعندها تسود حالة الارتياب والتكذيب وعدم الثقة وسوء الظن فلا تسري الأمور بطبيعتها بل بمؤثرات الصداقة أو العلاقة أو القوة وما إلى ذلك مما يجعل التعامل بين الأجسام والصور الخارجية لا بين الأرواح الإنسانية التي إذا تحاورت بإخلاص عمرت الأرض بالخير؛ لأن الله تعالى خلق في الروح الإنسانية تفاعلات مع الأرواح الأخرى بما يجعل حالة من الألفة والتلاقح الفكري والتلاقي ضمن أطار المحبة وعدم الإضرار مهما كان، إلاّ انه عندما طغت العناصر المادية الممقوتة تبدّلت بعض الأرواح فصارت تتفاهم على حساب المصلحة، وأساس الانتهازية، ومنظار المنفعة ولذا صار المجتمع مثقلاً بإشكالات بدأت تلقي بظلالها فافتقد الأمان والاستقرار والوثوق بالآخرين والانفتاح للقريب و.. و... بل تحوّل المجتمع - الذي يُفترض فيه أنه أسرة واحدة كبيرة - إلى تكتلات متشرذمة، البعض يؤول كلام البعض على احتمالات و وجوه قد لا يتصورها الشخص المتكلم نفسه، وفي هذا من الأثر السيئ على الأولاد والنشء الصاعد الشيء الكثير فيتعلمون الازدواجية وإساءة الظن بما لا يتناسب ومراحل أعمارهم.

فلابُدّ من أن نلتزم هذه الحكمة ليكون التفاهم والوئام والثقة فلا نحتاج إلى تأكيدات وأيمان وصكوك وأوراق ومستندات إلاّ في أقصى الحالات وأندرها، إذ يُلغى وجود ذلك كله إذا توفرت الثقة والشعور بمسئولية الكلمة والانفتاح على الغير كما هو على النفس وعدم إضمار السوء والغش وما إلى ذلك

بل يحب لغيره ما يحبه لنفسه ليكون مسلماً بحقٍ وحقيقة.

١٢٩ - قال عليه السلام:

لا تقل ما لا تعلم، بل لا تقل كل ما تعلم، فإنّ الله فرض على جوارحك كلّها فرائض يحتجُّ بها عليك يوم القيامة.

دعوةٌ إلى عدم التسرّع في الكلام والتأني قبل الجواب فإنّ عدم الجواب خير من الجواب غير المناسب لما يستلزمه من كذب وتغيير للحقائق.

وإلى عدم التسرّع في تبيان جميع المعلومات لأن بيان بعضها مورِّط، والعاقل بطبعه يبتعد عن المورِّطات.

ولا يمكن إنكار شيء؛ لأن جميع ما ينطق به الإنسان موّثق عليه بما يدينه - أحياناً - وتكون مادة تجريمه والتحريض عليه من خلال أعضاء بدنه[1].

إذن فاللازم عدم قول ما نجهله وعدم قول كل ما نعلمه بل يتوازن الإنسان بين المواقف التي ينبغي التكلم فيها أو السكوت أو قول بعض والسكوت عن البعض الآخر ليحفظ نفسه أو غيره ولو لم يلتزم بهذا لتعرض للسؤال لأنه مراقَب من حيث لا يمكنه التنصل والإنكار، ولم يُترك ليتصرف

(١) إذ قد أخذ الله تعالى عليها أن تشهد عندما يُطلب منها ذلك يوم القيامة فتُفْصِح عن كل ما ارتكبه الإنسان من خلالها وكل عضو يدلي بشهادته حسب موقعه واختصاصه والشاهد على الجميع هو الله تعالى وقد قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيهِم أَلْسِنَتُهُم وَأَيدِيهِم وَأَرْجُلُهم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُون. يَومَئذٍ يُوَفِّيهُم اللّهُ دينَهُم الحقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الحقُّ المُبين﴾ سورة النور (٢٤). وقال تعالى: ﴿اليومَ نَخْتِمُ عَلى أَفواهِهِم وَتُكَلِّمُنا أَيدِيهِم وَتَشْهَدُ أَرجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكسِبُون﴾ سورة يس (٦٥). وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنتُم تَسْتَتِرونَ أَنْ يشهَدَ عَلَيكم سَمْعَكُم وَلا أَبْصارَكُم وَلَا جُلُودكُم وَلكن ظَنَنتُم أَنَّ اللّهَ لا يَعلَمُ كَثيراً مِمّا تَعمَلُون﴾ سورة فصلت (٢٢).

مما يؤكد حقيقة اطّلاعه على كل شيء وعندما يدين العبد فإنما يدينه بإقراره لتكون الشهادة أبلغ وأثبت.

بما يحلو له فيفعل ما يريد ويترك ما يريد بل على الإنسان أن يلتزم بما افترض الله تعالى عليه من واجبات والتزامات لئلا يضيّع فرائض الله عليه.

ومن أراد التعرف على تفاصيل الفرائض فعليه مراجعة وصية الإمام عليه السلام لولده محمد بن الحنفية(١).

١٣٠- قال عليه السلام:

لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق.

دعوة إلى تقديم ما يرضي الله تعالى في سائر المواقف قولاً أو عملاً على ما يرضي الناس، فان أمكن الجمع بينهما فهو الخير وإلاّ فترجح كفة رضا الله تعالى لأنه المضمون العاقبة بينما رضا الناس يتغير بتغيّرهم وتتوزع اتجاهاته باختلاف رغباتهم وتوجهاتهم والفرد المسلم بل العاقل عموماً لا يستبدل المضمون بغيره ولا يقدِّم المتأرجح على المتوازن الثابت ومعلوم أن الله تعالى لا يرضى إلاّ الصحيح وما فيه خير الإنسان.

بينما المخلوق قد يرضى الصحيح وقد يرضى غيره، كما قد يختار ما فيه الإضرار بالغير من منطلق المصلحة إلاّ أنه تعالى منزّه عن النقائص ومن جملتها الإضرارُ بالغير.

إذن فالحكمة تمثل درساً من دروس ترسيخ العقيدة وإعطائها دوراً كبيراً لا هامشياً يتغيّر بتغير الظروف والمؤاتيات الوقتية.

ومتى رسخت هذه القاعدة لدى المسلم أمكنه التغلب على الصعاب كافة لأنها قاعدة الإيمان بالله والثقة بعدله وحكمته والتسليم له والحب فيه والتفاني

(١) راجع الجزء الثاني من كتاب مَنْ لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق ج٢ ص٣٨١ ط النجف.

من أجله.

وكل هـذه العوامـل مسـاعدة على نجاح مسـيرة الإنسـان لأنه مخلص في ولائه فيستحق الإمدادات الإلهية التي تغنيه عن المخلوقين.

بينـما لو قدّم المسـلم رضـا المخلوقين لعدم ترسـخ تلك العوامـل المؤلفة للقاعدة العقيدية فسوف يتراءى له الخذلان في جميع مرافق حياته ويتصور له في كافـة مجالاته؛ لأن التوفيق والوصـول إلى المطلوب إنما هو بتقديم رضا الله تعالى وقد انعكسـت الحالة عند هـذا الفرد فواجه مصيراً مؤسـفاً. إذ قد خاف مخلوقاً ولم يخف الخالق!!.

١٣١ - قال عليه السلام:

لا غنى كالعقل، ولا فقر كالجهل، ولا ميراث كالأدب، ولا ظهير كالمشاورة.

يبين عليه السلام في هذه الحكمة أموراً قد تخلّى عن التمسك بها الكثيرُ من الناس لحسـبانهم أنها من الماضي الغابر الذي لم يعـْد نافعاً في عصرهم فأراد عليه السلام إعادة الرونق والنضارة لها والكشف عنها بما يجعل المتصف بها عارفاً بأهميتها وقيمتها المعنوية.

١ - **العقل**: إذا تم للإنسـان أن يدرك الأشـياء بواسـطة (نـور روحاني به تدركُ النفسُ ما لا تدركه بالحواس)[1] فانه سيتمكن من معرفة الأشياء المواجهة معرفةً أقرب ما تكون للصواب والدقة ويكون قوياً في إصدار الأحكام والجدل في القضايا لأنه يسـتند إلى ذلك المصدر الوثيق الذي يكشـف عن الأمور كشـفاً

(١) المنجد ص ٥٢٠ مادة (عقل). وقد تقدم نقل بعض التعريفات للعقل في شرح الحكمة (١١) فراجع.

دقيقـاً فإذا كان كذلك فهو غني بفكره ومصدر تحريكه للأمور فلا يشـكو عوزاً في اسـتيعاب القضايـا حتى لـو كان فقيراً بالحسـابات المادية ولغـة الأرقام لأن العقـل يهديه لاسـتحصال المال - المشروع طبعاً - بينما الذي يحـوز المال الكثير وهو مفتقر للعقل لا يمكنه - دائماً - الاسـتهداء لشيء أو حلّ مشـكلة بواسـطة المال، وإذا أمكنه ذلك فهو بواسطة شراء العقول والاعتماد عليها فهو فقير عقلياً وان حسـب نفسـه ممن يملك عقـلاً. وفي هذه الفقرة من الحكمة تسـكينٌ لآلام الفقـراء ذوي الطاقات المبدعة وشدٌّ على سـواعدهم ليتواصلـوا في كفاح الحياة ليحققوا الانجازات الممكنة وان تجاهلهم الأغنياء فهم ينتظرون من الإمام عليه السلام هذه اللفتة والتقدير لا أحد سواه.

٢- **الجهل**: ضد العلم بالشيء وهو من المعلومات الواضحة.

وقـد تبـين مما تقدم أن الجهل يعني الحاجة والعـوز وعدم الكفاية، وذلك باعتبـار المقابلـة بين العقـل الذي يعني العلـم والانفتاح والمعرفـة، وبين الجهل الـذي هـو مقابلهـا ولذا كان في اختيـار التقابل بـين كلمتي الغنـى والفقر وبين كلمتـي العقـل والجهل - كان - حُسْـن بلاغي لـه أثره اللطيـف في ربط المعاني وإيصالها إلى الذهن بحيث يتأثر بها السامع ليقتنع بها.

فالجاهـل ولو كان غنياً بلغة الأرقـام والمقتنيات، هو الفقير حقاً والمحتاج واقعـاً. ولا يحسـبنّ في وقت يمرّ عليـه انه من الأغنيـاء لأن الغنى الصحيح هو الثراء العقلي كونه الذي يقوّم الأمم ويهدي الشـعوب ويحقق الآمال ويهدف إلى تحقيق المنافع وتوسيع قاعدة المصالح وليس ذلك كله بالمال وإن تمّ بعضه بالمال فهو باعتباره أحد الوسائل لا أهمها.

٣- الأدب: أن يكـون لدى الفرد محاسـن الأخلاق ومكارمها وأن يتعوّد فيتطّبـع عـلى ذلك بحيث ينشـأ ويظل على ذلـك التطبع حتى يكـون طبيعة من

خصائصه الذاتية.

ومـن هذا الشرح المبسـط للأدب المقصود في الحكمـة هنا يتضح وجه أنه خـير مـا يورثه الإنسـان لأبنائه والجيل الناشـئ من بعده لأنه يغذيهم المحاسـن والمـكارم ويربيهـم حتى يتعودوها وتكون شـيئاً عاديّاً وطبيعيـاً ومن دون كلفة عليهم بل ينطلقون فيه من ارض القناعة والتصديق الأكيد بالفائدة.

وبهذا يكون قد ساعد على إصلاح المجتمع وإسعاده وتعمير بعض جوانبه المهدَّمة باندفاع غالب أفراده نحو الماديّات بما جعلهم مهملين للمعنويات والتي منها محاسن الأخلاق ومكارمها وكل فضيلة، فخوت قلوبهم وتباثسوا ولم يظهر عليهم أي أثر للتقدم والسعي الحثيث الذي قدّموه في سبيل الوصول إلى هدفهم المادي.

فـكأن الحكمة في هـذه الفقرة تتوجـه نحو الأولاد الذيـن لم يحصلوا على قـدر مـن الميراث المـادي كما هو شـأن البقية، فتصـور الأمر بأن الأمـوال زائلة مهـما كانـت وبلغت بينـما الأخلاق الراسـخة في النفوس والتربيـة الصالحة هي التـي تبعدهم عن السـجون ودور الإصـلاح ومراكز التأديب وهـي التي توفر لهـم العيش الكريم وهـي التي تحفظ لهم الصـورة الناصعـة والمحترمة في أنظار الآخريـن وهي.. وهي... مما يطول بتعداده الكلام وهو معلوم لكل من كان له قلب أو ألقى السـمع وهو شهيد بما يجعله في عداد الأساسيات التي لا نقاش في ثبوتها.

٤ – **المشاورة**: هي مفاعلة من المشورة بمعنى بيان وجه الصواب وتقديم النصيحة، وقد قال عليه السلام كما يأتي شرحه ان شاء الله تعالى في الحكمة (١٦٢) (مَن استبد برأيه هلك ومَن شاور الرجال شاركها في عقولها) مما يدل ويؤكد على نقطة حساسـة يغفل عنها الكثير مكتفيـن بتجاربهم ومعلوماتهم وأحياناً اسـتبدادهم

وتسرعهم وهو الذي يغيّر مجرى الأحداث إلى حيث الورطة وصعوبة التلافي عندئذ.

بل ينبغي للعاقل أن يعتمد رأي أحدٍ ويستند إلى خبرة خبير ولو بمجرد العلم بوجوه الآراء وتوجهات الأشخاص ومديات أنظارهم ومستويات أفكارهم وأطروحاتهم للحلول المناسبة والحالة المعينة، وبعدها فلو لم يجد أياً منها مقنعاً للعدول عن رأيه أمكنه الوقوف عند رأيه والعمل به من دون ما تقيّد بآراء الآخرين لأن مَنْ يسدي النصيحة ولا يقصّر في إبداء الرأي ويستجيب للإشارة عند طلبها منه إنما يقدّم حصيلة خبرته في الحياة، وعصارة أفكاره، وغاية ما توصّل إليه وهو غير متهم بشيء؛ لأن المفروض أنه قد تقدّم إليه المستشير بطلب الإشارة وإبداء المشورة فأشار حتى سميت مشاورة فلا بُدَّ من التوقف جيداً عند قوله وعدم التعجّل بالرفض أو اتخاذ قرار معاكس في تعامله مع القضايا لأن ذلك هو الحمق بعينه وقلة الحكمة بل انعدامها.

ولهذه الأهمية عبّر الإمام عليه السلام بأنه لا ظهير كالمشاورة والظهير هو المعين(١) فلم يعبّر بذلك عن الأموال التي يكنزها الإنسان ويحتفظ بها للشدائد ولم يعبّر عن الأولاد الكثيرة أو العشيرة والأتباع أو عن الجاه والمنصب وقوة التأثير و.. و....، بل قد خص المشاورة بذلك الوصف الدقيق لنعرف أهميتها في نضج القضية المطلوب التوصّل إلى حلّها.

إذن فالدعوة إلى تعظيم شأن العقل وأن لا يستقله الإنسان أن رُزق به.

وإلى التخلص من الجهل مهما أمكن لأنه فقر يلاحق حتى الغني.

وإلى اكتساب الأدب والتحلّي به والمحافظة عليه وتعميمه للأتباع.

---

(١) المنجد ص٤٨٢ مادة (ظهر).

وإلى عدم الاستبداد بالرأي بل بالتروي وطرح القضية على بساط البحث والنقاش لتتمخض المناقشة عن أفضل الحلول للقضية.

ولو اتبعنا ذلك في حياتنا وحاولنا - ولو جاهدين - تطبيق بنودها لعرفنا الطريق إلى تحصيل الغنيمة من دون ما جهد.

١٣٢ - قال عليه السلام :

لا قربة بالنوافل إذا أضرّت بالفرائض.

يحرص الكثير من الناس على القيام ببعض الأمور الثانوية بينما يتقاعس ويتماهل عن الأساسيات بما يجعله يخسر الثمرة ولا يربح من أتعابه شيئاً يذكر يستحق كل ذاك الجهد الجهيد، وهذا أمرٌ منطقي في جميع المجالات يصح الحكم به حتى في العبادات، فالكل يعرف أن الله تعالى أوجب الصلاة والصوم والحج والزكاة والخمس والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر و موالاة آل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعاداة أعدائهم، مضافاً إلى برّ الوالدين وصلة الرحم وصدق الحديث وأداء الأمانة والإنفاق على النفس والزوجة والولد، والوالدين - أحياناً - وحفظ الجوار والإنصاف والعدل وغير ذلك.

ولكن قد يتجاوز ذلك ليأتي بما هو أقل أهمية فمثلاً يصرف الوقت الطويل أو المال الكثير في تأدية الصلاة المستحبة أو المبرّات والمشاركة في المشاريع الخيرية إلاّ أنه في الوقت ذاته لا يُحسن أداء الصلاة بالشكل المطلوب المجزي، أو لا يؤدي الحق المفروض في أمواله المنقولة وغيرها، النقدية والأعيان، فيقصّر من هذا الجانب الذي سيحاسب عليه حتماً والذي لا يسد مسدّه ذلك العمل المستحب، الذي إنما يؤتى به لأجل تتميم نواقص الواجبات وترميم الوضع العام ليحصل على نتيجة ثواب أجزل وأفضل، ولذا فإنّ النافلة تتدارك الفريضة

من حيث الملاك لا الامتثال، فمن لم يؤدِّ أصلاً أو تسامح مكتفياً بالنافلة استحق على ذلك المساءلة بل العقوبة.

فلم تبق هناك فائدة ولم تكن مقرّبة ولا نافعة لأنها قد ألقت بضلالها على الواجبات المفروضة فأدت إلى إعدادها إعداداً ناقصاً مما يعني عدم الامتثال المسقط للتكليف.

وكذا مَنْ يعين المحتاجين ويترك والديه أو قريبه، أو مَن ينفق على أصدقائه ويمسك عن عائلته مع أن الإنفاق عليهم واجب، أو غير ذلك من الأمثلة التي تدخل تحت عنوان النوافل، جمع النافلة وهي: (ما تفعله مما لم يُفرض ولم يجب عليك فعله)[(١)] أو كل (زيادة على الفريضة)[(٢)]، وتحت عنوان الفرائض، جمع الفريضة وهي: (ما أوجب الله على عباده)[(٣)].

فلابُدّ من الاهتمام بتأدية الفرائض في جوانب الحياة المتعددة ثم إتمامها بالنوافل والأعمال التي يؤتى بها تقرّباً لله تعالى وطلباً لمرضاته واستزادةً من الأجر والثواب الأُخروي.

إذ ليس من المهم استقصاء النوافل بقدر ما يهمنا امتثال الفرائض لأن هذه تستعقب العقوبة وتلك تستعقب الأجر والمثوبة والمهم عقلاً دفع العقوبة إذا زاحم جلب المثوبة.

---

(١) المنجد ص٨٢٨ مادة (نفل).

(٢) المصباح المنير ج٢ ص٨٥٠.

(٣) المنجد ص٥٧٧ مادة (فرض).

١٣٣ - قال عليه السلام:

لا يترك الناسُ شيئاً من أمر دينهم لاستصلاح دُنياهم إلاّ فَتَحَ اللهُ عليهم ما هو أضرَّ منه.

تحذير من التمادي في التعدي على الأوامر الشرعية والخروج عن خط الالتزام بالضوابط والأحكام اللازم اتباعها على المسلمين؛ لأن الإسلام والالتزام به كدين وعقيدة يقتضي التعهد التام بعدم الخروج وبعدم الانفلات عن القيود المفروضة وذلك كما هو الحال في سائر الأديان أو المبادئ ولو الوضعية فإنها تحدد مسار المتبعين ضمن الخطة المرسومة وإلاّ فيستحقون الجزاء المفروض في مثل الحالة المرتكَبَة.

ولا بُدَّ للإنسان أن يفهم جيداً ويقتنع تماماً ويوقن يقيناً ثابتاً لا يخالطه أدنى شك بأنّ أمر الدين مقدّم على أمر الدنيا فلا بُدَّ من إعطائه الأولوية، وعدم التفريط فيه أو التسامح في أداء ما يحتمه الالتزام الديني بل يجب أن يؤدي حق الدين كأحسن ما يكون وإلاّ فإنه يحكم على نفسه بالخسران لأن الجانب الديني مهم جداً ولا يمكن التساهل في تقديم غيره عليه؛ لأنه يعني عدم صدق الإيمان والعقيدة من الداخل وهذا ما لا يصح من الفرد المسلم.

وهذا لا يعني إغفال الدنيا والزهد فيها بل هي مكملة للدين وفي المرتبة اللاحقة بحيث يصلح أن يكون كلٌ منهما جزءً يتمم الآخر مع تقدم ذاك الجانب لأولويته المذكورة، وعندئذ فلا يصح عقلاً أن يفرّط الإنسان فيما هو الأهم، والأسبق رتبة، والذي يتكفل بمعالجة قضايا يعجز عن معالجتها غيره ليقدَّم عليه ما هو زائل، ومؤقت؛ لأن الدنيا بحسب النظرة العامة تمثل المحطة، وحقل التجارب، وساحة الانتظار، والموصل إلى ما هو أرجح وأنفع ومن المؤكد المعلوم

لكل أحد أن هذه ظروف مؤقتة لا يمكن القياس عليها.

فإذا لم يقتنع أحدٌ بما تقدم فقدّم الدنيا لعدم فهمه تقدّم الدين بل قد يعتبره عائقاً أو عاملاً مساعداً على تقليص الحالة الانشراحية في الدنيا بما يجعله شيئاً عسراً في مرحلة انسيابية الدنيا والتعامل فيها فيكون جزاء هذا أن يواجه حالات من المصاعب والمشاق ما يجعله يندم على تمرّده وعلى تقديم المصلحة الزائفة، إذ كان يمكنه الجمع بينهما بأن يقدّم ما قدّمه الله تعالى و يهتم بأمر الدين كشيء له أولويته و أهميته مع تمتعه بالدنيا وما تفتحه من عالم فسيح رحيب لا يتنافى مع خط الدين ولا تكون بينهما أية معارضة على الصُعُد كافة؛ لأن الله تعالى حكيم في أفعاله لم يخلق الدنيا عبثاً أو لتكون مصدر تعب ومساءلة للخلق بل ليُظهروا طاعتهم ومكامن الإبداع في نفوسهم بما يلتقي مع خط التعاليم الشرعية لتعمر الأرض بالتوحيد والإيمان ولتظهر للخلق مظاهرُ عظمته تعالى وقدرته و عجز غيره عن الإحاطة بالأسرار الدقيقة التي جعلها في المخلوقات العجيبة الكائنة في الدنيا.

كما أنه لم يجعل التعاليم - بما تحمله من الأوامر والنواهي على اختلاف درجات تركيزها وشدة أو ضعف الإلزام بها - لتكون مصدر قلق للإنسان في الدنيا، بل لتكون مرشداً له يساير من خلالها الحياة بأبعادها كافة المتجددة يوماً فيوماً ولتكون مصدر حماية له لئلا يتعرض للعوادي ولو النفسية التي يعبّر عنها بالنفس الأمّارة بالسوء فتسوّل له ارتكاب محظور أو التسلط على محظور مما يجعله في دائرة المحاسبة والمساءلة.

١٣٤ - قال عليه السلام:

لا يُزَهِّدَنَّك في المعروف من لا يشكرُ لك، فقد يشكرك عليه مَن لا يستمتع منه، وقد تُدرك من شكر الشاكر أكثر مما أضاع الكافر[1] والله يُحبُّ المحسنين.

قد يواجه الإنسان المحسن الذي أدمن فعل المعروف وتعوّد على عمل الخير بعض الصعوبات بحيث تُعَكِّر عليه صفوه ولا تشجعه على الاستمرار بل تثبطه عن ذلك لأنه يُقابَل بالنسيان والتجاهل وهو ما يصعب على الإنسان غالباً فتثور ثورته الداخلية ويقارن بينه وبين غيره الذي لم يفعل المعروف فيراه يُحترم ويُذكر وقد تفتعل له مواقف فيُشكر عليها مع أنها لم تصدر منه، بينما يرى نفسه منسي المواقف حتى تُكفر مواقفه، وتُنسى وتُتجاهل، وتغلب عليها قضايا أخرى من الحساسية، والمشاحنات، ونكران الجميل.

وهذا كله مما يجعل البعض زاهداً، غير راغب في عمل المعروف بل يفضّل الانصراف عنه، ومقاطعته، لعدم التلقي المناسب، ولما يتحمله من مشاق نفسية من جرّائه، فيعلن مقاطعته، وعدم قيامه بعمل المعروف بعد ذلك وفي ذلك من الآثار السلبية على المجتمع ما حفّز الإمام عليه السلام لتوجيه كلمة في المقام لتكون علاجاً وتهدئة للنفوس وتطييباً للخواطر لئلا تقلّ فرص عمل المعروف أو تنعدم من قائمة أعمال بعض الأفراد لشدة صدمتهم وأليم تأثرهم النفسي مما صادفهم، فكانت هذه الحكمة: بأنّ على الإنسان أن لا يعزف تماماً ويتعقد من فعل المعروف لو لم يتلقَ الرّد المناسب، بل من المؤكد بأنّ الله تعالى يشكره ويتلقاه بالقبول فيمنحه التوفيق ويمدّ العبد الفاعل بكل ما يجعله متميزاً متقدماً في

(١) الذي جحد النعمة وتناساها وهو ضد الذاكر. ينظر المصباح المنير والمنجد وغيرهما.

مسيرة الحياة المليئة بالعثرات، مع أنه تعالى غير محتاج إلى ذلك.

بل أحياناً لم يكن الدافع وراء العمل التقرّب له تعالى وإنما هو لغايات خاصة ولكن مع ذلك يتولى الأمر بلطفه وتفضلّه ليشجع المحسنين ويجعلهم يتواصلون في ذلك الطريق المحبوب لديه والمفضّل عنده، إذ به تعمر الدنيا وتستمر الحياة متواصلة بالرغم من المصاعب والمشاق التي تفرزها أعمال العباد بكل ما فيها من سلبيات تجعل الدنيا في ضنك، وفي سبيل تغيّر، وانقلاب حال إلاّ أن تلك الأفعال الحسنة وأعمال المعروف تخفف الوطأة وتساعد على تمرير المشكلة.

هذا لمن يكتفي بشكر الله تعالى له، وأما مَنْ يتوقع ذلك من العباد فأيضاً يتهيأ له مَنْ يشكره على عمله الحسن والايجابي ولو لم يكن منتفعاً به بل ليشجعه على الاستمرار والمواصلة، إذن فالشكر حاصل ولو لم يكن من المنتفع ذاته فلا بُدَّ من المضي قدماً في طريق فعل الإحسان وعمل الخير من دون تعلل بعدم الشكر لأن فعل الإحسان وعمل الخير مما يحبه الله تعالى ولذا يهيئ للمحسن ألسنة الثناء والشكر بمختلف الوسائل ومن مختلف الأفراد لكي يداوم على ذلك ولا يمنعه إغضاء المنتفع وتناسي المستفيد وقد أكدّ الإمام عليه السلام بأنّ ما يصل لفاعل المعروف من الجزاء الأوفى خيرٌ بمراتب ودرجات مما مُنع عنه.

وفوق كل تلك التطمينات والضمانات كانت البشارة بأن هذا الإنسان محسنٌ والله تعالى يحبّه، وهذا ما لا يُدركه إلاّ سعيد الحظ ومَنْ أراد الله تعالى به خيراً.

١٣٥ - قال عليه السلام:

لا يستقيم قضاء الحوائج إلاّ بثلاث: باستصغارها لتعظُم، وباستكتامها لتظهر، وبتعجيلها لتهنؤ.

إنّ من الأمور التي تتغلب - أحياناً - عند الإنسان حبّه لذاته بشكل يؤثر على غيره ومن ذلك انه لو توفّق لأن يساعد أخاه الإنسان في انجاز أمر مهم، وتتميم عمل ناقص، وإزاحة مشكلة عالقة، فانه يستعمل أدوات (الأنا) التي تتضخم لديه في مثل هذه المواقف فيبدأ بالتحدث عما أنجزه مع أنه قد يضرّ غيره بذلك، كما انه يذكره مستعظماً له متبهراً منه، وفي حالات عديدة يكون بطيئاً في انجازه للعمل؛ إذ انه لم يعانِ من وطأة الحاجة إلى التسريع والتعجيل. وهذه أمور تحول دون قضاء الحوائج لما في كل أمر منها من الحساسية بالنسبة للآخرين، لما يستلزمه من المنّة أو التباهي أو التباطؤ.

وهذا مما يتفق حدوثه أكثر من مرة، مع شخص واحد، ومن شخص واحد، وفي حالة واحدة مما يسبب الاستياء والتذمر من قبل الآخرين، أو الانكسار من بعضهم لما يجرّه من تشهير بحاجتهم واحتياجهم، أو الشعور بالفخر والتعالي والإعجاب بالنفس مما يساعد على الغرور الذي هو من الآفات الأخلاقية التي تضيّع على الإنسان فرص خيرٍ كثيرة وأعمالاً جليلة.

فلذا بادر عليه السلام يدعونا إلى ضرورة الابتعاد عن تضخيم الأمور واعتبار ما أُنجز وما قُضي أمراً عظيماً بل يجب أن يعتبر كشيء اعتيادي لم يتسم بطابع سوى انه طبيعي وعندها سيكون له أثره التام في النفوس فيعظُم لوحده، مضافاً إلى ضرورة عدم إشاعة ذلك ونشره بل التستر عند العمل حفاظاً على مشاعر الغير لئلا يشعر بالضعف والحاجة وعندها سينتشر من حيث لا يعلم فيكون

مادة دعاية ومصدر احترام فهو قد حفظ الغير فحفظه الله تعالى، إذ انه تعالى متكفل بحفظ حرمات المؤمنين جميعاً ولذلك عدة صور ومظاهر بما يجعلهم في مأمن من التشهير وتعريف الغير بوضعهم المتدني ومَنْ يكون محافظاً كذلك على حرماتهم يجزيه تعالى بان يجعل له ذِكْراً حسناً بين الناس بما يغنيه عن مصدر دعايته الخاص.

مضافاً إلى ضرورة التعجيل والإسراع لأن صاحب الحاجة يكون في أَمَسِّ الأوقات إلى انجازها من أي وقت فلا بُدَّ من مراعاة مشاعره وحساب مصلحته الشخصية وإتمام جميل المساعدة بالصورة التي تمكنه من الوصول إلى هدفه بالوقت المطلوب، لا محاولة المماطلة والتماهل والتباطؤ بل على الإنسان الذي توفق لانجاز الأمر أن يحسب الأمر كما أنه له فمِنْ المؤكد أنه يرغب عندئذ بانجازه بأسرع وقت، فعليه أن يكون شعوره مقارباً إن لم يكن كذلك –واقعاً– عندما ينجز الأمر لغيره. إذن فالدعوة إلى:

أن تسود روح الأخوة.

ونبذ مظاهر المنّة والتباهي وكل ما من شأنه التشهير بالآخرين بما يحرجهم اجتماعياً.

وانتظار الجزاء الأوفى من الله تعالى.

وأن لا تستغل فرصة للظهور والمعرفة الاجتماعية وان في ذلك مجالاً لحسابات معينة، لئلا يضرّ بالثواب المعدّ لأمثال العمل.

١٣٦ - قال عليه السلام:

لا يصدق إيمان عبدٍ حتى يكون بما في يد الله[١] أوثق منه بما في يد غيره.

في هـذه الحكمة توجيه مهم نحتاج إليه في حياتنا المعاصرة فإنّ الكثير ممن يعتمد في تدبير شئون حياته على كدّ يده أو على ما يفكر به بحيث يدرّ عليه المنافع المادّية أو على علاقاته الأخر، يتناسى مصدر الخير المطلق وهو الخالق تعالى، فلابُدَّ له إذن من أن يتوكل عليه سبحانه ويثق به ولا يتكل على مجهوده الشخصي من دون ما عون إلهي ولو بالتوفيق والرفد بالنجاح في مجالات الاختيار ومواقع العمل لأن الاعتماد على الله تعالى والثقة به من أساسيات إيمان العبد بخالقه.

هذا كله بعد أن يقوم العبد بانجاز ما عليه لكي يفوز بنتيجة مرضية يكللها توفيق الله تعالى له وتسديده وتأييده بما يجعله متقدماً في ميادين الحياة.

ولعلّنا نستخلص من هـذه الحكمة رداً على أولئك المرتادين لأماكن المشعوذين الذين يوهمونهم بأمور لا واقع لها ولا نصيب لها من الصحة فقد يرسمون لهم خارطة حياتهم متكاملة مع أنهم يعجزون عن ترفيع مستواهم المعاشي، الاجتماعي، أو معرفة ما تحت أقدامهم وما في غد بما يجعلهم في مستوى أرقى وأليق من كونهم عرّافين، قارئي الكف، الفنجان.

فعلى المؤمن أن لا ينخدع بذلك ويسترسل مع الأوهام التي لا توصله إلى

(١) تعالى الله عن أن يكون جسماً، فالمقصود باليد القدرة والقوة والنعمة، وقد عبّر بها كذلك حتى في القرآن الكريم لما تعطيه من دلالات يفهمها العربِ إذ كانت تستعمل عندهم اليد للقدرة ولما يكون به التسلط على الأشياء والتمكن منها تنزيلاً لما يتمكن منه ويقدر عليه منزلة ما في اليد العضو (الجارحة).

شيء بـل عليه أن يؤكـد إيمانه بالله وقدرته وانقياد الجميـع لإرادته فلا يكون إلاّ ما شـاء تعـالى وفق حكمته المتعاليـة، ﴿وَمَا تَشاءُونَ إلاّ أنْ يَشاءُ اللهُ إنَّ اللهَ كانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾[1].

١٣٧ - قال عليه السلام:

لا يُعدم الصبور الظفر وإن طال به الزمان.

وعدٌ بأن الذي يصبر على نوائب الدنيا بمختلف أشـكالها وأبعادها المؤلمة سيصل إلى مطلوبه ولو بعد حين فلا ييتئس لطول المدة ولا يظنّن أنه من المنسيين بل عين الله ترعاه، وقد سُجِّلَ في قائمة المظلومين الذي تكفَّل الله تعالى بنصرتهم ولكن بشرط التسليم والانتظار، لما يجهله من مصالح تخفى على مستواه الفكري لأنـه محدود الأفق مهما كان مفكراً ويزعم لنفسـه أفقاً واسـعاً. فإذا جاء الوقت المناسـب سـيتمكن من المرام وتتحقـق كل المنى والأماني فعليـه أن لا يجزع ولا يتجاوز حدود الأدب في التعامل مع الله تعالى.

وهـذا وعـد وضـمان من عاقـل مجـرب فضلاً عـن كونـه تلميذ رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي لا ينطق عن الهوى إنْ هو إلاّ وحي يوحى فعلينا أن لا نتجاوز مرحلـة العبوديـة في تحركاتنا اليومية ضمن إطار الحيـاة فنجزع ونعترض ونريد إنجـاز كل شيء سريعـاً ونرغب بإنزال العذاب فيمن آذانا لأن لكل شيء حد لا بُدَّ من بلوغه حتى يكون في محله المناسب.

---

(١) سورة الإنسان (الدهر)، آية (٣٠).

١٣٨ - **قال عليه السلام:**

لا يقلُّ عملٌ مع التقوى، وكيف يقلُّ ما يُتقبل.

الدعـوة إلى التقوى ومجانبة المحرمات لنكون من المتقين حقاً لا مجرد رفع الشعارات التي يُعتاد رفعُها لدى قطاع المتدينين بما يجعل القضية تدور ضمن إطار العادة والاعتياد بل لا بُدَّ أن نكون صادقين فيما نقول، مستعدين للتطبيق غير متنازلين عن المبدأ مهما حصل لنكون حقاً من المتدينين المتقين وإلاّ لأصبح الاسم غير مطابق للمسمى ولكانت التسمية أقرب إلى الادّعاء منها إلى الواقع والحقيقة.

فلا بُدَّ أن لا يعتبر العمل قليلاً أو صغير الحجم أو من دون بذل مجهود كبير فيُستقل لذلك لأن العمدة القبول والتوصل من خلال العمل إلى رضا الله سبحانه والبركة والتوفيق وسائر ما يتمناه لأنه عندما يُقْدِمُ على عمل ما فأنه لولا المحفزات القبولية لما كان متشجعاً نحو إنجاز العمل.

إذن فالهدف هو القبول، والقبول مقرون بالتقوى، وقد قال تعالى: **﴿إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ المُتّقِينَ﴾**(١)، فإذا قُبِلَ العمل فهذا أقصى المُنى وإلاّ فما الفائدة من الكثرة(٢).

---

(١) سورة المائدة، آية (٢٧).

(٢) قد يدور في ذهن البعض في لحظة ضعف يواجهها من نفسه وأمامها فلا يهتم بالمعروض عليه على أساس قلة حجمه أو عدم الكلفة فيه وقد افترض في نفسه القيام بالصعاب والمهمات وهذا عمل قليل غير صعب فيوكل القيام به إلى غيره ممن هم اقل قدرة منه، ونحو ذلك مما يفكر به البعض بل ويتعاملون على أساسه وكأنهم قد اختاروا لأنفسهم مواقع معينة يخدمون من خلالها أنفسهم والمجتمع من حواليهم غير مبالين بما هو أهم وأهم من القبول والوصول، ولكنهم قد تناسوا الهدف الأسمى الذي يسعون إليه ألا وهو القبول وهو ما لا يحصل إلاّ مع تقوى العبد وورعه عن محارم الله وخوفه من الله عز وجل.

فالدعوة إلى أن يقرن الإنسان أعماله بإرادة رضا الله تعالى ومسايرة التقوى في جميع الأمور بما يجعل الأمر وفق المقاييس الشرعية وإلاّ فلا يقبل مهما كان حجمه أو تأثيره لأن المدار والاعتماد على المقبول من الأعمال لا غير، فليكن همّنا قبول أعمالنا لا كمية أعمالنا، والقبول لا نحرزه إلاّ بالتقوى، وفقنا الله تعالى لذلك.

١٣٩ - قال عليه السلام:

لا يُقيمُ أمرَ الله سبحانه إلا مَن لا يُصانعُ[1]، ولا يُضارعُ[2]، ولا يتّبعُ المطامع.

أعطى الإمام عليه السلام صفات الإنسان المثالي الذي يمكنه إقامة حكم الله تعالى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويسيطر على ذلك الأمر الخطير سيطرة متكاملة بما يحجّم المنكر بأشكاله وصوره كافة ويجعله محدود الانتشار وهذا الإنسان المثالي لا بُدَّ من أن يكون:

أولاً: غير محابٍ ولا مجامل ولا مدارٍ ولا مداهن ولا متنازل على حساب مبدأه ودينه وما يأمره به من الاستقامة.

وثانياً: غير خائف من العواقب وغير خاضع لأحد حتى تبقى هيمنته في القلوب والخوف منه في النفوس ولا يخشى سطوة أحد أو سلطان متغلب بل يحيا وكأنه لوحده لا يرى سوى الله تعالى ليكون أقدر وأقوى إرادة وعزيمة على تنفيذ الحكم الإلهي في حق أيٍّ كان.

وثالثاً: أن يكون نزيهاً بعيداً عن الإغراءات المادية والميول نحو شيء لأنه

---

(١) صَانَعَ مُصانعه، صانَعَهُ: داهَنَهُ، داراهُ. المنجد ص٤٣٧ مادة (صَنَعَ).

(٢) ضَرَعَ إليه: خضعَ وتذلل. المنجد ص٤٥٠ مادة (ضَرَعَ).

لو كان غير ذلك فمعناه سهولة التغلب عليه ولو من خلال رغبة مؤقتة كما هو شأن قضاة وحكّام المتنفذين والمتغلبين كأنهم يدارون مناصبهم ومراتبهم ومرتباتهم الجارية من الأموال أو النفوذ وما إلى ذلك مما يسيل له لعابه فيعرض عن دينه ويتوجه بكامله نحو مطامعه.

فالدعوة إلى الاستقامة والاعتدال وعدم الانحناء أو الخضوع أمام المغريات؛ لأن ذلك يفسد القضية ويحكم عليها بالفشل والخسران ولا يمكن إقامة العدل على وجه الأرض. فالحاكم إنما يستمد القوة والجرأة وإمكانية مواجهة المنحرف، بما يمتلكه في داخله من إيمان وعقيدة وتصميم على التنفيذ لأدق التفاصيل وعدم التخاذل أو الانخذال النفسي أمام السطوة والقوة وما إلى ذلك مما يتبع مع أمثاله.

ويمكن استيحاء الشمولية في الأفراد المنطبق عليه وصف المقيم لأمر الله تعالى فلا يقتصر فيه على الحاكم والقاضي والمنفذ ورجل الدين والشريعة وما إلى ذلك بل يشمل رب العائلة ومعلم التلاميذ ومربي الأجيال وكل مَنْ يمكنه إيصال صوت الحق إلى أفراد معينين فإنه يجب أن يتحلى بقوة الشخصية وعدم الخنوع لأحد وعدم الخضوع أمام المغريات ليتمكن من قول الحق وتطبيقه من دونما تأثير أو غلبة.

١٤٠ - قال عليه السلام:

لا يكون الصديق صديقاً حتى يحفظ أخاه في ثلاث: في نكبته، وغيبته، ووفاته.

للصداقة أحكام والتزامات وتحفظات قد يغفل عنها الكثير فيطلقونها على تعارفهم الاجتماعي وعلى زمالات العمل أو الدراسة أو مراحل الحياة الأخرى

التي يمر بها الإنسان، بينما الصداقة مشتقة من الصدق والود والنصح[١] يقال صادقته المودة والنصيحة[٢] وقد فسرت الصداقة بالمحبة[٣] مما يعطيها معنى دقيقاً يختلف عن المستهلك المبتذل القائم على المصالح واستنزاف الأطماع والمطالب، ولهذه الالتزامات والشروط بين عليه السلام كيف يكون الإنسان صديقاً وما يتحقق به مفهوم الصداقة.

أولاً: أن يعينه فيما ينوبه من مشكلات وهموم ويساعده في تجاوزها ويخفف عنه مهما استطاع فلا يتخلى عنه ولا يتركه لوحده ولا يساعد عليه ولا يتشمت به ولا يتنصل من الصداقة والمعرفة الشخصية لان ذلك من علامات ضعف الشخصية واهتزاز البناء الداخلي للذات وإلا لقاوم وتحمّل إزاء صاحبه ومَن كان يعتبره صديقه.

وحالة النكبة تعني حلول المصيبة[٤] وهو ما يحتاج فيه الإنسان لمن يسليه ويواسيه وينسيه ما حل ونزل به ليقاوم ويواجه بصلابة من دون ما انهيار نفسي أو جسدي؛ لأن ذلك من موارد الامتحان والشهامة وما من أحد إلاّ وله أعداء ومبغضون يتمنون وقوعه في محنة ومعاناة ليأخذوا دورهم المناسب في القيل والقال وإشاعة الخبر وترويج الأخبار الكاذبة المغرضة كأحد وسائل الحرب النفسية والإعلامية المضادة لإضعاف قدرات الطرف الأخر.

ثانياً: أن يتساوى حال الحضور والغياب ففي الكل يبقى مناصراً له محافظاً على المحبة والود فلا يطعنه بكلمة أو فعل أو أيّ شيء يسيء إليه وهذا لا يعني السكوت عن الحق أو المعاونة والمؤازرة حتى في الباطل بل المفروض أن هذه

(١) انظر المصباح المنير ج١ ص ٤٥٨ مادة (صدق).
(٢) انظر أساس البلاغة ص ٣٥١ مادة (صدق).
(٣) القاموس ج٣ ص ٢٥٢.
(٤) انظر المصباح المنير ج٢ ص ٨٥٨ مادة (نكب).

التجاوزات الشرعية بعيدة ولم تدخل معترك النزال وإلاّ فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وتتقدم نصرة الحق على الباطل ولو كان على حساب الصداقة.

ومما يكثر وجوده في الصداقات العامة العائمة غير المرتكزة على مركز الصدق والحق، أن يكون الاندفاع مقتصرا على حضور الشخص وما عداه فلا مانع من الإصغاء أو المساهمة فيما ينال منه من كلام أو تعريض، وهذا مما يعكر صفو العلاقات ويجعلها مجاملات فارغة. كما هو المفترض في مبدأ اشتقاقها، وقد يعدّ البعض هذا اللون من الازدواجية في التعامل أحدَ أنواع الشطارة والقدرة على المراوغة وكسب الناس و.. و... مما يتوهمونه، مع أنه بعيد عن ثوابت القيم والمبادئ، بل تبرز القدرة في المحافظة على تلك الثوابت.

ثالثاً: أن يكون وفياً حتى بعد وفاته سواء كان الوفاء لذكراه، لعائلته، لأولاده، لأقربائه، لأبويه، لكل ما يذكِّر به حتى الأصدقاء؛ رعاية للصديق، فإذا ما كملت هذه المواصفات والتزمت هذه الشروط صار المتصف بها صديقاً صدوقاً صحيحاً فيما أعلنه من صداقة وفيما ادعاه من انشداد وقرب روحي.

١٤١ - قال عليه السلام:

لا ينبغي للعبد أن يثق بخصلتين: العافية والغنى، بينا تراه معافى إذ سقم، وبينا تراه غنياً إذ افتقر.

يتعرض الإنسان لحالات تطغى في تدفق أمواجها على عقله وتفكيره فلا يعير أهمية لكثير من الملامح الفكرية ويكون ضعيفاً ومهزوز الشخصية أمام المغريات المعروضة فينسى أساسيات الموقف ومهمات القضية ولذا حذّرَهُ الإمام عليه السلام من أن لا يغتر إذا تعافى؛ لأن العافية وكونه في حال صحية لا يشكو فيها مرضاً أو ألماً، يغريه بالتعالي و العمل على أساس أنه غير محتاج لأحد وعنده

صحة فيمكنه أن يتصرف ما شاء لا يمنعه أحد، كما يتوهم أنَّ من حقه ممارسة أي شيء حتى المحرمات والممنوعات الشرعية أو الوضعية القانونية على أساس ما يتراءى له من نشاط جسماني يؤهله لذلك فيتعدى المقبول من التصرفات إلى المرفوض وعندها تكون النكسة؛ عقوبة له وليظهر له أن قوته وما كان يتوهمه من قابليات لا يحول دونها شيء، ومن المؤكد أن سبب ذلك الانتكاس هو تناسيه لقدرة الله تعالى وتجاوزه على القواعد الصحيحة وهذا مما لا يقبل بحال.

وأظن أن الشواهد على قوله عليه السلام: (بينا تراه معافى إذ سقم) كثيرة فكم من ماشٍ يصبح أو يمسي قاعداً أو نائماً لا يستطيع حراكاً، وكم من مصارع وملاكم وحامل أثقال وما إلى ذلك مما يفتخر به أحياناً لكونه قويا في جسده يهزم مَنْ أمامه، إلاّ انه في نهاية المطاف ينتهي به الأمر على كرسي متحرك، وكم من متكلم يتسابق مع غيره على إظهار قدراته اللسانية فإذا به أخرس يستعمل الإشارة وقد يصدر أصواتاً هي أشبه ما تكون إلى أصوات بعض المخلوقات، وكم من متنصت متسمع لما يدور من همس وأصوات غير معلنة فإذا به لا يسمع بل لا يعي مَنْ بجنبه، وأكثر الشواهد إثارة وفيه عنصر التشويق للمتابعة هو حال مَن كان مقيما على بعض المعاصي ثم يتحول إلى جسد خاوٍ لا يدفع عن نفسه الذباب أو لا يمنع تجاوزات الآخرين أو لا يستطيع الصبر على شيء فيبكي من أجل رغبة أو حتى يصرخ أحياناً وما إلى ذلك مما يدهش له الإنسان ويقف مذهولا، أهكذا إمهال الله تعالى ثم أخذه أخذ عزيز مقتدر لا يفوته شيء ولا يعجزه أحد؟!.

وأيضاً حذّر الإمام عليه السلام من اغترار واندفاع الإنسان عندما يرى كثرة الأموال، وطويل قائمة الممتلكات، وكونه من الأغنياء فيُحْدِث ذلك في نفسه فخراً وعزاً وشموخاً على الآخرين وتعالياً على أحكام الله تعالى وتناسياً للفقراء

الذين جعل الله لهم في أموال الأغنياء حقوقاً يجب إعطاؤهم إياها وقد قال الإمام الصادق عليه السلام: (مياسير شيعتنا أمناؤنا على محاويجهم فاحفظونا فيهم يحفظكم الله)[1].

فيكون لزاما على الأغنياء المياسير الذين تيسرت عليهم الحياة بما حووه من أموال أقدرتهم على تجاوز الصعاب والأزمات الاقتصادية فمن الضروري تَكَفّلُهُم ببعض شئون الفقراء ولو بمقدار الحق الشرعي الذي يعاقَب مَنْ لم يؤدِّهِ، ولا أحسب أن ذلك يتعبهم أو يؤدي إلى خسارتهم في أسواق المضاربة بل يفتح لهم أبواب رحمة الله تعالى، وليعتبروا الإنفاق على الفقير الذي ينقذوه من الجوع أو الألم من بعض ما ينفقوه في غداء العمل أو ما يُصرف في السهرات من أجل إقناع الطرف الآخر بالتعاقد وما إلى ذلك مما يصرفونه على المباذل وأحياناً الملاهي المحرمة من دونما توقف أو تورّع بينما يتناسى الإنسان اخاه الإنسان وتكون لديه من القسوة ما تجعله لا يعتني ولا يحرك ساكنا لو تضوّر أمامه الفقير من الجوع أو تلّوى من الألم، مع انه قد يلقى نفس المصير ومن المحتمل القوي أن ينتهي حاله إلى مثل هذا الحال بل أشد وأوهى وأهون وأذل.

إذن الدعوة إلى عدم الاغترار بإقبال الدنيا، بالصحة، أو المال، بل التذكر دائما أن الأمر سيؤول إلى مثل ذلك لو لم يؤد حق الله تعالى سواء أفي أمواله أم أخلاقه أم جسده أم تعامله أم سائر تحركاته في الحياة بما يجعله عبداً شكوراً مؤدباً غير متجاوز، وهذا أمرٌ عام لا يخص المتمرد على أحكام الله والعاصي لأوامره بل يشمل غيره لئلا يزّين له الشيطان مستقبلاً أن ينحو منحاه ويسلك مسلكه لأنه لا ضمانة في البقاء على الخط المستقيم إلاّ من عند الإنسان نفسه لأن توفيق الله تعالى متوفر دائماً فإنه سبحانه يفيض على عباده ما ينفعهم إلاّ أن العباد قد

---

(١) أصول الكافي ج٢ باب (فضل فقراء المسلمين) ح٢١.

يحولون دون الوصول بسبب بعض ما يصدر منهم.

١٤٢ - قال عليه السلام:

اللَّجاجة(١) تسلُّ الرأي.

مما يتعرض له الإنسان في المناقشات العلنية التي تتم أمام مشهد من الناس مهما قلَّ أو كثر العدد: هو الإصرار على الرأي وعدم الإذعان للرأي الصواب، وهذا الإصرار على الرأي مما يعني العناد والتواصل في الخط السلبي للمناقشة وهو ما لا يقبل في أمثال ذلك، لأن القاعدة التي يسير عليها المتناقشون - عادة - هو التسليم للحق أينما ظهر ومتى ما ظهر من دون ما تردد أو تعصب، وأما لو حدث العكس فسيؤثر سلباً على رأي المعاند المصر فلا يحترم رأيه ولا يصغى لقوله بل قد يتعامل معه بالمثل فتخرج القضية عن حد المعرفة إلى حد إثبات الوجود وإبراز العضلات والتحديات الممقوتة في المناقشات العلمية التي يتطلب من ورائها الوصول إلى الحقيقة، وهذا أمر مستمر في سائر الأزمان ولا يتحدد بزمن دون آخر بل تجده حتى في أرقى المراكز العلمية وأزهى العصور الثقافية لأن ذلك الإصرار والعناد نابع من أصالة الإنسان في الداخل وتجذر الحالة الأنانية عنده وهو شيء طبيعي، لكن يؤمل من المناقش النزيه التخفف منه شيئاً فشيئاً لتتمحض القضية بأنها توصلٌ إلى الحقيقة لا تغلبٌ على الخصم وإنما الخلاف ما دام النزاع قائما فاذا انتهى انتهت بذلك السخونة الحوارية التي تولدت من احتكاك الطرفين أو الأطراف بالكلام وعلو الصوت وما إلى ذلك

(١) الخصومة: القاموس ج١ ص ٢٠٥، وفي جمهرة اللغة ج١ ص ٥٤ عمود ٢ (لَجَّ يَلَجُّ لجاجاً إذ محك في الأمر) ومحك بمعنى نازع في الكلام وتمادى في اللجاجة. وفي المنجد ص ٧١٣، مادة (لجّ) (لجّ .. لجاجةً): عَنَدَ في الخصومة.

من طبيعيات المناقشة والمذاكرة العلمية.

وقد دعا الإمام عليه السلام إلى التنزه والابتعاد عن روح المقاومة السلبية والإصرار على الرأي من دون ما دليل مقنع وموجّه لان الإنسان طالب حقيقة فإذا وصل إليها لابُدَّ له من الإذعان والاعتراف بأنها حقيقة يجب الوقوف عندها وترك المجادلات الجانبية لأنها لا تثمر شيئاً مرضياً.

فالدعوة إذن إلى الرفق في المناقشات وعدم التعنت والتعند بل ﴿**وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ ليتضح الأمر لكل متعلم ولا يتيه في غمار المناقشات والأصوات العالية والأخذ والرد والجدل بل على المتناقشين إدراك حقيقة مهمة وهي أمانة تاريخية بأنْ يحفظوا الجيل المتعلم الناشئ فلا يُظْهِرون أمامه سلبيات نفوسهم وعقدهم الحياتية وتأثراتهم الشخصية بما لا ينتج نتيجة، وإلا لفقد الرأي احترامه وما ذلك إلاّ من اللجاجة.

١٤٣ - قال عليه السلام:

اللسان سَبُعٌ[١] اذا خُلي عنه عقر[٢].

تقدم في شرح بعض الحِكَمْ السابقة - الحكمة ١٢٣ - بيان أن اللسان نعمة، وتقدم أيضاً تعداد بعض فوائده وخصائصه وما يوفره للإنسان من منافع إلاّ انه في الوقت ذاته يشكِّل خطراً على الإنسان إن لم يحسن سياسته ولم يرع أصول الحفظ والاحتراس من ضرره فانه إذا لم تحدد له ضوابط معينة وتُرِكَ على حاله ولم يُسيطر عليه فانه يكون سبباً مباشراً وقوياً - ومقتضياً - لإلحاق الضرر بالإنسان وإنزال الأذى به وتوجيه اللوم والعذل له بما يجعله متندماً متأسفاً كئيباً

(١) السَبُع والسَبَع: المفترس من الحيوان مطلقا، المنجد ص٣١٩ مادة (سبع).

(٢) جرح، ينظر المصباح المنير ج٢ ص٥٧٥ مادة (عقر)، والمنجد ص٥١٩ مادة (عقر).

حيث لا ينفع ذلك - أحياناً -.

وقد كان وصف الإمام عليه السلام دقيقا عندما وصفه بأنه (سَبُع) فقد أعطاه تشبيها دقيقا ووصفه بمَنْ يماثله في الصفات العدوانية والخصائص الذاتية وهو المفترس الذي تتغلب عليه النفس السبُعية التي تحركه وتحثه شديداً نحو الانتقام والافتراس واقتناص الفريسة، واللسان له ما يشبه هذه الصفات من حيث انه يظل مُلِحاً على صاحبه حتى يحركه فيفصح عما لم يدرسه من أفكار ويتكلم بما لم ينضج من آراء بل مجرد خيالات مما يجعله مقتنصا للفرصة ولا يرى غير ذلك.

فاللازم ملاحظته ومراعاته وحفظه والالتفات اليه وعدم الغفلة عنه وعدم الإهمال له؛ لأنه سلاح ينفع من جهتين فلا بُدَّ لمن يمسك به أن يعي ذلك جيدا ويحترز منه لئلا يؤذيه، فاللسان يمكن أن يستعمل في كلام الخير مطلقا فيؤجر على ذلك ويُحترم ويُوقر، ويمكن أن يستعمل في الشر وكلام الفتنة والنميمة والغيبة والفحش والبذاء والتدخل في شئون الآخرين و.. و... مما يحمّل الإنسان تبعات كثيرة تثقله وتوقفه للمسائلة الصارمة، وعندها يعرف أثر السكوت وفائدة السيطرة على اللسان.

وإن هذا الانفلات اللساني لمن آفات المجتمع ولذا تكثر الخصومات والنزاعات وعدم الود والوئام بين الأفراد جراء عدم التوازن في الكلام والجري وراء العواطف وغليان المشاعر وتأجج الحسابات القديمة بما يترك جرحاً في النفس ولذا يصعب التجاوز عن ذلك بل تبقى عقدة في النفس وقد تتجاوز الأشخاص المباشرين إلى آخرين من الأعقاب والأقارب، فاللازم تجنب ذلك قدر الإمكان وذلك بحفظ الإنسان لسانه والمحاسبة على كلامه لئلا يطول وقوفه بين يدي ربه عز وجل، ولا يترك في نفوس الناس آلاماً يصعب عليه مداواتها وعليهم مجاوزتها.

١٤٤- قال عليه السلام:

للظالم من الرجال ثلاث علامات: يظلم من فوقه بالمعصية، ومن دونه بالغلبة، ويظاهر[1] القوم الظلمة.

تحذير من عواقب الظلم، ونصيحة بالابتعاد عنه من خلال بيان أوصافه وعلاماته ليتجنبه الإنسان فلا يتورط فيه لئلا تكون المشكلة أوسع من أن تطوّق.

العلامة الأولى: أن الظالم يخالف أمر ربه إذ (الظلم يقال في مجاوزة الحق)[2] فكلما تجاوز الإنسان وتعدى وخالف أحكام الله تعالى من الأوامر أو النواهي فانه ظالم، وقد يضاف الظلم إلى حيثيات وخصوصيات معينة فيطلق على الغاصب والزاني والسارق والكاذب والمغتاب والمزوِّر والمدلِّس... سواء الرجل أو المرأة ويقال إنه ظالم باعتبار كل واحدة من هذه المعاصي.

وهو بهذه الارتكابات قد ظلم ربه إذ لم يتبع أحكامه ولم يقف عند نواهيه ولم يمتثل أوامره فهو غير متعاون بل هو عنصر سلبي يحمل حالة من الجرأة وعدم الالتزام مما يجرأ الغير على التجاوز ويجعل أحكام الشريعة غير مطبقة لأن الأفراد إذا اتحدوا واجتمعوا على أن يطبقوا الأحكام الشرعية كانت لها هيبة في النفوس وتعظيم في القلوب بحيث لا يمكن للمتهتك أن يفصح عما بداخله رعاية للكلمة المجتمعة وخوفا من الردع الجماعي أو مجرد الاستنكار والاستغراب، أما إذا تحلل الأفراد من ذلك فيتسببون في إشاعة المعاصي وانفلات العصاة لعدم وجود رادع أو مستغرب.

---

(١) يعاون، المنجد ص ٤٨٢ مادة (ظَهَرَ).

(٢) مفردات الراغب ص٣١٥ مادة (ظلم).

العلامة الثانية: أن الظالم يتسلط على سائر المخلوقين ويقهرهم ويمنعهم حقوقهم فيكون مبغوضاً منهم غير محبوب لديهم قد خسر محبة الناس وفَقَدَ ثقتهم بما يجعله بشكل الإنسان وتصرفات غيره؛ إذ لم يراعِ قواعد الإنسانية وما تحتمه من رقة في التعامل وأدب في التخاطب ومراعاة للحقوق ومحافظة على المشاعر وما إلى ذلك من مظاهر الاهتمام والاحترام بما يعني أنَّ العكس ظلم لهم والظلم يبغضه كل أحد مستقيم الطبع، سليم الطوية والقلب. وإنَّ هذا الظالم قد خسر رصيده في المجتمع، وأعظم به من رصيد.

العلامة الثالثة: أن الظالم يعاون الأشخاص المتجاوزين على أحكام الله وقوانينه الواجبة الاتباع، واللازمة التنفيذ والضرورية التطبيق، فهو مثلهم بل ويعاضدهم وسوف يحشر محشرهم، ولا أظن إنساناً يحترم فكره ويود لنفسه الخير يحب هذا الوصف ويتمنى هذا الحكم عليه، بل الملحوظ أن الظالم نفسه يبتعد عن التصاق هذه الأوصاف به، مما يعني أنها سلبية وغير محببه ومن أسباب البغض والكراهة الاجتماعية وإثارة الحقد في النفوس فيتحتم الفرار من الاتصاف بها، وإذا ما عرف الإنسان أن الظالم يتصف بهذه الأوصاف البغيضة فيكون لزاماً عليه التخلي عن موقع الظالم مهما كان أثره الاجتماعي، المادي، الوجاهي...، كون ذلك هو منطق العقل في القضية فضلاً عن حكم الشرع.

١٤٥ - قال عليه السلام:

لكل امرئ في ماله شريكان الوارث والحوادث.

قد تكرر من الإمام عليه السلام في مناسبات عديدة حث الإنسان على عدم الاغترار بالمال وعدم الاعتزاز به وانه زائل لا يبقى، وأنه قد يكون غنياً لكنه يتحول بعد ذلك إلى فقير، فلا يصلح له الاعتماد على المال لأنه في طريقه إلى

الانتقال، وهذه الحكمة قد جاءت مكملة لغيرها وبأسلوب وعظي جديد وهو:

إن الإنسان الذي يجهد نفسه لجمع المال سينتقل عنه إلى الدار الآخرة ويتركه للورثة الذين فرض الله تعالى لهم الحق وإلا فيكون المال من دون مالك وهو محال بل لا بُدَّ له من مالك يحوزه سواء كانت الحيازة مباشرة أو بالتسبيب، كما في ملكية الورثة لأموال مورثهم فإنهم يملكونها بسبب موت المالك المباشر الأول إذن فلا جدال في هذا.

ولما كان الإنسان يعلم يقيناً انه يرحل ويترك المال فلماذا البخل ومنع نفسه أو أهله وذويه، أو منع الفقراء من حقوقهم، ولماذا التكالب والتناحر والجمع المكدي والحوي المضني إذا كان ما بعده رحيل وتوديع فالورثة شركاء للمالك رضي أم لم يرضَ.

وأيضاً الشريك الآخر حوادث الدهر ونوائبه وما يصيب مال الإنسان من خسارة أو غرق أو حرق أو سرقة أو مصادرة أو محاولة التفاف عليه وابتزاز له وتزوير ونحو ذلك مما يتعرض له الإنسان في حياته، فهذه شاركته ولو لم يرتض شركتها.

فإذا كانت شركتها تحمل طابع المفاجأة والمباغتة وعدم الاستئذان وإلغاء شرط الموافقة فلا بُدَّ للعاقل أن يتحسب للأمر جيداً فينفق المال حيث لا ندم ولا تمني فرصه التراجع وما ذاك إلاّ أن يصرفه فيما يحرز فيه ويتيقن معه من رضا الله سبحانه.

فالدعوة إلى التغلب على النزعات النفسية والدوافع الأنانية في جمع المال وعدم إنفاقه في المطلوب.

١٤٦ - قال عليه السلام:

لم يذهب من مالِكَ ما وَعَظَك.

يتعرض الإنسان في حياته العملية لصدمات وحالات يفقد فيها ماله بعضا أو كلاً مما يجعله مواجهاً لعملية مراجعة الحسابات وإعادة النظر في المصروفات والواردات بما يترك له فرصة التفكير والتأمل والتأني والتمهل عند هذه الحالة الحادثة، وفي كل ذلك فرصة ثمينة إذ أنها تجعل الإنسان ذا خبرة وتجربة فلا يلدغ من هذا الموضع مرة أخرى ولا يخدع ثانية إذن ما خسره وافتقده من المال إنما هو واعظ ومذكِّر وقد أثراه من حيث لا يشعر فهو شاكر له ولو بمنطق اللاشعور وذاك واعظ له ولو بمنطق أخذ العبرة مما حدث لئلا يتكرر مرة أخرى فتكون الخسارة ذات وقع شديد.

فالدعوة إلى أنْ لا يتأسف الإنسان لما يذهب منه إذا كان ذلك كفيلاً بتفتيح منافذ إبصاره القلبي والعيني وجعله متفهما للحياة ومسايراً لها وفق المدارات المختلفة التي يمر بها الإنسان، فالمهم عدم التكرار وعدم الوقوع في المحذور وليس المهم - كثيراً - ذهاب المال.

١٤٧ - قال عليه السلام:

لو رأى العبدُ الأجلَ ومصيرَه لأبغض الأملَ وغرورَه.

يتضح من خلال استعراض كلمات الإمام عليه السلام واستفهام معانيها واستجلاء مقاصدها أنها نابعة من قلب عطوف مشفق يحب الناس ويسعهم ويود لهم ما يوده كلٌّ لنفسه ولكنه يتحرك بعيدا عن الأنانيات الطبيعية المتحكمة

في الإنسان، فالإمام عليه السلام يتعامل معاملة الوالد، المعلم، المربي، القائد، المحاسب، المسؤول، الذي ينطلق من موقع الاهتمام المباشر بالأمر ولم يتعامل إطلاقاً كإنسان مجرد وبعيد عن هذه الأحاسيس والمشاعر النبيلة، وكانت هذه الحكمة من إحدى الأدلة على ذلك إذ قد تكرر منه كراراً ومراراً وفي مناسبات عديدة نصحه وحثه واهتمامه على أن لا ينساق الإنسان مع الأمل والحرص والركون للدنيا بل عليه أن يحاذر ويناور ويحترز فيها لأنها سرعان ما تتغير وتتحول فيبقى المتعلق بها كالواقف في جزيرة صغيرة وسط البحر الخضم الموّاج الضخم لا ساحل ينجيه ولا منطاد ينتشله ولا يد تخلصه مما هو فيه.

فعلى العاقل أن يُحْكِمَ أمره جيداً ويفكر في عاقبة انجرارهِ للدنيا وما يؤول إليه مصيره في الآخرة؛ فإن الدنيا وما فيها من إغراءات وإقبالات وتوجهات توقع الإنسان في حبال الأمل ببقائها - إنما هي - زائلة، ويختزن في داخلها من عوامل التبدل والتغير ما يجعل الإنسان اللبيب حائرا مبهوتاً في سرعة التحول وتبدل الولاءات، فبينا هي مقبلة على أحدٍ، وإذا بها مدبرة مولّية عنه...

فالإمام عليه السلام يدعو لأخذ العظة والعبرة من الموت وما بعده من قبر وأهوال وحساب ومساءلة دقيقة ومصير مجهول وحالة ترقّب ورجاء للشفاعة، كل ذلك مما يجعل الإنسان من عمّال الآخرة الأكفّاء غير المضيعين جهودهم وأوقاتهم على شيء يعود عليه بالخسارة والندم، بل يكونون من المبغضين لكل ما ورطهم في الابتعاد عن الخط السليم، وأساس ذلك طبعا الأمل البغيض ببقاء الدنيا والعمل بما تمليه من مواقف غير متوازنة مما يحكم عليه بالفشل والخيبة.

ولا يفهم من هذا سلبية الموقف من الدنيا بل مرحباً بها ما دامت مزرعة للآخرة، وما دامت فرصة لاكتساب الفضائل، واقتناص الفرص الصالحة، لإحراز المراتب العالية المتقدمة في الآخرة، وما دامت زاداً ليوم يلقى الإنسان

فيها ما عمل حرفياً ومن دون ما ظلم أو تحريف. وبطبيعة الحال العكس صحيح فالمقاطعة والرفض التام وكل عبارات الشجب والتأنيب لها إن كانت مصدر توريط للإنسان، فهي سلاح ذو حدين يمكن كل أحد الاستفادة منه ولكن بعد استيعاب التعليمات ومعرفتها جيداً.

١٤٨ - قال عليه السلام:

لو لم يتوعد الله على معصيته، لكان يجب أن لا يُعصى شكراً لنعمه.

الدعوة إلى اجتناب المعاصي والابتعاد عن كل عمل لا يرضي الله سبحانه لدليلٍ عقلي يستوعبه عامة الناس ويدركه الكل ويوافق عليه الجميع وذلك من بابِ وجوب شكر المنعم.

فإذا عرفنا بالدليل الملموس والمشاهَد المحسوس أن الله تعالى واهب العطايا والحياة وكل ما في الوجود للإنسان تفضلاً منه وابتداء وقد مَنَّ على الإنسان بنعم متعددة يعجز عن تعدادها الإنسان لأنها متجددة آناً فآناً وغير محصية لوفرتها، وعدم التعامل مع العباد بمقياس الكثرة والقلة.

عرفنا - لكل ما تقدم - أنه تعالى يستحق الشكر، وللشكر عدة مظاهر ومبرزات فقد يكون بالقول واللسان، وقد يكون بالفعل والتصرفات، وقد يكون بالكف عن المنهيات والمحرمات والابتعاد النهائي عنها بحيث لا يكون له اندفاع نحو ذلك مهما مسّت الحاجة أو دعت الضرورة المتوهَمة فإذا تم ذلك من العبد كان ذلك مظهراً من مظاهر شكر الله تعالى.

هذا لو لم يُصَرِّحْ بالنهي ولم تأتِ الرسل مبلغين عنه تعالى تحريمه ونكيره فكيف والحال أنه تعالى صرّح، وهم قد بُلّغوا، وقد عرف الجميع تلك الحقيقة

ووعوها، حتى أن المتجاوز المتعدي لحدود الله تعالى يعرف أنه يعصي الله وانه يخالفه وأنه.. وأنه... مما يدينه ويجرّمه، إذن بلغت المسألة حداً من الوضوح بحيث لا يصح لأحد الاعتذار بعدم المعرفة أو عدم وصول الخبر بل قد تبلّغ الجميع وفهموا، فلو صدرت المعصية فالمؤاخذة والمعاقبة تكون رداً في محله وتأديباً لأهله وإيقافاً لتجاوزٍ قد صدر من العارف بالشيء العالم به.

وأعتقد أن هذا العرض منه عليه السلام إنما هو مستوى من مستويات النصح والإرشاد: بأنَّ على الإنسان أن ينزجر ويكف عن عمل المعاصي لأنها مبغوضة على كل حال ولا يناسب صدورها من الإنسان على الاحتمالات كافة فلا عذر لمعتذر بعدها.

١٤٩ - قال عليه السلام:

ليس بلد بأحق بك من بلد، خير البلاد ما حملك.

هذه الحكمة لها أثرها البالغ في تشجيع الأيدي العاملة والطاقات الشابة والقدرات المعطّلَة المهمَلة في بلادهم على السعي وراء العمل والكفاح في الحياة بما يوفر فرصة عمل توفر لقمة العيش الكريم وتهيئ مجالا للتوسع والترقي ورفع المستوى المعاشي، الاقتصادي، الاجتماعي، وتحسين الوضع العائلي بما يجعله مرفِّهاً على نفسه وعلى عياله ليُمَكِّنَهم من العيش الرغيد أو الذي يبلِّغ الحاجة أو يسدها، فقد يواجه البعض ممن يرغب بالهجرة للعمل بمعارضة ومقاومة على أساس أن البلد أحوج ما تكون إلى أبنائها وليس من الوفاء أن تربي ويستفيد غيرها و.. و... مما يردده البعض من المنظِّرين الذين لا يحسون بالآم الآخرين ولا يواجهون ما يجعلهم يفكرون فيما هو أصلح وأنفع وأقوم لحياة مجاميع كثيرة من الناس ممن تشكو العوز والفقر والحاجة مع إمكان أن تعمل شيئاً فتكون

الفائدة مزدوجة لهم ولغيرهم.

وقد عالج الإمام عليه السلام ذلك بأنَّ: على الإنسان أن يبحث عن فرصة للعمل ومجال الإبداع ولو في بلد آخر غير بلده ولكن - طبعاً - مع الحفاظ على انتمائه وهويته ووطنيته لأن ذلك مما يجب أن لا يتناساه أحد، فيمكن الجمع بين الوجهتين بأن يعمل في بلد آخر لو لم يمكنه ذلك في بلده ولكنه يبقى وفياً لبلده بطاقاته، بخبراته، باستثمار أمواله، بمشاريعه الإنمائية سواء المستثمَرة أو الخيرية... مما يبقي الصلة ويقوي الروابط ولا يجعل الإنسان يشعر بعمق الغربة والوحشة في داخل نفسه، بل يكون متجاوباً مع الحياة، لم يستسلم للأمر الواقع الذي واجهه في بلده بل تماشى معه وبذل جهداً ولم يفلح حتى بلغ به الأمر إلى الاغتراب من اجل العمل والعيش بكرامة لئلا تموت أو تُستغل جهوده، أفكاره، طاقاته... للأعداء ولو المبرقعين الذين لا يظهرون بشكلهم غير المحبب بل بمظهر الود والانكسار على الطاقات المهدورة لكنها تستغل ذلك في سبيل أغراض غير إنسانية وغير شريفة فتكون عندها الخسارة مؤلمة جداً لأننا فقدنا شبابنا وفقدنا طاقاتهم، وتكون الواقعة شديدة للسبب ذاته المزدوج مما يحتم أن نفتح المجال ولا نعرقل مشاريعهم للمستقبل وتخطيطهم للحياة بما يعمرها وبما ينعشهم ويجعلهم ينعمون كأناس لهم آمالهم وتطلّعاتهم.

فلابد من استيعاب الحكمة جيداً للمساعدة في تقليل البطالة في العالَم والمشاركة في تحريك عدد من البلدان المحتاجة إلى الأعمار أو التقنيات الخدمية في شؤون الحياة مما يحتاج فيها إلى عنصر الإنسان المفكر المخطط، المهندس، العامل، المراقب...، وبذلك ننعش القلوب ونحقق الآمال...

ويمكننا أن نستشف من هذه الحكمة أنه عليه السلام قد سبق القائلين بالنظرية الأممية التي كان يُروَّج لها، إلاّ أنه عليه السلام عرضها بالشكل المتوازن الباقي ما بقيت

الدنيا لأنه قائم على الالتزام بتعاليم الشريعة الإسلامية، لا تأسيس خط آخر مقابل خط الشريعة فلذا استمر هذا وذُخِر ذاك والحمد لله.

١٥٠ – قال عليه السلام:

ليس من العدل القضاء على الثقة بالظن.

الدعوة إلى عدم التفريط بالثقة بين أفراد المجتمع من الإخوان والأصدقاء والمعارف وأن لا يخسره الإنسان لمجرد ظنونِ سوءٍ واحتمالات مقابَلَة بمثلها ونحو ذلك مما يعطي انطباعا هشاً وغير سديد عن سبب الجفاء وانقطاع العلاقة، فلابُدَّ أن لا يترك الإنسان مَنْ عرفه بالوثاقة لمجرد أنه ظن به سوءاً؛ لأنَّ المفروض أن العلاقة كانت قائمة على أساس متين فلابُدَّ من أن لا يفرّط بها لاحتمال وسوء ظن بل على الإنسان أن يدقق كثيراً في أحكامه فلا يطلق القول كما يحلو له وإلاّ كان مجحفاً بحق الغير متجاوزاً غير منصف وهذا ما لا يرضاه أحد لنفسه، وفي هذا تهذيبٌ للأفراد وإصلاحٌ للمجتمع لئلا تكثر فيه الأحكام الجائرة أو غير المدروسة التي تُرتجل ويكون مصدر تحريكها الانزعاج النفسي أو عدم الانسجام ونحو ذلك مما يحول دون بقاء العلاقة مستمرةً.

فلابُدَّ من أن يتريث الإنسان في الحكم لئلا يجور ويتجاوز العدلَ والمعروفَ والحكمةَ في تصرفاته وإلاّ فيندم وقد لا ينفعه فتفوته فرصة التعويض والإصلاح وتهدئة النفوس إذ يكون بذلك كسراً للنفوس وهدماً للأركان المشيدة بين الأصدقاء والمعارف مما يعني خسارة ليس من السهل تعويضها.

حرف الميم

١٥١ - قال عليه السلام:

ماء وجهك جامد يقطره السؤال، فانظر عند مَنْ تقطره.

وصف دقيق ولطيف يستوعبه كل احد بعدما يتأمل فيه ويترك لنفسه لحظة تفكر ليعرف أن الذل له عدة محاور يتوصل منها إلى الإنسان فمنها السؤال وطلب الحاجة مهما كان شأنها وأهميتها وحجمها ومهما كان المطلوب منه، ومهما كانت الظروف الملجئة فإن النتيجة واحدة والحال واحد وهو تقديم ماء الوجه وما يعطيه من معنى كنائي عن العزة والكرامة، ومعنى تقريبي عن تحصن الإنسان بذلك عن أن يقتحمه أحد باستمنان أو استعراض مواقف معينة ليتميز من خلالها عليه، كل ذلك يقدمه بنفسه إزاء الحصول على مطلب ومرام مؤقت فلابُدَّ من أن يوازن الإنسان في ما يربحه من ذلك المطلب والمرام المؤقت وما يحققه من مكاسب هل تستحق التضحية والتنازل عن الثوابت الشخصية أو لا، فيفضِّل الحرمان من تحقق المطلب والانتظار لوقت آخر من أجل الاحتفاظ بالمعاني السامية التي ترفده وتعينه في مواقع كثيرة في الحياة العملية.

وإلاّ لوصف بأنه (وصولي) يهدف لمصلحته ولو على حساب كرامته ويريد التوصل بشتى الطرق والوسائل، وهذا ما يلحق به العار.

وهناك - طبعاً - في الضفة الأخرى البعض ممن يتعشقون الكرامة ويأنفون للعزة فيحيون ما حييت ويموتون من أجلها، فلا يبذلون ولا يقطرون ماء الوجه إلاّ عند مَنْ يستحق ذلك وهم قليل بل الأقل وهذا هو السمو الروحي والشعور بالكرامة الذي يريده الإمام عليه السلام لئلا يخلو الإنسان من كل شيء حتى هذا التسامي والاعتزاز إذ - بعد ذلك - يسهل عليه كل شيء حتى دينه وعرضه و.. و.....

١٥٢ - قال عليه السلام:

ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى اخذ على أهل العلم أن يعلِّموا.

الدعوة إلى أن يأخذ كلٌ موقعه ويقوم بدوره ولا يتخلى عن واجبه، فالجاهل يبحث عمَّنْ يعلِّمه ويرشده إلى ما يقوّمه ويطبِّعه بالطابع الإسلامي الصحيح، ولا يبقى مصراً على جهلهِ أو مستحياً من إبداء ذلك لئلا يقال ما يقال.... بل يُقْدِم واثقاً ويبدي أسئلته - إن وجدت - بكل شجاعة من دون ما تردد ليجاب عنها فلا تدوم حالة الشك والحيرة أو الجهل والضلالة بل يتحول إلى أن يقوم بدور المرشد المعلِّم لغيره بما يقلل عدد الجهال بالأحكام الشرعية.

وكذلك العالم يبذل ما لديه ولا يدَّخر من وسعه شيء حسب طاقته البدنية، العلمية، حالَته الأمنية والاقتصادية، بما لا يشكِّل إحراجاً أو إرهاقاً، ولو قد يفترض فيه التنازل عن حقوقه مراعاةً لحق الآخرين وتقديماً لإرشادهم على حقه الشخصي، وهذا الافتراض صحيح، غايته لو توافرت له المستلزمات

والمقومات كافة، وأما لو بدى الخلل من أحد الأطراف لفشلت المحاولة ولما تمت، فمثلا لابُدَّ من وجود جاهل بالحكم الشرعي مستعد للتعلم، للتطبيق والتنفيذ، لنقل الحكم إلى أمثاله، ولا يكون من النوع الاتكالي، المتقاعس، الذي يتوهم أن القيام بذلك ينحصر بالعالم بما يرفع المسؤولية عن الباقين، بل لابُدَّ من التجاوب والتفاعل بما يشجع العالم على تقديم ما لديه بروح منفتحة، وهنا لا بُدَّ من معرفة شيء مهم وهو أن العالم إنسان طبيعي يتميز عن غيره بالعلم، إذن فله مزاجه الخاص، نفسيته المنفتحة على غيره أو المنغلقة، خصوصياته الشخصية، المؤثرات الخارجية التي قد تعطِّل فيه مواطن القابلية والإبداع. وإن افترض فيه المثالية والاندماج بالدور الملقى عليه إلاّ انه يبقى إنسانا ويطالب بحقه في ذلك، فإذا توحدت الجهود وكان كلٌ من العالم[1]. والجاهل[2] يبحث عن موقعه ليحتله ويكون مؤدياً لوظيفته الشرعية بما يلغي عنه المسؤولية ويخفف عنه التبعة والمؤاخذة، لأثمرت تلك الجهود حالةً متقدمةً في مستوى التثقيف الأسري، المهني، الاجتماعي، الافرادي... حتى لقلّما يوجد عاطل عن دوره المناسب له ولكن....

فاللازم على الجاهل أن يتعلم ويسأل قال تعالى: ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُم لا تَعْلَمُون**﴾[3]، واللازم على العالم ان يُعلّم ويجيب بحدود القابلية والإمكانية العلمية، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللهُ ميثاقَ الذينَ أُوتُوا الكتابَ لَتُبيننهُ لِلناسِ وَلا تَكتُمُونَهُ فَنَبذُوهُ وَراءَ ظُهورِهِم وَاشْتَرَوا بِهِ ثَمناً قَليلاً فَبِئسَ مَا يَشتَرُون**﴾[4].

---

(١) ولو لم يكن بمستوى فكري متقدم بل مجرد علمه بالحكم الشرعي.

(٢) ولو كان من ذوي المهارات العملية أو الخبرات العلمية إلا انه يجهل الحكم الشرعي.

(٣) سورة النمل آية (٤٣) وسورة الانبياء آية (٧).

(٤) سورة آل عمران آية (١٨٧). ينظر تفسير مجمع البيان للطبرسي ج٢ ص٥٥٢، وتفسير الميزان =

ولو اُتبعت هذه الحكمة وحاولنا الأخذ بها لوجدنا أثرها الواضح في معالجة هموم وقضايا نعاني منها جميعا ترهق كاهل الأفراد المكونة للمجتمع الضيق كأسرة، أو الموسع كمجموعة اُسر تؤلف مجتمعا مستقلا، ولو عرف الله تعالى منا صدق النية وقوة العزيمة لأخَذَ بأيدينا إلى حيث نريد، ولكننا تقاعسنا وتواكلنا واتكلنا خصوصا في مسألة التعلم والتعليم للحكم الشرعي، وتركنا مجالاً كبيراً فصار الكثير يحسب ألف حساب قبل أن يتعلم المسألة الشرعية التي هي مما يدور يومياً ويحتاج إليه المكلف، ونحن في ضمن هذا كله في غفلة عن الجواب المناسب لما لو سُئلنا عن هذا التقصير!!.

ويمكن أن نستفيد من هذه الحكمة شموليةً في لزوم السؤال على الجاهل، والجواب من العالم في مختلف ميادين العلم والمعرفة من دون ما انحصار بعلوم الشريعة وان كانت تَحتل موقعاً متقدماً باعتبار الحاجة الماسة اليومية من المكلفين كافة بينما غيرها من العلوم الأخرى قد تدعو الحاجة إليها أحياناً فلا تأخذ المستوى نفسه من الأهمية، فهي واجبة سؤالا دفعاً للضرر، وجواباً أداء للواجب الكفائي[1] عند اللزوم والحاجة، والتي يفترض فيها عدم الاستمرار بينها إذا بلغ المكلف سن التكليف الشرعي صار في مرحلة الاحتياج اليومي المباشر لها.

فالدعوة إذن إلى أن يتعلم الجاهل وإلى أن يعلّم العالِم.

= للطباطبائي ج١ ص(٣٨٩-٣٩٠)، وتفسير مواهب الرحمن للسبزواري ج٧ ص١٥٨، والتفسير الكبير للفخر الرازي ج٩ ص (١٣٠-١٣١) المسألة السادسة، والدر المنثور للسيوطي ج٢ ص١٠٨، وتفسير النسفي ج١ ص١٩٩.

(١) ما يلزم الجميع أداؤه ولكن لو قام فرد سقط عن الباقي، ولو لم يمتثله الجميع تعرضوا للمساءلة.

١٥٣ -قال عليه السلام:

ما أضمر[١] أحد شيئاً إلاّ ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه.

من الجميل جداً في الحياة حالة الصدق وعدم إبطان السوء، والمصارحة بالواقع إذا كان مناسباً بحسب الزمان والمكان وجميع الأحوال الأُخر المطلوب مراعاتها، أما إذا أعلن شيئاً وهو منطو ومضمِرٌ لغيره فحتماً سينكشف أمره بلا نقاش وإن حاول إخفاءه مدة معينة إلاّ أنه سيتضح الحال لكل أحد من دون ما مماراة.

فالدعوة إلى أن يحسن الإنسان ما يضمره وما ينعقد عليه قلبه حتى إذا انكشف لا يخجله ولا يوقعه في ورطات ومشكلات جانبية؛ إذ من المؤكد أن الإنسان قد يمكنه التحكم في السيطرة على بعض أعضائه بسهولة إلاّ أنه قد يفقد السيطرة على لسانه ومعالمه الخارجية والآثار المرتسمة عليها كالحمرة أو الصفرة أو التلعثم أو الاندهاش أو علامة الاستغراب أو الخوف وما إلى ذلك بحيث يستطيع المقابل قراءة أفكاره من خلال ما ظهر على شاشة الوجه فإنها تعرض ما يظهر أمامها من داخل النفس.

ولاشك أن العاقل لا يرضى لنفسه الافتضاح أو مجرد علم الآخرين بحاله الذي لا يود انكشافه لكل أحد فلا حيلة لديه إلا أن يفكر بالخير ويتعامل مع الآخرين في نفسه بايجابية وانفتاح من دون ما لف ودوران لأنه حتما سيُعرف زيفه من واقعه ومعدنه فإذا ما أعلن هو فسيهون الأمر ولا يكون مفتضحاً بالشكل المزري الذي لا يتمناه أحد، أما إذا أُكتشِفَ من قبل الآخرين فتكون النتيجة في غير صالحِهِ حتماً.

---

(١) أي أخفى.

وهذه الحكمة يؤخذ بها في كافة ميادين الحياة وفي مختلف المراحل العمرية للإنسان ولا تختص بميدان دون آخر أو مرحلة دون أخرى فالصغير والكبير، والمرأة والرجل يتساويان في لزوم ذلك التحفظ.

١٥٤ - قال عليه السلام:

ما ظَفَرَ مَنْ ظَفَرَ الإثمُ بهِ، والغالبُ بالشرِ مغلوبٌ.

يقوم البعض باستعراض قواه الجسدية، وإبراز عضلاته ليدلل على قوته وإمكانية وصوله نحو الهدف بما يجعل النفوس منه مرعوبة ليحقق بذلك انجازاً لنفسه، لكنه لم يلتفت إلى أن القدرة والقابلية وإحراز التقدم وإمكانية التغلب والمواصلة، إنما هو في جانب الخير والأعمال الايجابية لأنها تعاكس رغبة الإنسان بشكله العام، ومن دون لحاظ للمقومات الشخصية كالعصمة أو العلم أو التدين أو التقوى أو الخوف... لما لها من أثر كبير في تقويم الإنسان أو صرفه عن بعض توجهاته فيمكنه السيطرة على الرغبة والهوى الغالب.

بل الحديث عن الإنسان بطبيعته وتوجهاته الذاتية فانه يعاني المشاق ويبذل الجهود لأجل أن يكون ايجابياً، فمثلاً لو أراد قهر نفسه فلا يتقدم نحو الحرام: السرقة، الغيبة، النميمة، الفتنة، الاعتداء على الغير، النيل من الغير، شرب الخمر، معاونة السلطان للوصول إلى الهدف، تحدي الغير، الانتصار بالقوة، كسر شوكة الطرف المعتدي، الاحتيال وغيرها مما يدخل ضمن خط الحرام، وكذلك عندما يتقدم نحو أداء الواجب فإنه يغالب هواه.

فهل تأدية الصلاة بالأوقات المعينة مع كافة الالتزامات الخاصة، وبأنواع الصلاة الواجبة وبسائر الخصوصيات المعتبرة، مما يرغبه الإنسان دائما وفي مختلف حالاته البدنية، النفسية، الأمنية، الاقتصادية، العاطفية... ؟!

أو هل الصوم يلاءم الإنسان بما في الصوم من إمساك وآداب لا مجرد الإمساك عن المفطرات المعينة... ؟!

أو هل دفع الحقوق المالية توافق رغبة الإنسان بحسب حرصه على جمع المال واستبقائه وعدم التفريط به أو توزيعه... ؟!

أو هل الجهاد يتفق مع حب الإنسان لنفسه وتشبثه بالحياة... ؟!

أو هل طاعة الوالدين تكون دائما على وفق مزاج الولد... ؟!

أو هل عون المحتاج مما يسهل دائما على الإنسان؟ أو.. أو... من سائر الواجبات بمختلف مستويات الإلزام بها وعلى مختلف الصُعُدُ المثبتة للوجوب بالدليل الشرعي أو العقلي فإنها تحتاج إلى إقبال وتوجه نفساني واستعداد للتنفيذ من دون ما ترك أو تواكل لئلا يعتبر عاصياً ومقصراً.

ولكن جانب الشر أسهل وصولا إلى الإنسان لأنه يتجاوب مع أهوائه ويتناغم مع حالاته النفسية التي تقدم - أحياناً - الشهوة بمتعلقاتها كافة، إنزال العقوبة بالمعتدي بمختلف الوسائل، الشهرة ولو بالباطل، وغير ذلك.

فالدعوة إلى أن يضبط الإنسان نفسه ويتوازن في تصرفاته فلا يفخر لو غلب بالشر على اختلاف مراحله ومستوياته في التأثير، وليعرف أن ذلك يعود عليه بالضرر ولو بعد ذلك فلا يفوت ولا يفلت من المقابلة بالمثل فلا يفرح كثيرا فإنه لن يدوم عليه ذلك لأن الله تعالى خلق الإنسان وأراده أن يعمر الأرض وفق الموازين التي وضعها له من دون ما تجاوز أو تغليب للنوازع الشخصية والا لغدت الأرض أشبه ما تكون بغابة الحيوانات، وأهلها أشبه ما يكونون بقطيع كواسر متجول. وهو ما نزه الله تعالى عنه الإنسان فليجرب كل منا نفسه ليرى مدى استجابتها للترويض... ولا يفاخر بالقوة.

١٥٥- قال عليه السلام:

ما المبتلى الذي قد اشتد به البلاء بأحوج إلى الدعاء من المعافى الذي لا يأمن البلاء.

أسلوب بليغ لتحذير الإنسان من الاغترار بالعافية وعدم الابتلاء بما أصاب غيره، لأن الإنسان تمر به حالات من الاغترار فيتمرد حتى على موجِدِهِ وخالقه وذلك بعدم الانصياع للأوامر والنواهي على أساس أنه معافى البدن، آمن لا يخاف أحداً، وما إلى ذلك مما يتوهمه فيدرج على ذلك إلاّ أنه يجهل أو يتجاهل أن أمر ذلك كله بيد الله تعالى وتحت قدرته فان تجاوز العبد الحدود فعليه أن لا يأمن الغضب والعقوبة.

وقد حذّر الإمام عليه السلام من هذه الحالات وتمكّنها في النفوس ببيان أن الكل يتساوى في احتمالية الإصابة فلا يظن أحد أنه بمعزل ومأمن بل الجميع معرَّضون، والكل يستأهل الشفقة، وما من أحد إلاّ ويُطلب له من الله سبحانه الخير ويدعى له بالكفاية، فلا يتفاوت حال المصاب حالياً أو مَنْ يصاب مستقبلاً.

فالدعوة إلى أن يدعو الإنسان من الله سبحانه لأن يعافي المبتلى ببلية - أياً كانت - ولأن يجير غير المبتلى والذي فعلاً لم يتعرض لشيء إلاّ انه في معرض ذلك لو شاء الله تعالى. إذ لا قدرة للإنسان مهما بلغت عظمته الدنيوية أن يدفع عن نفسه ما يريد الله له أو عليه وفق ما يناسبه من مصالح وحِكَم تخفى على العباد ويعرفها هو تعالى فقط. فهذه الحكمة في الواقع درس أخلاقي مؤثر لمن يتمعن ويفكر.

١٥٦ - قال عليه السلام:

المرء مخبوء[1] تحت لسانه.

الدعوة إلى تقييم الإنسان على أساس المنطق وسبك الكلام لما لهما من أثر في شد المستمعين الذي يعني إصغاؤهم ثم انشدادهم ثم تأثرهم في الكلام المسموع ثم التطبيق في كثير من الأحيان.

والدعوة إلى عدم الانتقاص والازدراء بالمتكلم حين يكون غير مقبول الهندام والهيئة الخارجية المظهرية، أو مجهول الهوية، إذ من الممكن جداً - لأجل تكوين القناعة الكافية والانطباع عن الآخرين - أن يصغي السامع للكلام وصوغه الجيد وأسلوب المنطق والحوار فهو الشيء الوحيد الذي يتغلب على التزييف لأن يعرف المتصنع من المترسل والمتكلف من غيره والحافظ من المنشئ وهكذا يتبين الحال إن كانت قابليته ذاتية أو مقتبسة من الآخرين وقد سطا عليها وانتحلها هو.

بينما الأمور الأخر تقبل التمظهر ومحاكاة الآخرين ولا تظهر لكل أحد حقيقتها إلاّ بعد دقة وإمعان فمثلاً يمكن لأي أحد أن يلبس قيافة شخص آخر بعد إجراء تعديل وتحوير ولكن يبدو واضحاً للعارف بالمقاييس الصحيحة الملائمة لمقاسات الأشخاص أن هذه مصنّعة لتناسبه ولم تكن كذلك سابقا، وهكذا عمليات التجميل الخاصة بالممثلين أو بالنساء وهكذا استعمال الإكسسوارات والشعر (الباروكة) وما إلى ذلك مما يعرفه الحاذق بل وغيره أيضاً. أما صناعة الكلام ودلالته على المتكلم فيتضح أمرها - كما تقدم - وقد تسبب الكلام وحسن المقال في نجاة أشخاص كانوا في مواقف حرجة، ودَلَّ

---

(١) أي مستور. المنجد ص١٦٦ مادة (خبا).

على مكانتهم فلاقوا احتراماً وتبجيلاً بعدما عانوا العكس.

إذن لابُدَّ من احترام المقابل بمقدار ما يدل عليه كلامه ومنطقه وحسن مقاله من فعل وأدب وحكمه، لا بمقدار ما تدل عليه قيافته ومظهره الخارجي القابل للتغيير.

١٥٧ - قال عليه السلام :

مسكين ابن آدم: مكتوم الأجل، مكنون العِلل، محفوظ العمل، تؤلمه البقة، تقتله الشرقة، وتنتنه العرقة.

تأسفٌ على حال الإنسان من مشفق عليه يدعوه لخيره ولما فيه إسعاده ورفعته ليكون قدوة في مجتمع انحسرت فيه المُثل والمبادئ وحلّت محلها الماديات بمختلف صورها المقيتة والمقبولة فبدا الانحلال عليه واضحاً وصار الناس وكأنهم مجموعة من الكائنات الحية التي لا تربطهم رابطة ولا يوحدهم دين واعتقاد.

وقد دعا عليه السلام الإنسان إلى أن يكتشف قدره ومحله من بين الموجودات بنفسه بعدما يستعرض:

أولاً: انه لا يعلم وقت موته ولا مدة عمره فهو معرّض في أي لحظة إلى الانتقال إلى عالمٍ آخر، ومع ذلك يدّعي لنفسه ما يدّعي.

ثانياً: انه يحتوي على مجموعة من العيوب الخَلقية والخُلُقية، فقد يكون فيه نقص ولادي أو عوق طارئ بها لا يجعله سوياً، وقد يكون ممن يعاني من عُقُد نفسية تقصر به دون بلوغ المرتبة المتكاملة للإنسان الاعتيادي، أو يشعر بحقد أو حسد أو ضغينة أو توجه نحو بعض الخطوط الملتوية أو انحراف إلى جهة مغايرة.

وما إلى ذلك من العيوب الخُلقية التي تحول دون التفاخر والتشامخ - الفارغ - مضافا إلى أنه في معرض الابتلاء بالمزيد من الآلام والأعراض التي تغيّر من طبيعة حياته ومجراها فيكون أسير الفراش لا يستطيع دفع الذباب عن نفسه.

ثالثاً: انه مرصود من جهات تحصي عليه أعماله ولا يعرف النتيجة هل لصالحه أم لا، خصوصاً وأنّ حالة المراقبة والمتابعة تتعب الإنسان نفسياً بما يجعله خائفاً وجلاً تنغص عليه عيشه فهل يترك هذا مجالا للمغرور وقول أنا وأنا..؟!

رابعاً: انه من الرقة بحيث تؤثر فيه البقة مع أنها حشرة صغيرة ما عساها تقوى على شيء سوى مدّ خرطومها الدقيق لتمتص ما يمكنها من الدم ومع ذلك يهيج ويتأثر ويتألم ويتوجع ويشكو - أحياناً - من ذلك الكائن الصغير الحجم الذي لا يهتم أحد لوجوده، فإذا كان هكذا حاله فهل يعني - الإنسان - شيئاً كثيراً.

خامساً: أنه يعيش بنظام دقيق بحيث يتنفس وفق عمليات معينة فإذا اختلت وانسد مجرى الهواء بدخول حبة طعام فيه أو قطرة سائل فيغص وقد تكون نهايته بذلك لانقطاع سلسلة النظام الطبيعي لحياته فكيف يشمخ بأنفه على غيره، أما يخشى أن تفاجئه غصة من تلك الغصص وكم من الناس مَنْ مات بسبب الغصة والشرقة.

سادساً: انه لو لم يُزِلْ الأوساخ عن جسده مدة معينة لفاحت وانتشرت منه رائحة منتنة تنفر منه الناس ولو كانوا ذوي قربى، ولشكوا ذلك اليه بما يخجله ويوقعه في المأزق. فإذا كان هذا حاله في الدنيا والمعطرات والمساحيق المنظِّفة بجنبه فكيف به فيما وراء الحياة وفي عالَم القبر، فهل يمكنه بعد هذا التفاخر بكيت وكيت بما يوجع قلوب الآخرين ويؤذيهم بالقيل والقال مع انه يحتوي على كل هذه.

وأعتقد أن التأمل في هذه الدعوة منه عليه السلام كاف للتخفف من غلواء النفس وحِدّتها بما يجعلها متعالية متغطرسة بل يُهَدِّئ من طبع الإنسان، فهو والحالة هذه أهون من أن تُسلّط عليه أقوى المعدّات للإبادة بل يفقد راحته بالبقة، ويفقد حياته بالشَرْقَة، ويفقد احترامه بين الناس بالعرق ونتانة ما يشمون منه، وهو قبل هذا ومعه وبعده لا يهتدي إلى سبيل إلاّ بتوفيق الله تعالى وتسديده وعونه، فأحسب أن التدبر ومحاولة العيش في هذه الأجواء كفيلٌ بأن يعيد الواحد منا حسابه ليتعامل مع ربه ونفسه وغيره ممن حواليه بأسلوب أكثر مسؤولية وأرقَّ تعاملاً لئلا تبدو المعايب، فيهرّج بها الأعداء ويتألم لها الأصدقاء.

وهذه الحكمة تصلح تعريفاً جامعاً لأفراد الإنسان بما يكشف النقاب عن الخصائص والمميزات.

١٥٨ - قال عليه السلام:

مقاربة[(١)] الناس في أخلاقهم أمنٌ من غوائلهم[(٢)].

الدعوة إلى التعايش السلمي، وعدم المواجهة مع الآخرين مهما أمكن، وعدم المعاكسة في الطبائع وأمثالها ما لم يتعارض مع بعض الثوابت الشرعية أو العرفية الاجتماعية وما عدا ذلك يلزم الإنسان أن يدنو من المجتمع بما يجعله أحد أفراده وغير بعيد عنهم فلا يُستفرد به ولا يُعتدى عليه ولا يغبن حقه ولا يظلم ولا يشطب من قائمة الأفراد الاعتياديين، لأن لمؤشرات الناس أثراً يهتم به العقلاء بما أن الفرد واحد والناس جماعة فلو انعزل ولم يدنو منهم فلا يضرهم

---

(١) قارَبَ، مقاربةً، قاربه: داناه. المنجد ص٦١٧ مادة (قرب)، ونحوه في اقرب الموارد ج٢ ص٩٧٧ مادة (قرب).

(٢) الغائلة: الفساد والشر. المصباح المنير ج٢ ص٦٢٦ مادة (غول).

ذلك إلاّ قليلا بينما إذا انعزلوا عنه وقاطعوه أو اجتمعوا على عدم مخالطته أو اتفقوا في حكم معين عليه فسيضره ذلك ولو من الناحية الاجتماعية التي هي المنفذ الوحيد له على العالَم الأوسع، إذ لا يمكن التخلي بسهولة عن احكام الناس ولا يستغنى عنهم لأتفه الأسباب بل لابد من المداراة والمداناة بما لا يحرِّم حلالاً ولا يحل حراماً ليستفيد من خيرهم أو ليستكفي شرهم.

وهذه الحكمة نصيحة ناصح مشفق قد جرّب الحياة وأهلها وخَبَرَهم جيداً حتى عرف أن الإنسان مهما بلغ لا يستغني عن المواصلة والاجتماع واللقاء ولكن بحدود اللياقات العامة، وأما لو زهد في هذه النصيحة أحد فلا يلومنَّ بعد ذلك إلاّ نفسه، بل ويؤشر رفضه وعدم قبوله عن عدم نضجه بل وانعدام خبرته في الحياة.

١٥٩ –قال عليه السلام:

مَنْ أبطأ به عملُهُ لم يُسرِع به نسبُهُ.

الدعوة إلى عدم الاعتماد على النسب، والحسب، والمفاخرة بالآباء والأجداد، لأن ذلك أمر ليس بعملي ولا يدوم طويلاً بل يسايره ما دام في بلد يعرفونهم أو زمان قد أدركوهم فيه، أو أناس يحترموهم وأما ما عدا ذلك فلا ينفعه شيئا بل يدل على أشياء لا تساعده على تكوين شخصية مستقلة.

والدعوة إلى أن يتوجه الإنسان إلى إثبات وجوده والاستدلال على شخصيته وما يبرزها وما يؤطرها ضمن الإطار المحبب له من خلال العمل بمختلف مستوياته المقبولة وأشكاله المتعددة التي لا تخالف الشرع أو العرف أو العقل – طبعاً –.

فإن عنوانه الاجتماعي يتكون ويكتمل بمقدار ما يقدمه من خدمات

وانجازات، وما يتركه ليخلّده بين الناس وان ابتعد ببدنه عنهم.

فالحكمة في الواقع ترشد إلى أن يُجْهِد الإنسان نفسه في مجال من مجالات الإبداع والانجاز ولا يتكل على غيره أياً كان لأن ذلك إنما يلمّع صورته ويجلّيها لو كانت هناك صورة، وذات تستحق الوجود، وأما ما عدا ذلك فلا يستحق أن يذكر ولا أن يقرن اسمه مع الأسماء بل من الضيم أن يسجل اسمه في عداد الأشخاص الذين يحترمون أنفسهم ولهم عقول ومستويات تفكير رقت بهم حيث لم يصل آباؤهم ولا أجدادهم وإنما نحتوا في الصخر ليكوِّنوا شخصية بعيداً عن الأمجاد الموقوتة، وأقرب مثال على ذلك أن الإنسان يحتاج في سفره إلى وثيقة سفر صادرة ومؤيدة من الجهة الخاصة فإذا ما انتهى مفعول سريانها أو أُلغي نفادها فهل ينفعه الاحتفاظ بها مؤطرة محفوظة أم لابُدَّ من أن يبحث عما يعززها لتكون رديفاً ومعرِّفاً يستفاد منه في بعض الحالات الخاصة، فالواقع أن الانتساب شرف للمنتسِب إذا كان بحجم الانتساب وبمستوى لا يلحق العار والشنار أو الفضيحة بالمنتسَب إليه.

وينبغي لنا أن نتعلم من هذه الحكمة درساً تربوياً في الاستقلال والاعتماد على الذات والمنجزات التي ترفع من مستوى الشخص لتتحرك عجلة الحياة بها ينفع الجميع بينما يختص النفع في حالة الانتساب بالمنتسِب خاصة.

ولعل ما حداه عليه السلام لأن يقول مقالته هذه ما كان يومها من رواج المفاخرة بين الأشخاص بالآباء والذي ما زلنا نعاني بعضها اليوم في بعض المجتمعات من الأشخاص الذين لم يقدّموا شيئاً يذكر للبشرية بل هم عيال على غيرهم ووبال على المجتمع ولكنهم في مقام التفاخر والانتساب لا يسبقهم غيرهم.

ومن الآثار السلبية للمفاخرة أنها تستثير الحزازات القلبية لدى بعض الذين لم يسعفهم الحظ بقائمةٍ من الأجداد ولا سلسلةٍ من المآثر فيكون ما

يكون.

١٦٠- قال عليه السلام:

مَنْ اتجر بغير فقهٍ فقد ارتطم[١] بالربا[٢].

الدعوة إلى أن يتعلم مزاولُ التجارةِ أحكامَ دينهِ الفقهية خصوصاً الأحكام التي تتعلق بالمعاملات والقضايا التجارية ليسلم من مشكلات الربا الذي يتورط فيه الكثير انطلاقاً من مبدأ الربح وزيادة رأس المال، مما يترك آثاراً سلبية على المجتمع إذ تتجمع الأموال لدى فئة وتكون عدة فئات عاملة لدى تلك لا يرتفع مستواهم الاقتصادي، الاجتماعي،... ولا تزيد رؤوس أموالهم بل لهم أجرة العمل وهذا مما يولِّد:

تضخماً في الثروة في جانب.

وهزالاً بيّناً في جانب آخر.

وفراراً من عمل المعروف؛ لأنه لا تشد الإنسان إلى أخيه الإنسان غير الماديات فلا يصنع معروفا بعد ذلك إلاّ مقابل منفعة، فلابُدَّ من أن يعمل كلٌّ حسب قابليته وإمكاناته وما يستطيع أن يؤديه وينتجه ليحصل بالمقابل على الربح المناسب لمادة العمل وليس بالضرورة مزاولة العمل شخصيا بل يمكن من خلال عدة حالات المهم فيها عدم استغلال جهد الآخرين؛ إذ من الآثار

---

(١) رَطَمَه: أوحَلَه في الامر لا يخرج منه فارتطم... وارتطم عليه الأمر لم يقدر على الخروج منه. القاموس ج٤ ص١٢٠ مادة (رطمه).

(٢) رَبَا المالُ يربو في الرِّبا أي: يزداد. كتاب العين للفراهيدي ج٨ ص٢٨٣، والربا على قسمين:

الأول: ما يكون في المعاوضة مع الزيادة وهو المسمى الربا في المعاملة.

الثاني: ما يكون في القرض وذلك بأن يقرضه مالاً بشرط الزيادة وهو المسمى الربا في القرض. ولمزيد التعرف على تفاصيل الأحكام للقسمين تراجع المصادر الفقهية.

السلبية للربا انه يفضي إلى قسوة القلب وعدم الرقة وعدم الاهتمام بالمشاركة في حل مشكلات الغير، بل الاهتمام البالغ بتصعيد الحالة الاقتصادية التجميعية واللامبالاة بحالة الغير بما يتركه من مشكلات قد تؤدي إلى ما لا تحمد عقباه من الجريمة والسرقة والاحتيال و... و... وكان سبب ذلك كله هو الربا، ولو فُرِضَ أن مجتمعاً كان الربا فيه حالة سائدة فانه - حتماً - يعاني من سوء توزيع الثروة وتدهور الحالة الاقتصادية للأفراد بما يجعلهم تحت وطأه الديون والحوالات وما إلى ذلك مما يعني عجزاً كبيراً بحيث يكون المدخول اليومي لا يغطي الحاجات والمتطلبات الحياتية.

ولو حاولنا التعرف على أحوال المجتمع قبل الإسلام وما عُرِفَ فيه من الاستغلال والوصولية وعدم الرابطة الخلقية بين الأفراد إلاّ بالمال والعوائد التجارية والتسلط على الضعيف وحرمانه من فرصة العمل إلاّ وفق الشروط التي تُملى عليه ليبقى عُمْرَه كادّاً فيعطي لمكتنزي الأموال وجامعيها لينشأ جيل من العاملين البؤساء لتسديد هو وعبث جيلٍ آخر من الخاملين التعساء المستغلين الجشعين الذين لا تعرف الرحمة إلى قلوبهم طريقاً وقد قاطعوا الرأفة والإنصاف وحب الخير وتعميمه فعاشوا في الحياة كما لو لم يكونوا من بني آدم أصلاً.

وقد شدّد الله تعالى النهي عن ممارسة الربا فأوعد عليه بالنار وهي أقصى العقوبات وأقساها لأنها حكم طويل الأمد في جهنم خالداً فيها.

وقد نعى على جماعة أنهم يأخذون الأرباح أضعافاً مضاعفة وأمَرَهم بتقوى الله ليفلحوا، مما يؤشر ضمناً عدمَ تقواهم وعدمَ فلاحهم فأيُّ نصيب لهم من الخير إذن وقد أبعدهم الله تعالى بسوء أعمالهم عن الرقة والرأفة، وعن الإحساس بالآم الناس والمشاركة في تحقيق آمالهم من خلال الربح المعقول.

ويستفاد أن ممارس الربا وآخذ الزيادة سواء في المعاوضات أو في الديون

يُبتلى بأنه لا يستطيع الانفكاك والتراجع وهذا ما يعني التورط والتوحل وعدم إمكانية التراجع إذ قد يتصور البعض انه يرمِّم وضعه المادي ويحسِّن وضعه الاقتصادي ثم يتوب ويتراجع، إلاّ انه يتوهم القدرة على ذلك بل اذا تعوّد على ذلك فسوف يكون همّه الوحيد؛ لأنه كالمجنون لا يرى أمامه إلاّ وهمه الذي يقوده إلى حيث النهاية المؤلمة ولذا نجد أن المرابين يموتون انتحاراً، أو الديون متراكمة عليهم، أو خسارة أو.. أو... مما لم يكونوا أعدّوا عدّته ولم يكونوا يتوقعون تلك النهاية التي لا يحسدون عليها. وقد قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾[1].

وقد رُوي[2] عن الإمام الصادق عليه السلام أنه توعَّد آكل الربا بالقتل، كما وقد رُوي أن درهماً واحداً منه أشد من سبعين مرة يزني فيها الرجل بمحارمِهِ وفي بيت الله[3]. وبعض هذا التحذير يكفي لمن كان مؤمناً بالله تعالى غير متمرّد على أوامره ونواهيه، وأما ذاك فلا يكفيه إلا مشاهدة النهاية المؤسفة ليشاهد مصيره وما أدّى اليه أكل الربا.

ومن خلال هذه المعلومات اتضح أن الربا حرام يجب تجنبه والحذر من التورط فيه وذلك كما بيّنه عليه السلام بأن يتعلم الأحكام الفقهية لئلا يتوحل في الربا فلا يستطيع الخروج منه كما هو حال التجار الذين يمارسون التجارة من دون ما معرفة لأحكامها الشرعية ومن دون مراجعةٍ للخبير في ذلك.

---

(١) سورة البقرة آية ٢٧٥.

(٢) انظر الوسائل ج١٢ باب ٢ من أبواب الربا، ح١ ص ٤٢٨.

(٣) انظر الوسائل ج١٢ باب ١ من أبواب الربا، من ص ٤٢٢ الى ص ٤٢٨.

فالدعوة إلى أن لا ينسى المسلم دينه فينساق وراء المغريات المادية والأرباح التجارية وكل ما يلهيه عن دينه من تدفق الأموال وارتفاع الرصيد المالي في البنك واقتناء المزيد وتوسع مدار العمل التجاري، بل على المسلم الانتباه جيّداً لئلا يدخل في معاملة ربوية من حيث يعلم أو لا يعلم. والمشكلة أن التبعات تترتب مهما كانت الأسباب والدوافع ولا مخلص إلاّ التعلم المسبق وإلاّ لما أمكنه الخروج ولذا عبر عليه السلام (فقد ارتطم بالربا) ليشعرنا بأن الربا إذا اصطدم به الإنسان كان من الصعب عليه التخلص منه وذلك إما للإغراء المادي أو لعدم معرفة الأشخاص المتعلق بهم الحق أو.. أو... إذ أن كثيراً من المشكلات التجارية يصعب جداً التخلص من تبعاتها ومتعلقاتها.

فالحل الأمثل هو التفقه ولو بمقدار ما يحتاج اليه المكلف بحسب وضعه التجاري.

١٦١ – قال عليه السلام:

مَنْ أَحَدَّ سنان[1] الغضب لله قويَ على قتل أشدّاء[2] الباطل.

الدعوة إلى أن ينتصر الإنسان المسلم لله تعالى ولدينه ولا يخشى شيئاً ولا يخاف أحداً فانه إنْ قويت عزيمته وصدقت نيته في ذلك أمكنه الوصول إلى ما يصعب على غيره الوصول اليه لأنَّ المهم أن يحدَّ سيفه غضباً لله تعالى لا لنفسه أو لأحد بحيث لا تكون بينه وبين المقابل أية عداوة أو حزازة أو ثار، وإذا لم يكن شيء من ذلك فلا يتوجه نحوه بذلك الدافع بل بدافع أقوى وعزيمة اصلب وهو أن يثأر لدين الله تعالى وينتصر له عز وجل.

(١) السّنان: نصل (أي حديدة) الرمح. المنجد ص ٣٥٣ مادة (سن).

(٢) أشدّاء جمع الشديد: القوي. المنجد ص ٣٧٨ مادة (شدّ).

وعليه، فإنه يتغلب حتى على الأقوياء الأبطال لأنه مزوّد بطاقة خارقة خاصة يتزود بها مَنْ كان فدائياً لدين الله سبحانه. ومعلوم أن الإنسان يواجه في حياته اليومية الكثير من حالات التمرد والعصيان وإعلان المعارضة القوية لأحكام الله تعالى وشرعه مما يثير حفيظة المؤمن فيكون بين أمرين إما أنْ يتكلم بكلمة الحق لحساب الحق وبدافع إيماني، واما أنْ يسكت فيكون خاذلاً عاصياً خانعاً ضعيفاً، فإذا ما عرف المؤمن أنه موعود بالنصر والغلبة مادام قصده وهدفه نبيل ولم تتدخل الحسابات الشخصية في الأثناء فإنه يندفع نحو الهدف بكل حماس وثبات ومعنوية عالية ليُنجز واجبه الشرعي فإما أن ينصحه أو يواجهه مواجهة أخرى وقد حددت - المواجهة - بشروط معينة لا يستطيع أحدٌ تجاوزها، وإلا لأصبح عاصياً - هو - أيضاً وتفاقمت المشكلة.

فإنّ الحاجة تكاد تكون معدومة إلى المندفعين من دون ما تعقّل بينما إنّا نحتاج المتوازنين الذين يتحسبون للعواقب ويدرسون ويخططون ليضمنوا النجاح المثمر.

فليس من المقبول - دائماً - المواجهة المسلّحة أو اللا أخلاقية بل على الإنسان أن يبدأ أولاً فأولاً فإذا ما استعصت الأمور فيلجأ إلى الحل الثاني وهكذا يتسلسل لئلا يعطي انطباعاً غير صحيح عن الدين وأهله بما يجعل البعض ينظر وكأن أهل الدين متعصبون مستميتون يحملون روحاً عدوانية ضد الغير وغير مستعدين للمفاهمة بل لغة الخطاب بينهم ومنهم المقاتلة...، أن هذا خاطئ، ربما يمارسه بعض المتدينين، لذا فعلى المؤمن أن يدرس الحالة جيداً ثم يُقْدِم ليرى كيف نصر الله تعالى له وتأييده لدينه إذا ما كان الانتصار والحمية له سبحانه.

١٦٢- قال عليه السلام:

مَنْ استبدَّ(١) برأيه هلك، ومَنْ شاور(٢) الرجال شاركها في عقولها.

أنْ يطلب الإنسان النصيحةَ من أحدٍ، ويحاول أن يتعرف الآراء في أمرٍ، لا يُعَدُّ نقصاً في عقله أو ضعفاً في رأيه، ولا يؤشر أي مؤشر سلبي ضده، بل على العكس يدل على فطنته وتكامله من خلال تعرّفه على آراء غيره فلا ينفرد باتخاذ القرار ما لم يطّلع على بقية الآراء والمقترحات من أجل الإلمام بجوانب الموضوع إلماماً تاماً بحيث لا يترك كل ما ينفعه إلا اطّلع عليه ولو رأي الإنسان الاعتيادي البسيط بحسب مقاييس الناس وتصنيفات مراتب المجتمع، إذ قد يكون لديه من التجربة والخبرة ما يثري الموضوع بحيث تكون النتيجة محمودة وجيدة وهذا ما يبتغيه كل أحد - غالباً -.

بينما إذا انفرد بالأمر مستقلاً فانه يدل على ضيق الأفق وعدم النضج ونقصان العقل لأنه لم يقف حيث ما يجب عليه الوقوف والإنصات لصوت العقل الذي يخرج من أفواه المحنّكين ذوي التجربة والخبرة.

وقد يتصور البعض أنّ إطلاعَه غيره على شؤونِه الخاصة يُعَدُّ منقصةً، أو إنّ إدلاء الغير برأيه يُعَدُّ تدخلاً وفضولاً، ولذا قد يقابله بالجفاف والجفاء ولعله بذلك يقطع سبيل المعروف فلا يتشجع أحدٌ على معاونة غيره برأي أو نصيحة وهذا أمر موجود منتشر، ولذا كان محط نظر الإمام عليه السلام ومحل اهتمامه في هذه الحكمة حيث نبّه إلى ضرورة أن يقف الإنسان ليتفهم رأي الرجال العقلاء المجربين؛ لأنه بذلك يضيف لنفسه معلومات جديدة ما كان ليتعرف عليها

---

(١) انفرد به مستقلاً. المنجد ص ٢٨ مادة (بّد).

(٢) شاورَه في الأمر: طلب منه المشورة (النصيحة). المنجد ص ٤٠٧ مادة (شار).

لولا المشاورة وطلب إبداء الرأي وتوجيه النصيحة، وأما إذا استقل ولم يستخبر الأمر من صدور الرجال فإنه يتورط فيما لا يحمد عقباه وتكون النتيجة سلبية ليست لصالحه ويؤشر عليه علامة لا يقبلها لنفسه أكيداً.

وهذا أمر يعم الشاب والكهل والشيخ - أحياناً - والمرأة والعالم والجاهل والمِهَنِيّ والأستاذ و.. و... من شرائح المجتمع؛ لأن لكل واحد من هؤلاء وغيرهم حاجاته المتنوعة التي ليس من الممكن إحاطته التامة بجوانبها كافة بما يوضح له الصورة جيداً لكي يمكنه الحكم الأكيد ما لم يَسْتَشِرْ أحداً.

١٦٣ - قال عليه السلام:

مَنْ استقبل وجوه الآراء عَرَفَ مواقع الخطأ.

عندما نعيش أجواء هذه الحكمة لا نبتعد كثيراً عن الأجواء التي عشناها في الحكمة السابقة؛ إذ أنهما يشتركان في قاسم مشترك وهو لزوم تعرّف الآراء وتتبعها قبل البت في أمرٍ مهم لأن الإحاطة بالآراء تجعل الإنسان قادرا على التمييز بين الصحيح وغيره وبين الصحيح والأصح وهكذا بحيث يفرق بين درجات الاصابة والخطأ وهذا ما كان ليتم لولا سماع أو استطلاع الآراء وحبذا لو كانت من جميع الأطراف الموالية وغيرها لتكون الإحاطة أتم، ومن المؤكد أنّ حصيلة ذلك تعود على الإنسان المستطلع للآراء بالفائدة والمصلحة لأنه يخطو خطوته المقبلة في ضوء هذه الحزمة الضوئية التي استجلاها من آراء المجرّبين الحكماء العقلاء، إذ ليس المقياس في صحة الرأي والحكمة هو التقدم في السن بقدر ما هو في التجربة وقِدَم الخوض في معترك الحياة ليتقدم وهو منفتح الآفاق نحو التكامل ونيل الأحسن ولا يتحجر عند حدود الموروث والتقليدي بل يبقى عندهما ما داما ينبعان من منبع الفضيلة والتكامل كالقرآن والسنة والآداب

الشرعية وما إلى ذلك مما يصب في مصب الفضيلة والتكامل، وإلا لانصرف عنهما باحثاً عن الأنفع.

فالدعوة إلى عدم المسارعة باتخاذ الموقف والقرار قبل استطلاع الآراء وتقليب النظر بينها ليمكن استنتاج الشيء الأصلح الذي يقوّم الإنسان ويحسّن من وضعه، ومن المؤكد أنه بهذا هو الغانم فلا ييتئس ويعدّها تقليلاً من مستوى عرضه وتحليله للأمور بل على العكس لا يتوفر الإنسان على مستوى العرض الجيد، ما لم يلم بآراء غيره لتتفاعل ضمن المصلحة والفائدة.

١٦٤ – قال عليه السلام:

مَنْ أسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه بما لا يعلمون.

قد تقتضي المناسبة أن يشارك الإنسان في الحديث عن شيء معين وخصوصاً إذا كان يتعلق بإنسان مثله، وتكون مشاركته تلك مادةً للحديث عنه والانتقاص من قدره والتحدث عنه في المجالس حتى بما ليس فيه مما يمس وضعه الاجتماعي وتحركه في مواقع الحياة، فالأفضل أن يضبط الإنسان لسانه عواطفه، تحمساته،... كي يتجنب النتيجة السلبية؛ إذ الإنسان وحده هو الذي يقرر مسيرة الشائعات في حقه فقد تكون مادة خدمة وإعلان مجانية، وقد تكون مادة تشهير وإساءة بما يجعل الإنسان مفتوح العينين والقلب ليحسم الأمر إما له أو عليه.

ولكن الإمام عليه السلام يؤكد بأن الإنسان إذا تحدث سواء بالقول أو بالكتابة أو بالقيام بفعل معين عن الغير بالشيء الذي لا يريد شياعه وانتشاره وما فيه تحريش أو امتهان ضد الآخرين، فإنه يعطي المبرر الكافي لأن يطلق الغير لسانه بما فكر فيه وما لم يكن قد فكر فيه تشفياً وانتصاراً للنفس والكرامة.

فالدعوة إلى أن لا يتحدث الإنسان عن غيره إلا بمثل ما يحب – هو – أن يتحدثوا عنه، وإلاّ لأصبحت سوق الكلام والمهاترات الكلامية رائجة يعرض كلٌ بضاعته ويبرز عضلاته ويكشف عن المزيد من قدراته ليردّ بذلك ما صدر بحقه ولا تنحسم القضية لصالح احد بشكل ايجابي مقبول، فالعقل يطالب بدور كبير ليقود المسيرة نحو السلم والحد من المهاترات المضرة بالسمعة والمكانة الاجتماعية.

والأهم من هذا وذاك قوله تعالى ﴿**مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾ [1] ولا أحسب عاقلاً يرضى لنفسه الوقوف للمسائلة يوم القيامة لاجل شيء كان من الممكن التغاضي عنه وتحاشي الوقوع فيه كي تمر الأزمة – إن كانت واقعاً – وإلا فأغلب المواقف المتشنجة من تأليف وحبك إبليس أعاذنا الله تعالى جميعاً من شره بما يلزم الإنسان أن يكون متأنياً قبل البدء بالحكم على أحد لئلا ينساق وراء إيماءات إبليس وتسويلاته الوهمية فيخسر الإنسان مواقفَ وأشخاصاً.

١٦٥ – قال عليه السلام:

منْ أشرف أعمال الكريم غفلته عما يعلم.

الدعوة إلى أن يتغاضى ويتغافل الإنسان عن الإساءة، وعن أذى الغير، وأحقادهم، ومشاحناتهم، وعيوبهم، ومساويهم ليمكنه التواصل معهم بما قد يجدي نفعاً وان لم يكن فانه يكتسب لنفسه الحسنات بالإغضاء والتحمل، وهو أمر ليس بالسهل ولذا أعطاه الإمام عليه السلام درجة الأشرفية ليرغب فيه الإنسان ويحاوله ولو لمرة ثم ليتعوّده تدريجياً، وفيه من الفوائد الاجتماعية والشخصية

---

(١) سورة (ق) آية (١٨).

أيضـاً الـشيء الكثير لأنـه إذا التـزم كل واحد بـأن يتغافل عما يعلمه من إسـاءة ومساوئ فلا تتأجج نار الأحقاد والثار والعداوات المستدامة المتوارثة ولخمدت نـيران تلك الفتن البغيضة ليحل محلها الوئـام والصفاء والتحابّ والتواد لتعمر الأرض ولتنشـأ الأجيـال الصاعدة على حالـة التصافي والتغاضي عن الإسـاءة والمسـاوي ليتعلمـوا بذلـك دروسـاً تربويـة بشـكل منهجـي يومي مـن خلال الاحتكاك بين الأفراد وبشكل عملي لا مجرد استعراض نظريات ورفع شعارات جوفاء، ولذا لانجد في كثير من الحالات ردوداً مناسبة لها والسبب أنها جوفاء لم يقتنع بها رافعوها ومنشؤها.

وأحسـب أننا جميعاً نود أن نوصـف بوصف (الكريم) لما يحمله من معانٍ نتشوف إليها ونتشوق لأنه يختصر تعاريف عديدة لشخصية الفرد مما يعتز بها.

فلابُدَّ مـن اجـل الحصول على ذلـك الوصف أن نتعـود الغفلة عما نعلمه من مسـاوئ الغير وعيوبه وعن إسـاءته لنـا وعلينا لنعيش من دون مشـكلات وحزازات مزعجة.

١٦٦ – قال عليه السلام:

مَنْ أصلح سريرته [١] أصلح الله علانيته، ومَنْ عمل لدينه كفاه الله أمر دنياه، ومَنْ أحسن فيما بينه وبين الله كفاه[٢] الله ما بينه وبين الناس.

إن الإنسان – غالباً – يهتم في دنياه بأن يكون مظهره وما يواجه به الناس حسناً فلا يريد أن يُكَوَّنَ عنه انطباع: بأنه سلبي في تعامله، أفكاره.

ويهتم أيضاً بأن يكون مكفي المعيشة وسائر القضايا الحياتية.

---

(١) ما يكتم – القاموس – ج ٢ ص ٤٦ مادة (السِر)، وأيضاً بمعنى النية، المنجد ص ٣٢٨ مادة (سر).
(٢) قد رُويتْ في بعض النسخ بلفظ (أحسن الله ما بينه وبين الناس).

ويهتم بأن يكون بعيداً عن المشاكل والمتاعب التي تحدث من أثر الاحتكاك مع الناس بما يجعله مهموماً، مشغول الفكر لذلك.

هذا كله بحسب الحالة العامة الطبيعية ولا يهمنا النادر الشاذ ممن لا يهتم بأيٍّ من هذه الثلاث.

وقد عالج الإمام عليه السلام هذه الثلاثة بما يؤمّن للإنسان الاعتيادي التوفر عليها وعدم الخوف من انعكاساتها، وذلك:

١- بأن يكون سرّه، وما ينطوي عليه، وما يضمره في نفسه صالحاً وايجابياً سواء مع ربّه أو مع الآخرين، وهذا الإصلاح للسر وحُسن الطوية يضمنان - إلى حد كبير - المظهر الجيّد والعلانية المحمودة والسمعة الطيّبة والثناء من الناس و.. و... مما يسعى له الإنسان، والسر في ذلك أنه متى كان سلوكه الداخلي إيجابياً فإنه يتصرف ظاهرياً كذلك لأنه تعوّد على التصرف الحسن ومن الطبيعي أن يكون مأجوراً من الله تعالى، محموداً عند الناس.

٢- بأن يعمل للدين ويحافظ على التزاماته الشرعية ولا يفرط بعقيدته وشعائره الدينية المقدسة ليتأمن له الجانب الدنيوي من المعيشة والصحة والأمان و.. و... مما يحتاج اليه وهو ضروري بالنسبة اليه، لأن **﴿مَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجعَل لَهُ مَخرَجاً وَيَرزُقهُ مِن حَيث لا يَحتَسِب وَمَن يَتَوَكَّل عَلى اللهِ فَهُو حَسْبُه إنّ اللهَ بالغُ أَمرِهِ قَد جَعَلَ اللهُ لِكلِّ شيءٍ قَدراً﴾**[1].

٣- أن يكون متقياً لغضب الله، خائفاً من الله، مراقباً لله، يتعامل ويتحرك في جميع مرافق الحياة الخاصة والعامة على قناعة تامة بأن الله معه يحصي عليه تصرفاته ويحاسبه عليها إن خيراً فثواب وإن شرّاً فعقاب، ليرتاح من مطبات الشيطان وما يزينه للإنسان من إغواءات ومزالق وعثرات غير مكشوفة؛ لأنه

---

(١) سورة الطلاق آية (٢-٣).

بذلك يكون قد وصل إلى ساحل الأمان فتخلّص من الفتن والانحرافات سواء في التعامل السوقي أو البيتي العائلي أو العاطفي أو الفكري أو... وعليه فيجازيه الله سبحانه بأن يكفيه مؤنة وصعوبة حاجاته إلى الناس فيذلل له كل العقبات وتكون حوائجه ميسّرة فلا يهتم لشيء لدى الناس لأنه أطاع رب الناس فسيطر عليهم من خلال ذلك.

وقد وردت هذه الفقرة في بعض النسخ (ومن أحسن فيما بينه وبين الله أحسن الله ما بينه وبين الناس) وعليه فهي ضمان بأن تكون علاقات الإنسان الاجتماعية إيجابية وحسنة ومرضية وجيدة بشرط أن تكون علاقة العبد مع ربّه تعالى حسنة؛ وذلك كما تقدم بيانه من حيث المواظبة على امتثال الأوامر، والكف عن النواهي. وكل هذه الثلاث أمرها بسيط وسهل على كل فرد ليحصل بالمقابل على ما يسعى اليه.

فالدعوة إلى الخوف من الله تعالى في السر والعلن، والالتزام التام بالواجبات الشرعية، وبما يرضاه تعالى لتتم له الضمانات الثلاث فلا يخاف بعدها شيئاً.

١٦٧ - قال عليه السلام:

مَنْ أطاع التواني [١] ضيّع الحقوق، ومَنْ أطاع الواشي [٢] ضيّع الصديق.

الدعوة إلى أمرين:

الأول: أن لا يتعود الإنسان التسويف والتهاهل بل يهتم بما يناط به ويكلف

(١) توانى في الأمر توانياً: لم يُبادر إلى ضبطه ولم يهتم به فهو متوانٍ أي غير مهتم ولا محتفل، المصباح المنير ج٢ ص ٩٢٨ مادة (ونى).

(٢) النمّام. المنجد ص ٩٠٣ مادة (وشي).

بتنفيذه؛ لأن البطء في التنفيذ وعدم الإسراع يؤشر سلباً على عدم الاهتمام وعلى اللامبالاة فيكدر الصفاء ويبذر بذرة الشقاق بين الإخوان والأصدقاء والمعارف بما يُفْقِد الإنسان أشياء عزيزة عليه فلا تُرعى حقوقه كما أنه لم يراعِ حقوق غيره، ويستهان بأمره كما قد استهان بأمر غيره و.. و... فيعامَل بالمثل فتضيع الحقوق خصوصاً وأن عدم المبادرة لمن يستحقها لمعروف سابق نحوه بما يرتب حقاً ولو اجتماعياً، - ان عدم المبادرة- يعني التجاهل الذي لا يرضاه أحد لنفسه من الآخرين.

فالدعوة إلى أن لا يتوانى الإنسان في حق غيره لئلا يفقده فيخسره، ومن المعلوم أن التواني من الطبائع المتأصلة عند البعض ولذا كان الاهتمام بأن يبتعد عنه الإنسان ولا يتعوده.

الثاني: أن يتأنى الإنسان قبل إصدار الحكم على أحد بمجرد سَماع خبر معين سلباً أو إيجاباً وهذا كقاعدة عامة أمر صحيح يقرّه العقل ويجري عليه العقلاء إلا أنه في الجانب السلبي تكون الحاجة أدْعى لالتزامه والعمل على طبقه إذ قد يقوم بعض الأفراد بدور المخرِّب بين الأشخاص فينقل الأخبار الكاذبة أو المضخَّمة والمبالَغ فيها ليتأذى بعضهم من بعض ولتدبَّ القطيعة والهجران بينهم بما يفقدهم التكاتف والتآزر والتحابّ والتصافي والتآخي و.. و... مما كان في سابق العهد وهذا على المستويات كافة يعود بالخسارة على كل الأطراف فلذا من المهم جداً أن يحسب الإنسان خطواته في هذا الطريق الذي تكثر عثراته ويكثر الراصدون فيه لمن يريدون الوقيعة يبتغون الفتنة.

ولو لم نلتزم بهذا لخسرنا الكثير من الأهل والأحباب والأصدقاء والمعارف والزملاء، وكفى بهذا مذمة ومنقصة يحس بها الواحد منا في نفسه فينتقد سرعة تصرفه وعدم تثبته.

فالدعوة إلى التزام الحذر في حالتين: الأولى عدم تضييع الأخوان والمعارف من خلال التهاهل في أداء حقوقهم، والأخرى عدم التسرع وترتيب الآثار بمجرد الكلام المنقول بل لا بُدَّ من التريث والحزم ومتابعة العقل لا العاطفة؛ ليتجلى الأمر بما يجعل الحكم واضحاً ومنطقياً. لأن هاتين الحالتين من الحالات التي يترصدها الشيطان للإنسان ليوقع بينه وبين بقية الأطراف العداوة.

١٦٨- قال عليه السلام:

مَنْ أطال الأمل أساءَ العمل.

بيان لحقيقة مؤكدة وملموسة من قِبَل الكثير فمَنْ يطول أمله بالدنيا ومغرياتها وما تَعِد به الإنسان، فإنه سوف ينصرف عن العمل الأبقى والعمل الأنفع، ويتوجه بكُلّه إلى حيث المغريات الجذابة، فيترك العمل أو يكون بمستوى متدني بما يؤكد حقيقة الابتعاد عن الآخرة والإقبال على الدنيا.

وقد سبق القول بأنّ الدنيا غير مرفوضة تماماً وأيضاً غير مقبولة تماماً بل بالمقدار النسبي الذي يتساير مع الخط المستقيم الذي حدَّده الشرع وأقرته الشرائع السماوية.

إذن فليس معنى الحكمة أن يزهد الإنسان في الدنيا ويترك شؤون الحياة بالشكل المشروع، بل الحكمة تؤكد على شيء له أهميته البالغة والتي يتناساها البعض ويتغافل عنها فلا ينظِّم حياته ولا يبرمج وضعه الحياتي بل يتوجه لجانب على حساب آخر مع أن التوازن هو المطلوب، ومن ثمار ذلك أن لا يطول أمل الإنسان ولا يدوم تعلّقه بها ولا يتعمق في داخله حبّها لئلا يؤثر سلباً في عمله الذي يقربه إلى الله تعالى ويجعله طلق اللسان والمحيا عند المساءلة العسيرة التي من المؤكد حدوثها يوم القيامة.

فالدعـوة إلى أن يجدَّ الإنسـان ويجتهد ولا يترك العمل لحسـاب الدنيا بل يكـون عيشـه في الدنيا كرحلـة مؤقتة ثم ينتقل إلى ما بعد هـا من مقاطع أخرى، فالدنيا وبعدها القبر وبعده الحسـاب وبعده المقر النهائي الذي يمكن للإنسـان معرفته ولو نسبياً من خلال العمل وقابليته في ذلك.

١٦٩- قال عليه السلام:

مَنْ أيقن بالخَلَف جادَ بالعطية.

إنّ من المعلوم المؤكد أن النفس الإنسـانية لا تسـمح بالعطاء إلا إذا مالت لذلـك واقتنعـت بـه، أو إذا عـاد عليهـا بعائدة ومنفعـة، وما عدا ذلـك فيكون الالتواء والتملص خشـية الدفع، ولكن هناك اسـتثناء لهذا الشيء العام وهو أنَّ الـذي يعلم أكيـداً أنّ ما ينفقه ويعطيه سـيعود عليه إضعافاً سـواء أكان بصورة المال أم غير المال مما يكسـب الإنسان مادياً أو معنوياً، وقد يكون أحياناً كثيرة في أمَسّ الحاجة إلى الحفظ أو الوقاية من الآفات والأمراض أو الحماية من الأعداء أو تيسـير الحوائـج أو.. أو... مما يحتاج إليه الإنسـان ولا يسـتغني عنه بينما المال يمكن الاسـتغناء عنه إذا قضيت الحوائج وتمت اللوازم فلا يجد الإنسان العاقل بعد ذلك أية حاجة إلى المال لأنه وسـيلة لا غاية فإذا حصلت الغاية فيكون المال شأنه شأن غيره مما لا يبالي بوجوده الإنسان لعدم احتياجه اليه.

ومن الحالات التي نحتاج فيها إلى استذكار هذه الحكمة: حالات تدخل في إطار ديني، وأخرى تدخل في إطار اجتماعي.

فالتـي تكون دينية فلِكَي يقتنع الإنسـان بضرورة تطبيق الأوامر الشرعية في الجانـب المالي من الخمس والـزكاة والكفارات المترتبة والنـذر والوقف، فإنه إذا سيطرت عليه أفكار الحرص والشح فلا يمكنه تنفيذ الحكم الواجب التنفيذ

بينما إذا عرف انه سيخلَف عليه فانه يتشجع أكثر للعطاء أي لضمانه المكسب المقابل.

والتي تكون اجتماعية فكالصدقات المستحبة والمعونات والمساهمات في المشاريع الخيرية وسائر ما ينفع الإنسان ويبقى أجره في الآخرة فإذا لم يدرك هذه الحكمة فلا يمكنه الدخول في هذا المضمار، وعندها سيكون المردود السلبي على المجتمع لاحتوائه العناصر الغنية والفقيرة كافة بما يجعل الحالة غير متوازنة: بعضٌ يعاني وطأة الفقر والحاجة، وبعضٌ تتوفر لديه المقومات الكافية لإنقاذ أولئك والمساهمة في رفدهم وحل مشكلاتهم وعندها لا تكون الكفة متوازنة.

فالدعوة إلى الإنفاق سواء أكان المطلوب شرعاً أم المرغوب فيه لعوائد على المنفق والمنفَق عليه، وأنْ لا يُحْجِم الإنسان عن ذلك لاعتبارات وقضايا لا تعود بالفائدة لا عليه ولا على المجتمع.

وفي الحقيقة تُشَكِّل الحكمة في واقعها قانوناً ثابتاً تفسر به حالات الإقدام على الدفع والعطاء وكذلك الحالات المعاكسة إذ لو تيقن لدَفَع، لكنه لم يؤمن بأصل الفكرة فكان يتصور أن المنتفع بعطائه هو الفقير فقط، وعندما افتقد مودة مع الفقير حَاوَلَ محاصرته وحجب الفائدة عنه، إلا أنّ الانتفاع في الواقع يعم كلا الطرفين، وفوق هذا وذاك ففيه رضا الله تعالى وهو الذي ينبغي أن يسعى للحصول عليه العبدُ المطيعُ حقاً الذي لا يكتفي برفع الشعارات دون التطبيق.

١٧٠ - قال عليه السلام:

مَنْ تذكرَ بُعْدَ السفر اِستعدَّ.

إن الموتَ ومفارقة هذه الحياة الدنيا حقيقةٌ أكيدة وإن صعب على الكثير قبولها والمعايشة معها على أساس ذلك، فقد يلجأ بعضهم إلى الإنكار أو الخوف

وعدم الخوض في كل ما يتعلق بالموت أو.. أو... مما ينسيه ذكر الموت مع أنه لا يخدم الإنسان بل يهيأ له الفرصة للتناسي والتهاهل والتكاسل والابتعاد عن خط الله تعالى فينساق وراء أهوائه وملذاته وما توحيه له أفكاره المتشعبة بالمزيد من عدم الانضباط والانفلات فينتج الإقدام على المعاصي، وعدم التقوى، وعدم الورع عن المحارم وانهيار كل الحواجز عن الحرام بكافة صوره وأشكاله.

ولئلا يبقى الإنسان طويلاً في ذلك السبات[١] كانت هذه الحكمة وبالشكل الذي لا يرعب ولا يخوّف بل قد استعمل عليه السلام الكناية والإشارة لمقصوده من خلال التشبيه بحالة معاشة لكل أحد وهي السفر الذي يتنوع بطبيعته إلى قريب وبعيد، والإنسان بحسب طبيعته يستعد للسفر البعيد استعداداً جيّداً ليضمن توفير احتياجاته وعدم قصور شيء عن مطلوبه في السفر.

ومن المشابه لذلك الموت فإن الإنسان يرتحل إلى عالَم آخر وينتقل إلى حياة أخرى فيها الكثير من المميزات عن هذه الحياة الدنيا وبطبيعة الحال يحتاج ذلك الارتحال والانتقال إلى الاستعداد، وتهيئة لوازم، وتحضير مسبق، وكل ذلك ينحصر في العمل الصالح الذي يتجلى من خلال عبادة الله تعالى والالتزام بأوامره والابتعاد عن نواهيه، ولا أعني بالأوامر الصلاة والصوم والحج... بل إنّ هذه من أوضحها وألصقها بالحياة الفردية اليومية أو السنوية ولكن ما يشمل الصدق، الوفاء، الالتزام والانضباط، الأمانة، المروة، الإخلاص في العمل، التعايش السلمي من دون ما حقد وضغينة، بر الوالدين، صلة الرحم...، وأيضاً لا أعني بالنواهي الكذب وشرب الخمر والزنا والسرقة... بل هذه مما ورد التأكيد على الابتعاد عنها صريحاً وأكيداً في الكتاب والسنة ولكن ما يشمل خلف الوعد، الخيانة بكل مستوياتها، الشذوذ الجنسي بمختلف أشكاله، الالتواء

(١) النوم أو أولّه. المنجد ص٣١٧ مادة (سبت).

في المعاملات التجارية والمصرفية مهما تعددت صورها، عقوق الوالدين، قطيعة الرحم، إيذاء الناس، الإضرار بالآخرين ولو كانوا من الحيوانات أحياناً، الحقد، العداوة المتأصلة، النميمة، الغيبة، الوشاية، الاعتداء على أعراض الناس. فإذا كان الإنسان بمستوى التزام الأوامر والابتعاد عن النواهي كان مستعداً للسفر ومتذكراً له باستمرار؛ لأن كلاً من الالتزام والابتعاد يكفي للحيلولة دون المعصية والوقوع في المحذور.

١٧١ - قال عليه السلام:

مَنْ ترك قول لا أدري أُصيبت مقاتله[١].

تنبيه على لزوم الحذر، وأخذ الاحتياط الكافي عند الإجابة عن الأسئلة، وعدم الانسياق وراء العاطفة أو الإثارة أو الوعود أو التخويف، بل لابُدَّ من التثبت والتأمل قبل الجواب، إذ لو لم يتأمل قبل الجواب فمن الممكن جداً أن يعثر ويخطئ فيتورط هو أو يورِّط غيره في متاهات ومشكلات.

فالدعوة إلى أن لا يجيب الإنسان على كل ما يطرح عليه من الأسئلة بل يتعود الإجابة على بعض الأسئلة بالنفي وعدم المعرفة والاطلاع؛ لأن ذلك كفيل بنجاته وتخليصه من العداوات والخصومات والنهايات المؤسفة، كما أنه كفيل بإبعاده عن الارتجال والتسرع في الأجوبة بما يكشف عن عدم نضجه الفكري، أو عدم إحاطته الثقافية.

وَمَنْ يتسرع ويتعود الإجابة، والإفصاح، والكشف عن كل ما يعرف

---

(١) المَقَاتِل جمع المَقْتَل: العضو الذي اذا أُصيب لا يكاد صاحبه يَسْلَمْ كقطع الرقبة، أو الضرب على منطقه القلب أو الرأس أو قطع بعض الأوردة والشرايين ونحو ذلك. انظر المصباح المنير ج٢ ص٦٧٢. والمنجد ص٦٠٩ مادة (قتل).

فحتماً سيصل في يوم من الأيام إلى حالة من الندم والأسف على مبادرته إلى الجواب لأن (**رُبَّ كلمة سلبت نعمة**) (الحكمة١١٦) وأوصلت متكلمها إلى مصير مجهول أو حال يؤسف عليه كالفقر أو الذل أو الابتعاد عن حالةِ خيرٍ كان فيها.

وهذه الحكمة أحوج ما نكون لها نحن المسلمون إذ يحيط بنا المتربصون بنا ويبغون لنا الشر فكثيراً ما يُسْتَدْرَج الواحد منا إلى حيث يريد عدوه من خلال كلامه فيحقق بذلك أمنية الأعداء والأشرار، ويفتَّ عضد الأولياء والمخلصين.

ويمكننا استشفاف عدة محاور تدور حولها هذه الكلمة فنستفيد منها دروساً تربوية تنفعنا في حياتنا العامة و الخاصة.

فمنها: أنّ الإنسان الذي لا يسيطر على لسانه فقد ينطق بكلمة تُحسب بحساب الكفر والتجاوز على الذوات المقدسة فتترتب عليه بعض الآثار الشرعية كالحكم بارتداده.

ومنها: أن الإنسان إذا لم يضبط لسانه بضابطة تحصي عليه ما ينطق به فسيتحمل أوزاراً وأحقاداً وتبعاتٍ أخر.

ومنها: أن الإنسان إذا حلف كاذباً أو وعد كاذباً فسيتعرض للمساءلة والمحاسبة مع العقوبة المناسبة.

ومنها: أن الإنسان إذا تكلم عن الناس بما يكرهون وبطريقة جافة فسيتحمل العداوة إن كان حقاً، وان كان باطلاً فالعداوة والعقوبة فيدخل تحت عنوان الغِيبة والبهتان اللذين توعد الله تعالى عليهما بالنار لأنهما من الذنوب: قسم الكبائر.

ومنها: أن الإنسان إذا أبدى ما يعرفه عن أحد فمن المحتمل قوياً

تعرض ذاك الشخص لضرر في السمعة والشخصية الاجتماعية، أو في البدن أو... فيكون بذلك متسبباً في تحطيم مستقبل أخيه الإنسان، أو لحوق الأذى به بمختلف حالاته.

وعلى كل حال فالدعوة تتابع حال الإنسان من حيث المنطق فتشير إلى ضرورة الموازنة بين النطق والسكوت لئلا تكون الخسارة على بعض الأطراف ومن ثم الندم وقد تتطور الأمور إلى العقوبة الأخروية أو العداوة الدنيوية.

١٧٢ - قال عليه السلام:

مَنْ جرى في عنان[(١)] أمله عثر بأجله.

الدعوة إلى أن لا يتمادى الإنسان كثيراً في مشاريع المستقبل وطموحات الأيام لأنه سيصطدم بالموت والرحيل وتوديع هذه القضايا بمجموعها العام المشروع وغيره، والمناسب لوضعه وغير المناسب، بل عليه أن يتعقل الأمور وينظر لها بمنظارها المناسب والصحيح لتسلم له النتائج فتكون مما يهيئ له فرصةَ تقدُّمٍ مناسبة مع مقياس حياته في المجالات كافة.

فإن مشكلة الكثير أنه إذا تمكن من المنصب والجاه أو الأموال أو كثره الأولاد والأتباع أو النفوذ والسيطرة في بعض مناحي الحياة، فيتحول إلى إنسان غير اعتيادي في أفكاره وتطلعاته المستقبلية بما يوضح الصورة في أنه مغرور بما أتاه، مخدوع بما لديه، قد غفل عن إمكانية تحوُّلِه إلى حالة أخرى، وقد نسي أنه بحكم الضيف في هذه الحياة مهما بَقي، ولم يلتفت إلى أنه موجود فيها بإرادة الله سبحانه فعليه أن يسعى جاهداً لنيل رضاه والعمل بطاعته من دون ما مخالفة أو

(١) العِنان: سير اللجام الذي تُمسك به الدابّة. القاموس المحيط ج٤ ص٢٤٩.

تغافل عن الأساسيات والتي منها انه سيحاسب يوم القيامة عن أعماله ويجازى حسب ما يستحق من دون ظلم أو حيف.

فالحكمة تحمل معنى كنائياً تعبيرياً عن ذم حالة الاغترار بالدنيا وما تُوهِمُ به الإنسان لينساق وراءها ثم تتركه يسعى لاهثاً متلهفاً لا يدري أين يتجه؟ وماذا ينفعه؟ وبماذا يتمسك لينجو مما هو فيه؟

فاللازم أكيداً أنْ لا ينسى الإنسان حقيقة (الأجل) الموعود بحلوله للرحيل فعليه أن يتهيأ ويستعد كمَنْ يريد السفر إلى مكان آخر فيستعد لذلك جيداً ويلاحظ من وقت لآخر ساعةَ الانطلاق والمغادرة لئلا تفوته فرصة التزود وأخذ اللازم الضروري والإنسان أحق بهذا الاستعداد والتزوّد ليلقى ربه سبحانه وهو صالح العمل، طاهر الثوب، نقي السريرة.

١٧٣ – قال عليه السلام:

مَنْ حاسب نفسه ربح، ومَنْ غفل عنها خسر، ومَنْ خاف اَمِنْ، ومَنْ اعتبر أبصر، ومَنْ فهم علم.

الدعوة إلى اعتماد عدة أمور، واعتبارها أشياءً ضرورية أساسية ليتعود الالتزام بها والتعايش معها على أساس من الاطمئنان بجدواها وأهميتها وفعاليتها الكبيرة في حياة الفرد والمجتمع، وهي:

١ – أن يحاسب الإنسان نفسه ويعدَّ أفعاله وأقواله ويحصي ما صدر منه ليتعرف على خطئه وصوابه في كل ذلك فيتحرك في ما بعد على خط الصواب والحكمة ولا يُجرُّ لتلك المواقف فيما بعد.

ولو آمن الإنسان فعلاً بأهمية المحاسبة وعملية الإحصاء اليومي وما

تنطبع به أفعاله وأقواله من طابع الانضباط والدقة وعدم التسرع والانفلات - لو آمن حقاً بذلك - لصار يتصرف ويتلفظ بموجب ضوابط والتزامات فلا ينفعل لأنه يعرف انه سيندم أو سيُحاسَب على ذلك فيضبط أعصابه، ولا يتسرع في اتخاذ قرار أو موقف معين إلاّ بعد مشاورة وتأمل لأنه يدرك أنه سيتحمل تبعات القرار والموقف فيتوازن، ولا ينساق وراء مؤثرات المال، العاطفة، الجاه، السياسة والتوجهات الفئوية، التهديد، الوعيد... بل يدرس الحالة المعروضة جيداً فيخطو خطوته المقبلة بكل ثقة وتوازن لينجو من عثرات تلك الخطوة وينبغي أن تدخل في قائمة الحساب والإحصاء اليومي: الأفعال بشكليها الايجابي والسلبي، وكذلك الأقوال؛ إذ قد يصدر من الإنسان ما يستحق الثواب عليه أو ما يستحق العقاب عليه.

فلابُدَّ من المواصلة على الخط لو وجد الإنسان أنه استكثر في يومه من عمل ايجابي، كما عليه أن يتنبه للخطر والعقوبة - أحياناً - لو كان العمل سلبياً.

والحصيلة الناتجة من عملية الحساب والإحصاء اليومي تكون لصالح الإنسان ذاته؛ إذ يتعرف على مواطن القوة والضعف في تصرفاته وأقواله فلا يغبن ولا يفاجأ ولا يقف موقف الخاسر الذي لا يمكنه أن ينقذ نفسه فالمحاسبة سواء أنتجت ناتجاً يؤشر إلى الإيجاب والخير أم العكس فإنما توضح الحالة للإنسان ليستمر أو يتوقف إذن فمن حاسب نفسه فقد ربح النتيجة لصالحه.

وبطبيعة الحال لو غفل الإنسان عن نفسه ولم يحاسبها وترك الأمور وما يصدر منه من دون ما مراقبة وملاحظة فسوف يخسر ويندم حين لا ينفعه، ويتمنى لو لم يغفل.

٢ - أن تكون النفس خائفة مما تلاقي غداً ويتضح ذلك من خلال العمل وفق الضوابط الشرعية والالتزام بها من دون ما تجاوزات لتكون نتيجة الخوف:

الأمـن والارتياح النفسي يـوم تفزع فيه القلوب، وتخـاف النفوس، وتذهل عن كل عزيز، وكفى بذلك الأمن والارتياح مكسـباً يسـتحق التضحية بملاذ الدنيا المؤقتة لأجله؛ لأن المؤمن حقا لا تُعرف ميزته وأهميته إلاّ ذلك اليوم الذي يتبين فيه المتقون من غيرهم.

٣- أن يتعظ ويأخذ العبرة مما يشاهده ويسمع به فتكون تجربة الغير درساً بليغاً مفيداً للإنسـان لينمو وينضج حتى لا يقع في الموقف نفسـه، ومن دون ما تقديم خسائر، ولتكن النتيجة أنه أبصر طريقه في الحياة من خلال تأثره واعتباره واتعاظـه بتجـارب الآخرين، فلم يتركهـا تمر عليه من دون ما اسـتفادة بل أخذ العـبرة منها ليفهم ما عجز عن فهمه وتفهمه من خلال وسـائله الخاصة، لذلك فقد جاءته الفرصة للتفهم من دون ما تعب ومشقة.

فالتبـصر مـن خلال الاسـتفادة من تجـارب الغير ينفع في فهـم لغة الحياة وتُعَلّم كيفية التخاطب والتعامل معها لينجو من مطباتها ومشاكلها القاسية.

٤- من جملة ثمرات المحاسـبة وعدم الغفلـة أن يفتح منافذ تفكيره جيداً ليسـتقبل أيـة معلومة مفيـدة قد تنفعه ولو مسـتقبلاً، فـإنّ محاولة فهـم القضايا ومعرفتهـا وإدراكهـا تؤدي إلى العلم بتلك القضايا ووضوحها لديه وانكشـاف الخفايا عنده وهو المطلوب غالباً.

وهـذه الحكمة لها من التأثير العميق في إصلاح الفرد دنيوياً وأخروياً وفي كل المجالات الشيء الكثير.

١٧٤ – قال عليه السلام:

مَنْ حذّركَ كمَنْ بشّركَ.

تبلغ الحالة لدى بعض الناس أن لا يعتني بالتحذير والتنبيه بل قد يستهين فيرمي المقابل بالضعف وعدم القابلية على المواجهة و.. و... مما يكشف عن عدم تقدير الحالة بشكلها الصحيح وعدم تحجيم المشكلة بالمقدار الذي تستحق فلذا تنتج عدم المبالاة، ومظاهر الاستهزاء أو الاستهانة.

بينما نجد أن الإمام عليه السلام يدعونا في هذه الحكمة إلى أن نهتم بأمر المحذِّر الناصح ونصغي لتحذيره ونصحه كما لو كان قد ساق لنا بشارةً نفرح بها.

لأن المحذِّر والمبشِّر يودُّ كل منهما لنا الخير، ولكلٍّ طريقته الخاصة في ذلك فأحدهما ينذر بوقوع خطر وضرورة الابتعاد عنه وتفادي الوقوع فيه مهما أمكن فلذا بادر إلى الإنذار المبكر قبل حلول الأزمة.

والآخر يخبر بحلول ما نتوقعه أو مجيء غايب ننتظره أو حصول رغبة نتمناها أو...

إذن فهما معاً يستحقان التقدير والمحبة والاهتمام والاعتناء والتعامل على قدم المساواة بينهما؛ لأنهما أظهرا حرصهما على المصلحة والسلامة وعدم التأذي، أو بلوغ الخبر السار المفرح بما أمكنهما، ولكن من الشائع وللأسف عدم تقدير المحذِّر والتشاؤم منه على أساس أنه استبق الأحداث وتوقع المكروه، إلاّ أنه شائع مخطئ بكل تأكيد؛ لأن الإنسان يحتاج فيما يحتاج إلى مَنْ يحذّره ليتوقى ويحتاط لنفسه ويأخذ استعداده الكافي للأمر فلا يتورط بكلمة أو فعل لئلا يخسر الحالة والموقف.

فالدعـوة إذن إلى الاهتمام بشـأن التحذيـر مصدراً وهو المحـذِّر، وقضيةً وهي الحالة المرتقَبة المتوقَّعة الحدوث.

١٧٥ – قال عليه السلام:

من الخُرق(١) المعاجلة قبل الإمكان، والأناة(٢) بعد الفرصة.

على الإنسـان أن يغتنم الفرصة المناسـبة لتحقيق أهدافـه، فلا يتوانى ولا يتهاهـل ولا يتأخـر عن ذلك لو تـم، وهذا يتطلب بطبيعة الحال أن لا يسـتعجل الأمر لئلا يسـتبق الأحداث، كما عليـه أن لا يتأخر عن الإنجاز واتخاذ القرار لو تهيأت الظروف وتواتت على شيء مّا؛ لأن عدم الاسـتعداد يؤشر مؤشراً سـلبياً عـلى عدم النضج العقلي للإنسـان وعدم توازن إدراكه للأمور وتفاوت المسـافة بـين عامِلَي التنظير والتطبيـق. وهذه النتيجة مما يبتعد عنهـا كل عاقل، والحكمة شـاملة في مدارهـا لكل غايـات الإنسـان وأهدافه، وفي سـائر مسـارات الحياة وتشـعبات مداراتها الواسـعة، وتسـاير الإنسـان في المجالات العلمية والعملية كافة،كفرد وكجزء من المجتمع في علاقاته مع نفسـه،ربه، أفراد مجتمعه، عائلته، زملاء عمله.

إذن فالدعـوة إلى أن يتوفر الإنسـان عـلى قدر مقبول مـن التعقل للأمور والتعامـل الدقيق مع القضايـا بما لا يفوّت عليه الفرّصة، فلا يسـتبق الأحداث ولا يتأخر في الظرف المناسب؛ لأن الحالات التي يمكنه فيها تحقيق ما يرغب به لا تتكـرر دائـما فعليه أن يتهيأ لاغتنامها وذلك عـن طريق الموازنة والتعرف على

---

(١) الخُـرْق والخَـرَق والخُرْقَة: الحُمق، قله العقل أو فسـاد فيه، سـوء التصرف والجهـل، ضعف الرأي. المنجد مادة (خرق/ حمق) ص١٧٥ / ص١٥٥.

(٢) الأَناة: الانتظار والتمهل. المنجد مادة (أَنِيَ) ص٢٠.

مواقع القوة والضعف في ما يُعرض عليه ليقبل أو ليرفض وفق تدبير العقل.

١٧٦- قال عليه السلام:

مَنْ صَارَعَ الحقَ صَرَعَهُ.

تشير الحكمة إلى معنى كنائي تعبيري يوحي بشيء من التفصيل وأنَّ على الإنسان أن لا يستقوي ولا يستعلي على مراكز الحق كيفما كانت وأينما كانت؛ لأنه لو تغلب عليها بالقوة البدنية والعضلية، العقلية والتخطيطية فإنها حتماً تتغلب عليه عندما لا تنفعه قواه البدنية والعضلية والتخطيطية.

وهي - الحكمة - شاملة ترمز إلى كل ما يختصر تعريفه بأنه حق فلا يقتصر على جانب دون آخر بل تتصل بشكل مباشر بتصرفات الإنسان وأقواله وسائر تحركاته وحركاته حتى توجهاته وما يتعاطف به مع فئة أو جهة على حساب الحق فانه يلقى جزاءه المناسب ليحقق معنى أن الحقَ تغلّب عليه.

ومن المؤكد أن ليس المقصود من المصارعة حالة الطرح على الأرض بعد مغالبة ومكابرة من كلا الطرفين. بل المقصود التغلب والاستظهار والاستعلاء وتسجيل الموقف وربح القضية والوصولية إلى الهدف على حساب الحق.

إذن فالدعوة إلى عدم الاستبشار كثيراً لو واتت الفرصة أحداً فتغلّب على الحق وأهله فعليه أن لا يغتر ولا يتطاول بذلك، بل عليه أن ينتظر القادم ليرى كيف انتصار الحق لذاته ولمنتسبيه والمحسوبين على خطه. ومن المعلوم أن الله تعالى مع الحق وينصره ويدعم مواقفه ويشجع عليه وعلى اتخاذ سبيله ومن أسمائه الحسنى **(الحق)** وإن لم يكن المقصود هنا ذلك بالذات، بل ما يكون ضمن خط الاستقامة والصلاح والهدى والرشاد بكل ما فيها من معاني الخير والايجابية بكافة أبعادها في الحياة.

١٧٧ - قال عليه السلام:

مَنْ ضَنَّ[١] بعرضِهِ[٢] فلْيَدَعِ المِراء[٣].

إن حالة التنازع والتخاصم الكلامي مع الناس له عدة آثار سلبية تسيء لوضع الإنسان المتنازِع نفسه، وقد تتجاوز إلى أهله وذويه ومَنْ يهتم بشأنه فينبز أو يشتم أو يذكر بسوء لإرغام وإيذاء المتخاصم المتجادل.

فلذا كانت هذه الحكمة تدعو إلى أن يكف الإنسان عن المهاترات الكلامية والمجادلة ومحاولة التغلب والتسلط في المواقف؛ لأن ذلك يفتح مجالاً واسعاً للنيل من الكرامة، ويعطي مادة حديث للمتحدثين ليفتشوا في خبايا صدورهم ليجدوا ما يشين أو يعيب أو ما فيه منقصة ولو بحسب تضخم عنوان الشخص فعلاً فينشروا ذلك ويفشوه جزاء لمجادلته وتغلبه وتفوقه، ويكون المبرر الوحيد لَمِنْ ينشر ذلك ويحاول الحط من منزلة المجادل اجتماعياً إنما هو الثأر لنفسه والرد لاعتباره والتغطية لفشله و.. و...

وإن هذه الحكمة ينفعنا الالتزام بها في سائر مراحل الحياة حتى في المناقشات العلمية التي يفترض فيها الوصول إلى الحقيقة فإنها لا تخلو من علوق بعض الضغائن في الصدور، ونشوء المشاحنات فيتربص البعض بالبعض الآخر الحالات المناسبة للتهوين والاستهانة، فمن اللازم الابتعاد عن الجدال والنزاع لئلا تنتج نتائجها فتتكون بذرة الاختلاف والحسد والحقد بما يغيّر مسار الأمور

---

(١) ضنَّ بالضاد لا بالظاء: أي بخل.

(٢) العِرْض: ما يصونه الإنسان من نفسه أو سلفه أو مَنْ يلزمه أمره أو موضع المدح والذم منه. المنجد مادة (عَرَضَ) ص٤٩٧.

(٣) أي الجدال والنزاع.

ويحولها عن منعطفها الصحيح.

١٧٨ - **قال** عليه السلام:

مَنْ ضيَّعه الأقرب أُتيح له الأبعد.

تطمينٌ للقلوب المنكسرة من جرّاء تجاهل الأقارب وعدم مبالاتهم وعدم تقديرهم بما يبني حاجزاً نفسياً بين الأقارب يصعب تفتيته والتخلص منه بعد ذلك.

ولذا فالإمام عليه السلام يدعو لأن لا يعول الإنسان كثيراً على بعض الناس الذين يتوقع منهم المساعدة بمختلف أشكالها؛ لأن الله تعالى كفيل بأن يحقق له أمانيه ويبلغه آماله من دون ما منّة أو مشكلات جانبية.

فاللازم التوكل على الله تعالى والاعتماد على النفس وعدم الاتكال على الأقارب؛ لأن ذلك مما يضعف بنية الإنسان الاجتماعية فلا ينمو ولا يتقدم في علاقاته ولا يعرف كيفية الخوض في غمار الحياة، ولذا كان يتوقع العون ومدّ يد المساعدة من الأقارب، فلو لم يكونوا بمستوى الأمل والطموح فلا يضيع بل يهيئ له خالقه الجليل سبحانه مَنْ يقدِّم له العون ويهيئ له الأسباب لتحقيق الأهداف من دونها يصاحبها ما يكون عادة بين الأقارب...

والقريب لا يختص بالرحم النسبي بل كل مَنْ يتوقع منه الإنسان النجدة والمعاونة، وكذلك البعيد كل مَنْ لم يتوقعها منه الإنسان.

فالدعوة إذن إلى عدم الابتئاس وعدم التشاؤم وعدم الاكتراث حين لا يتحفز الأقارب لمساعدة أقاربهم فإن الله تعالى يبعث الهمة في نفوس الأباعد فيساعدون في ذلك. ومن المؤكد اهتمام الإنسان كثيراً بإنجاز مطلبه وها هو

قد أنجز وبأقصر الطرق من دون تعب نسبياً، فلا داعي إذن للأسف والتلاوم والعتاب...، وأحسب أن الأغلبية العظمى قد تحققت من ذلك الوعد – في الحكمة – بأنفسهم فما من أحد منهم إلاّ وقد تعرض لموقف حرج فيجد استجابة البعيد وتخلي القريب.

وإنّ الأخذ بهذه الحكمة وتصديق الإمام عليه السلام في ضمانه الذي أعطاه لمما يخفّف من حدّة التوتر والخلافات على صعيد العائلة، الأسرة، المجتمع...؛ لأنه لا يبقى أحدٌ ينتظر المساعدة والمعاونة من خصوص القريب بل يعتمد على مسبّب الأسباب تعالى فيهيئ له مَنْ يساعده ويعاونه ولو كان بعيداً، فلا يكون مكروباً لو تقاعس عن عونه أقرباؤه بل يتقبّل الأمر على أساس أن ذلك خيرٌ حُرِمَ منه القريب ووُفِق له البعيد فيحمد الله على تيسير الأمور.

وأما التغاضي عن هذه الحكمة فإنه سبب كافٍ لنشوب الحزازات والتقاعس عن المساهمة في مشاكل الآخرين على أساس المقابلة بالمثل وهذا ما يكدِّر العلاقات الاجتماعية ويجعلها مهلهلة لا تخضع لقانون (العمل تقرباً لله تعالى) الذي يؤجر عليه الإنسان كثيراً.

١٧٩ – قال عليه السلام :

مَنْ ظَنَّ بك خيراً فصدِّق ظنه.

كثيراً ما يقصد الإنسان إنساناً أخر لانجاز مهمة ولكن لا يجد التلقي المناسب، أو يُجَابَه بالرد غير المناسب أو العنيف – أحياناً – فيرجع منكسراً، خائباً، متألماً، يشعر بمضاضة الفشل والخيبة فيترك ذلك انطباعاً سيئاً في نفسه عن ذلك الرادّ، فقد يقوم بدوره أيضاً بردّ قاصديه وطالبي مساعدته وبذلك تتضخم الحالة وتنتشر فلا يسعنا حلها إلاّ بعد عناء وجهد.

ومن السلبيات أن يكثر خصوم الراد والحاقدون عليه والمناوئون له فقد لا يجد مَنْ يسعفه عند الحاجة، وقد لا يجد مَنْ يهتم بوجوده فيزداد غيظاً وحنقاً.

وفي كل هذه السلبيات مضاعفات سيئة لا يمكن التغاضي عنها فكان من وسائل العلاج هذه الحكمة التي تدعو الجميع إلى التعاون السلمي والتعاضد في سبيل حل المشكلات أو المساعدة في ذلك بقدر الإمكان.

وتحث على أن تكون لغة الخطاب والحوار لغة إشاعة الخير وتكثير منافذه على الحياة، ونشر سبله لدى الآخرين، وعدم الاقتصار على النفس، وعدم الحرص على الأنانيات المقيتة، وكان من نتائج ذلك الحث انّ مَنْ قصدك لانجاز مهمة وتذليل الصعوبات أمامه فلا تخيّب سعيه ولا ترد حاجته ولا ترجعه بالخيبة والانكسار.

كل ذلك حسب الإمكان وما يسمح به التكليف الشرعي بمعنى أن لا يتجاوز التعليمات الشرعية النافذة في حق القاصد والمقصود، صاحب الحاجة وقاضيها، لئلا تكون الحسنة سيئة إذ لا يطاع الله تعالى من حيث يعصى.

ومن المؤكد أن لهذه الحكمة مفعولها القوي السريع لو أخذنا بها لأنها تقلّل من إمكانية حدوث الخصومات والعداوات والأحقاد والأضغان وما إلى ذلك مما يبعّد المسافة بين الإخوان المؤمنين وسائر أفراد المجتمع الواحد الذي يجمعهم الكثير مما يفرقهم وهو الإنسانية والعقيدة والمشاعر والحاجة المتبادلة والتعارفات الاجتماعية الأخرى التي ترسّخ التعارف في النفوس.

١٨٠- **قال** عليه السلام:

مَنْ عَظَّمَ صغارَ المصائبِ ابتلاه الله بكبارها.

من الشائع - المزعج - انتشار حالة التسخط والشكوى من أقل ما يُلِم بالإنسان ويصادفه في حياته من مصائب في النفوس أو الأولاد أو الأموال أو... فلا يصبر ولا يرضى بل يعترض ويجاهر بذلك وقد يعاونه ويؤازره على ذلك أهله وذووه أو بعض المتزلفين الذين لا يعرفون شيئاً في الحياة سوى العيش في الهامش من دون ما تفكير في العواقب، ووعي لما يحدث، بل لا بُدَّ من دراسة الأمر جيداً ليكون الرأي مطابقاً للحقيقة المعاشة لا مجرد تسجيل موقف مرتجل يستتبع المؤاخذة والمساءلة الأخروية.

وهذا الشيء شائع مما يسبب الكثير من حالات ديمومة البلاء وإحاطة الآخرين به إذ لم يحاولوا الحد منه والتقليل من حدوثه وتكرره، حتى لو كان من أسباب عدم الحدّ وعدم التقليل هو الخوف من تسلط الألسنة الحادة أو نشوب العداوات الشخصية، وعليه فتتفشى الظاهرة حتى تكون أمراً شائعاً فلا يستغرب أصلاً. فمثلاً إن أُصيب الإنسان بفقد عزيز أو خسارة مال أو منصب أو جاه أو ما إلى ذلك فإنه يتكلم بما يشاء وبما يحلو له وقد يتمرد على الأحكام الشرعية فيترك الصلاة أو الصوم أو الحجاب أو طاعة الوالدين أو الزوج أو.. أو... أو يرتكب محرماً قولياً أو فعلياً بما يعني اهتزاز قاعدته الإيمانية في نفسه وعدم رسوخها في الداخل ولذا لم يضبط أعصابه ولا عواطفه، وهذا مما يسبب الكثير من الآفات الاجتماعية فلأجل بيان ما ينجم عن ذلك وما يؤثره على الفرد والمجتمع كانت هذه الحكمة المؤكدة بأنَّ مَنْ لم يصبر على اختبارات الخالق تعالى الهينة - بحسب تقادير البشر - فسوف يبتلى بما هو أشد.

فالـلازم الصـبر والتسـليم لقضاء الله تعـالى والرضا بذلـك وعدم الجزع والتسـخط والضجر؛ لأن ذلك يستجلب المزيد من المصائب، وهذا أمر طبيعي فإن لم يقبل بالقليل جُرِّبَ معه الكثير ليتحسس أثر القليل.

فالدعوة إلى عدم تهويل الأمور النازلة بالإنسـان مهما كانت بل المعايشـة معها على أساس الواقع والحقيقة المعاشة؛ لأن المبالغة والتضخيم لا ينفعان بشيء إطلاقـاً بل مما يؤججان كوامن الصدور فتنفلت كلمات وتتكشـف تصرفات ما كانت محسـوبة له نفسه أو للآخرين فيخسر بعض المواقف والرصيد الاجتماعي - حتـماً -، مضافـاً إلى أن تلك المواجهـة الحادة مع الابتـلاءات التي تعني حالة الامتحـان والاختبار واستكشـاف المخبوء والمسـتور مما يتحتـم في أحيان كثيرة إظهاره وكشفه لمصلحة العبد ذاته أو بقية العباد - أن تلك المواجهة الحادة...- تعني عدم التسليم لقضاء الله، والاعتراض على حكمه، وهذا بحده ذنب يعاقب عليه أحياناً لو اسـتحكم وداوم عليه الإنسـان بالنار المؤبدة. وهذه الدعوة عامة للأجناس والفئات والمسـتويات كافة فلا تخص الرجـال الكبار أو ذوي الثقافة والدين أو.. أو... مما يتعلل به أحياناً كثيرة وتبرر به تلك التصرفات الحمقاء غير المدروسـة التي سرعان ما يشعر نفس الإنسان بعدم جدواها فيتراجع عنها بهذه التعللات العليلة.

١٨١ - قال عليه السلام:

مَنْ قضى حق مَنْ لا يقضي حقه فقد عَبَدَه.

ينسـاق البعض وراء العاطفة والانفعالات النفسية الضاغطة الناجمة عن حالة نفسـية معينة فيتصرف تصرفاً معيناً ويسـتمر على ذلك اتجاه شخص معين ولكن من دون ما مقابل أو تبادل في المواقف.

وهذا مما نصادفه في حياتنا العملية أو نمتحن به فعلاً فكانت هذه الحكمة تضيء الدرب وتكشف الحقيقة ليتضح السلوك المناسب وكيفية التعامل الصحيح.

فالإمام عليه السلام يدعو إلى التوازن وعدم الابتذال إلى حد عدم عرفان الطرف الآخر وعدم تقديره فيسخّر طاقات غيره لخدمته من دونما تبادل ومعاونة في بعض المواقف التي ينبغي فيها تقديم المعونة والقيام ببعض الأدوار المعيّنة؛ لأنه لا أحد يملك أحداً إلاّ الله فإنه الذي يجب على الجميع أداء حقوقه وامتثال أوامره والانزجار والابتعاد عن نواهيه، شكراً لأفضاله وأنعامه فلا يتوقع المقابلة المثلية ومع ذلك فهو عز وجل يعلمنا درساً بقوله عز من قائل ﴿**وَلَا تَنْسَوا الفَضْلَ بَيْنَكُم إِنَّ اللهَ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾[1] لئلا تضيع الحقوق، وتستغل الجهود.

وفي الحقيقة العلمية تعتبر هذه الحكمة من قوانين الحرية ونبذ العبودية والاستعمار والتسلط واستغلال الأيدي والعقول لحساب فئة أو شخص؛ لأن ذلك يعني التسلّط والسيادة للفئة أو الشخص، كما يعني الذل والعبودية المملوكية لمن يقدِّم الخدمات... وهذا ما لا يقبل بحال في حق بني الإنسانية؛ لأن جهود الإنسان الفكرية والعضلية لا يستحق أن تُبذل إلاّ لخالقها أو مَنْ يسير وفق شرعه تعالى ومَنْ عداه فهو الاستبداد والظلم والتجافي عن الإنصاف والعدل والمروة ومعاني سمو الذات.

فلابُدَّ من أن يتدبر الإنسان عندما يقدِّم الخدمات ليعرف موقعها ومجالات الاستخدام لئلا يُستعبد من حيث لا يدري.

---

(١) سورة البقرة آية (٢٣٧).

١٨٢ - **قال عليه السلام:**

مَنْ كتم سرّه كانت الخِيَرة[١] بيده.

إن من المشاكل لكثير من أفراد المجتمع مشكله التسرع في إبداء كل شيء، والتفصيل عن الخصوصيات الخاصة له أو لغيره ثم تتحول الموجة وتتبدل الطريقة في التعامل فيندم على ذلك، ولا يمكنه التغيير أو سحب المعلومات المأخوذة منه مع أنها قد تكون مصدر قلق أو إدانة أو تلويث سمعة أو خسارة مادية أو معنوية أو...

فالدعوة إلى أن لا يتسرع الإنسان في إفشاء المعلومات الخاصة وإلا فَقَدَ السيطرة على تصرفاته الشخصية وخصوصياته الخاصة وهو ما يعني تسيير الآخرين له وصيرورته أُلعوبة ودُمية يحرِّكها الغير بما يؤشر على ضعف الشخصية وفقدان الموقع المؤهل للتحكّم والتوجيه[٢].

وإن هذه الحكمة تذكّرنا بما دلّت على حفظ اللسان والسيطرة على الكلام وعدم الانسياق وراء العاطفة أو سائر المؤثرات الأخرى التي تتغلب أحياناً فيتحدث الإنسان بما شاء من دون ما محاسبة وسيطرة. فيتعرض بالتالي إلى فَقْدِ السيطرة تماماً فتهتز شخصيته الاجتماعية وربما يصل الأمر - أحياناً - إلى فَقْدِ الشخصية القانونية أيضاً لأنه عندما يتعود على تسيير الآخرين له من خلال فَقْدِ موقع الاختيار والرد والقبول في موقعهما الخاص فإنه يتحلل تدريجياً من

(١) الخِيْرَة والخِيَرَة بمعنى الاختيار والانتقاء.

(٢) وفوق هذا وذاك فإذاعة أسرار الناس وإفشاؤها أمر مذموم لا يقوم به عاقل يحترم عقله ونفسه، بل يتهزه المغرضون ذوو النوايا السيئة. فلا بد من الابتعاد عن ذلك وحفظ كرامة الآخرين ليضمن موقعاً لديهم أيضاً يحتاجه في يوم ما.

التزامات أسوياء الناس وهكذا حتى يؤل أمره إلى ما لا يرغب فيه أحد.

١٨٣ - قال عليه السلام:

من كفارات الذنوب العظام: إغاثة الملهوف، والتنفيس عن المكروب.

من القضايا التي تمر عادة بكل أحد مهما كان مستواه الاجتماعي، الثقافي، المادي... هو تعرّضه للضيق وفقدانه السيطرة على بعض الحالات الخاصة به حتى أنه يكون محتاجاً لمن ينقذه ولو بعرض الحل أو المساعدة الممكنة لكونه متلهفاً لذلك ومضغوطاً عليه في حالة حرجة تحتّم عليه القبول بالوضع الراهن وإلاّ لعَايَشَ الأسوأ من البدائل والأحرج من المواقف فيكون مضنوكاً محصوراً حزيناً يستغيث بكل أحد ويطلب المعونة من أيٍّ كان، وهذا موقف مما يتعرض لمواجهته الكثير فيمكنه أن يجرِّب نفسه ونبلها ومدى حدود الخير فيها ومدى استعداده لتقديم ذلك والمساهمة في إنقاذ ملهوف وإغاثته بما ينفِّس عنه كربته ومحنته.

ولتأمين ذلك الموقف الإنساني النبيل كانت هذه الحكمة قد أعطت ضماناً بأنّ إغاثة الملهوف وإعانته ونصرته مع ما هو فيه من الورطة والمأزق الحرج، كفيلٌ بتكفير ومحو الذنوب العظيمة التي يرجو الإنسان المذنِب لها المرحمة والمغفرة من الله تعالى.

إذن فالدعوة إلى أن يعيش كلٌ منا اخوَّته وإنسانيته مع الآخرين من خلال تقديم المعونة، والإنقاذ من الموقف الصعب، والمساهمة في حل المشكلة أو تطويقها قدر الإمكان بما يحقق معنى الإغاثة، والإعانة، والنصرة، والتنفيس عن المتورط، الملهوف، المكروب، لتكون النتيجة في صالح الجميع فلا يتخلى أحد عن أحد ولا يتنصل من تقديم ما يمكنه من معونة على أساس عدم التدخل فيما

لا يعني؛ لأن الضمان المقدَّم يدفع بكل أحد للمساهمة كيما يأخذ دوره المناسب ليفوز بمحو الذنوب، ومَن منّا لا يحتاج إلى ضمانة أكيدة كهذه وقد صدرت من عبد الله وأخي رسول الله وامام المتقين والمغيثين والمساعدين لمن استجار به واستعان بما لديه من مؤهلات للشفاعة والتفريج.

والإغاثة والإعانة والتنفيس قد تأخذ شكل تقديم النصح والمشورة أو العون المادي أو المعنوي أو الحماية أو الوساطة أو.. أو... بما يحقق هذا الموقف النبيل الذي يؤكد أواصر الارتباط في المجتمع الواحد الذي ينمو ويترعرع عليها ليكون مجتمعاً آمناً من الدخائل والضغائن والأحقاد والحسابات القديمة قدر الإمكان.

١٨٤ – قال عليه السلام:

مَنْ كرمت عليه نفسه هانت عليه شهواته.

تحذير من اتباع الهوى الشخصي وما يفرضه على صاحبه من مواقف مرتجلة غير مدروسة قد تصل أحياناً إلى الحط من قدره الإنساني، الاجتماعي...، وقد استعمل عليه السلام هذا الأسلوب الوعظي للتأثير على موقعٍ حساس في النفوس وهو مسألة الكرامة والأنفة والحمية والاعتزاز بالشخّصية وما إلى ذلك مما يدور في دائرة تكريم النفس واحترامها وعدم بذلها في مواقع ذليله، ليكون من المضمون الأكيد الابتعاد عن سبيل الشهوة التي تتحرك عشوائياً فتُأجج في الإنسان مشاعر وخواطر تدفعه للقيام بعمل معين يعود عليه بالانتقاص لو شاع بين الآخرين فمثلاً لو اتبع الإنسان شهوته وغريزته ورغبته في الأكل أو الشرب أو الممارسة الجنسية أو الملابس التي يفاخر بها أو المركب الذي يتميز به، عن غيره فانه يتعرض لانتقاد لاذع واستغراب وربما استهانة فينعكس سلبياً

على منزلته في القلوب وعلى مدى الاستجابة له أو التأثير عندما يتحرك بينهم كفرد له وزنه ومستواه الخاص.

أما إذا حاول تذليل النفس وقَوْدَها لتكون طيّعة مطيعة للعقل والشرع فلا يتورط في مشاكل مع الناس ولا يفقد موقعه أو يخسر منزلته المعينة بينهم.

فالدعوة إلى الابتعاد عن سبيل الغريزة والشهوة وما يكون منشأه العاطفة التي لا تتفق مع العقل في أكثر من موقع؛ لأنّ ذلك يؤثر قوياً على توازن شخصية الإنسان في المجتمع.

والملتزم بهذه الحكمة يكون قد عوّد نفسه على طاعة الله تعالى والتزام أوامره واتباعها والابتعاد عن نواهيه وزواجره، وكفى بذلك ربحاً يستحق التضحية والبذل لأجله.

١٨٥ - قال عليه السلام:

مَنْ كساه الحياءُ ثوبه لم ير الناسُ عيبَهُ.

إذا تعوّد الإنسان أن يترك بعض المباحات تعففاً ولئلا يُلام ويُؤنب، فيكون قد حافظ على نفسه وصانها من أن يطّلع على عيوبها أحد؛ لأن الإنسان يقع تحت طائلة حالة ضعف معين فيتصرف وفق ما تمليه عليه نفسه وعاطفته بمعزل عن عقله وتوجيه الشرع، بل يحاول أن يبرر كل ذلك على أساس معقول مشروع، وتكون النتيجة الاطلاع عليها ورؤيته وهو تحت التأثير الخاص الذي غيّر من صورته المتوازنة المحفوظة في النفوس.

فالدعوة إلى الحياء وعدم المواجهة الحادة مما يعني عدم المبالاة، والصلف والوقاحة وسوء التدبير مع الآخرين وإلا فيكتشف الناسُ العيوبَ وهي ما كان

يحرص على سترها أو إنكارها أصلاً، فهو تحذير -من ممارسه الذنوب- بصورة محببة لكل أحد، إذ لا يوجد - غالباً - مَنْ يرغب بكشف أسراره في الجسم أو الأخلاق أو الحياة العائلية أو الاجتماعية الأُخر.

وإذا أمّناً جانب الحياء نكون قد أحرزنا جانباً مهماً يحفظ الناس ويهيئ لهم حياة كريمة بدون مشكلات ومزالق وخصومات.

١٨٦- قال عليه السلام:

مَنْ لم ينجه الصبر أهلكه الجزع.

الدعوة إلى الصبر والتسليم لله تعالى والتعامل مع الأمر الواقع بدون اعتراض وتسخّط؛ لأن ذلك كفيل لوحده بالقضاء التدريجي على الإنسان، بينما تكون في الصبر مداواة الجراح والتخفيف من حدتها وضراوة آلامها النفسية التي لا تنفع في تهدئتها وسائل العلاج النفسية والسريرية والعلاجية الأخرى إلاّ الصبر والمعايشة مع الواقع من دون ما تذكرٍ للماضي، ومن دونها لوم وندم، ولماذا؟، ولأي سبب و...؟ مما يردده المتورِّط والمصاب في بدنه أو ولده أو ماله أو...

فمن لم يرضَ بالصبر علاجاً فليتيقن بأن عكسه - الجزع والتسخّط والتألم والاعتراض على ما حصل - كفيلٌ بالإجهاز على البقية الباقية من المقاومة والمصابرة.

إذن فالصبر أولى وأحجى وأنفع لأنه يضمن بقاء الإنسان وهو ما يسعى ويطمح إليه.

ومن أمثال هذه الحكمة نتعلم درساً تربوياً في تعبئة النصيحة بمختلف

العبوات المناسبة والحالة المعروضة لنضمن تقديم العلاج النافع في وقت الضرورة إذ من المعلوم وجود شرائح لا تهزهم الشواهد ولا تنفع معهم المواعظ، فلا بُدَّ من توصيل الحكمة النافعة بمختلف الأساليب.

١٨٧ - قال عليه السلام:

مَنْ نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه، ومعلمُ نفسه ومؤدبُها أحقُ بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم.

إن هذه الحكمة تتضمن ثلاثة أمور تربوية مهمة تتكفل بتوضيح أبعاد مسيرة الحياة في جوانبها ومستوياتها كافة، لأن الناس مختلفون في أغراضهم وأهدافهم وطموحاتهم بما يعقِّد الحالة ويضيّع مفتاح الحل، فمن المناسب في مثل هذه الحالة إعطاء الحلول الصحيحة لإنقاذهم من مشكلات يتعرضون لها حتماً وفقاً لاختلاف أهوائهم وطبائعهم.

الأمر الأول: أن يطبّق الإنسان المرشد ما يقوله، فلا يكتفي بترتيل النصائح من دون أن تنعكس آثارها عليه، فإذا أدّب نفسه أمكنه بسهولة تأديب غيره وترويضهم وحثهم على اتباع ما يقول، وأما إذا لم يطبّق ذلك بنفسه لما أمكنه دعوة غيره لأنه الأولى بالتطبيق؛ كونه قد تبنى الدعوة إليه فلا بُدَّ من أن يكون صحيحاً وإيجابياً وإلاّ لما دعى إليه.

الأمر الثاني: أن يكون الإنسان عملياً في ما ينظِّر من تعاليم وما يطرحه من آراء جادة لخدمة الإنسانية ليكون الاقتداء به، والفهم لجدوى ما يطرح من موقع التنفيذ والتجربة الناجحة لا مجرد نظريات لها نصيب من الإصابة كما هو الحال من الخطأ، فتكون الاستجابة أوفر نصيباً من الرفض.

الأمر الثالث: وهو مهم جداً للأخذ بالأولين: إن مَنْ يسيطر على نفسه فيروضها وفق ما يقوله ولا يجعلها بمعزلٍ عن كل ذلك، ولا يضعها في حصانة خاصة، ولا يهملها تعمل ما تشاء، بل يتابع نفسه بنفسه يكون قد تمكن من انجاز شيء عظيم يستحق الإجلال والإكبار والتقدير والتوقير أكثر من غيره ممن يدعو غيرَه إلى شيء وينسى نفسه، فيصرف جهوده مع الآخرين ولا يصرف بعض ذلك مع نفسه ليعوّدها على محاسن الأخلاق ومكارمها.

فالدعوة إلى أن لا يتصدر أحدٌ الناسَ إلاّ إذا تمت فيه المواصفات التي تجعله لائقاً بالقيادة والزعامة وإلاّ فيُحْكَم عليه سلفاً بالفشل وعدم النجاح.

وأيضاً الدعوة إلى أن لا يغتر أحد بشخصية معينة من خلال حديث وتصرف بل لا بُدَّ من أن يطابق بين ما يقوله للآخرين وما يفعله هو، فإن كان متوازياً متساوياً عرف صدقه وأمانته وإلا فيحكم عليه بالكذب وعدم المصداقية والواقعية؛ لأن هذا الشيء الذي يدعو الناس إليه إنْ كان حقاً فلماذا لا يطبقه هو؟ وإن لم يكن كذلك فلماذا يورِّط به غيره...؟

١٨٨ - قال عليه السلام:

مَنْ وضع نفسه مواضع التهمة فلا يلومنَّ مَنْ أساء به الظن.

قد يعيش البعض حالة فراغ فيتصرف تصرفات غير محسوبة العواقب، ومن ذلك أن ينطق بكلام له تفسيره السيئ أو المسيء للمتكلم لبعض الظروف الخاصة فيكون الناطق قد حشر نفسه في زاوية الاتهام؛ فيبدأ الآخرون من حواليه بالتعامل معه على أساس الارتياب والشك أو الحذر والتهمه انطلاقاً مما سمعوه منه، فقد تتطور الحالة فتصل إلى فرض المقاطعة التامة والعزلة عن الآخرين.

ومن ذلك أيضاً أن يتصرف تصرفاً معيّناً كالنظر أو الوقوف أو الجلوس

أو الحركات البدنية أو الإشارات أو مجرد البقاء في حالة معينة أو مكان خاص، بما يثير الشكوك من حواليه ويجعله محلاً لسوء الظن به فيكون التعامل معه بما يتناسب وما صدر منه من تصرف ولو كان عن قصد غير مشبوه وبريء ونزيه. فيتقابل طبعاً بالرفض والتشهير وقد يصل الأمر إلى المقاطعة والنبذ اجتماعياً.

فللتصرفات والأقوال لغتها الخاصة التي تصل إلى أذهان الناس بسرعة فائقة بحيث لا يجد الإنسان معها فرصة الدفاع وتصحيح المفهوم وتجلية الصورة، فلابُدَّ من أن لا يكتفي الإنسان فيما يقول أو يفعل لمجرد حسن النية وبراءة القصد بل لا بُدَّ من حساب النتائج والتفكير بالعواقب. فيتزن تصرفه أو قوله إلى حد كبير.

فالدعوة إلى أن يبتعد الإنسان عن كل ما يثير حوله الأسئلة ويجعله في موضع الاتهام والريبة؛ لأن ذلك من وسائل تحطيم الشخصية بشكل ذاتي، وبعيد عن المناوئين والخصوم، كما ويؤدي إلى ضعف صف المجتمع الواحد المتماسك بماسكة الإنسانية والإسلام وما يعنيه من تفسير تصرفات الغير على الجانب الايجابي قدر الإمكان، فإن سوءَ التدبير والتصرف بشكل مريب مثيرٌ للشكوك فيهيئ الجو لسوء الظن والتفسير بالمفهوم المخطئ وغير الصحيح وكل ذلك نتيجة سوء تصرفٍ فرديٍ أدى إلى زعزعة كيان المجتمع المتماسك، إذن فليس الضرر بمقتصر على الفردِ ذاته بل يعم مَنْ حواليه ويتعدى فيكون حالة سلبية بين عموم الأفراد.

١٨٩ - قال عليه السلام:

مَنْ يُعْطِ باليد القصيرة يُعْطَ باليد الطويلة.

إنّ من القضايا التي تدور مع الإنسان في مواقعه الحياتية كافة هو الحساب

المصلحـي والتفكـير بمقـدار العوائد والمنافع مـن وراء ما يبذله مـن جاه، مال، جهود أخرى بحيث يحسـب خطواته ويبرمج وضعه الحياتي وفق ذلك الحساب ومن أهم ما يبذله الإنسان ويحرص على التأكد من ضمانه لصالحه هو إنفاق المال وتوزيعـه، مع أن الفرد المسـلم يواجـه عدداً من التوصيـات الدينية والأخلاقية بالدفـع للمعوزين، والسـخاء في الإنفاق عـلى النفس والعيال وسـماحة النفس والجـود، ودفـع الحقـوق الشرعيـة التي تسـاهـم في دعـم المحتاجـين، مما يجعل الإنسـان بـين حالتين يصعب التقريـب بينهما الحالة الطبيعيـة، والحالة المطلوبة، وقـد تتغلـب - أحياناً كثيرة - الحالـة الطبيعية كما قد تتغلب الحالـة المطلوبة إذا كان الإنسـان منطلقا من قناعة راسخة بجدوى الامتثال وأهميته في حياته الدنيا أو الأخرى.

فكانت هذه الحكمة من بعض ما ورد للحث على تغليب الحالة المطلوبة؛ كـون الامتثال وتحقيـق المطلوب يضمنان راحة نفسـية في مواقف عديدة دنيوية وأخروية فينجح الإنسان في التقريب بل ويتفوق أحياناً على آخرين ممن ابتعدوا عـن الخط الصحيـح وممن ألهتهم المغريات فانصرفوا إليهـا ولم يؤمنوا بالغيبيات والوعود الأكيدة التنجيز في موعدها المقرر.

فلأجـل أن لا تفـوت الفرصـة كانت هـذه الحكمـة من وسـائل الإقناع المطروحة للتشجيع على العطاء ولو على أساس مصلحي، نفعي، باعتبار الموازنة بـين ما يـصرف، وما يرد ويأتي، الذي كان التعبير عنهما باليد وما تعنيه من عطاء وبـذل، ووصفهـا مرة بالقصـيرة بما يعني التقنـين والصرف بمقـدار، ووصفها مـرة أخرى بالطويلـة بما يعني العطاء غير المحدود الواسـع المغنـي الممدود غير المحدود، ومن الطبيعي أن تمثل اليد القصيرة يد العبد المرزوق، بينما اليد الطويلة بما تعنيه من سعة وطَول هي رزق الله تعالى لعباده بما لا حد له بل متروك لتقديره

عز وجلّ وفق المصالح والحِكَمْ التي لا يدركها العباد.

ومن المؤكد أنّ المسلمين لو التزموا بمضمون الحكمة فلا يمكن أن تؤثر على أحد منهم ومن غيرهم ضائقة مادية أو أزمة اقتصادية مهما كان حجمها؛ لأن الأيادي المساندة تدعم باستمرار من كلٍ حسب طاقته. وعندها يقوم بناء المجتمع كأحسن ما يكون. ولكن البعض منهم انصرفوا عن ذلك وظنوا أن الدفع والإعطاء لا يتجاوز المنتفعين أو الوسطاء في الإيصال فلذا ضاقت صدورهم وشحَّت نفوسهم فلم تطب بدفع حق ولم تسمح بإيصاله إلى مستحقيه فكانت النتيجة ليست بصالحه ولا بصالح المحتاجين، فكَثُرَ الفقراء وَقلّتْ بركة ما يدخل الأغنياء من أموال ليكون أبرز ما تتصف به أنها عديمة البركة أو غير موفقة.

حرف النون

١٩٠ - قال عليه السلام:

الناس أعداء ما جهلوا.

الدعوة لأن يتحلى أهل العلم في كافة حقول المعرفة ومختلف أشكالها، بالعفو والتعامل الحسن عندما يتعرّضون لبعض المواقف الحساسة من سائر الناس ممن لم يُرزقوا نعمة العلم أو لم يدركوا نصيبهم من الأخلاق الفاضلة التي يتحلى بها الأسوياء من الناس.

فقد تمس بعضُ التصرفات كرامةَ العالِم أو تقلِّل من شأنه الاجتماعي أو تساعد على تهوين قدره أو... بما يثير مشاعر الإنسان عموماً فضلاً عن العالم الذي يشعر بهضم حقه وعدم إعطائه الدور المناسب له، فلو تُرِك كلٌّ من العالم وذاك المتجاوز على هواه وما تمليه عليه مشاعره الجيّاشة، لكان ما كان مما لا تحمد عاقبته فلابُدَّ من تهدئة الحال بما يعطي تفسيراً واقعياً للحالة؛ بعد أن كان الإنسان يحمل فيما يحمله من مشاعر ايجابية أو سلبية، ويتصف بما يتصف به من صفات حميدة أو ذميمة، ومنها التغاير، وضيق النفس ممن يتفوق في مجال

معين، وهذا أمر طبيعي لكل أحد، غاية الأمر أن المخلص لنفسه قبل غيره يسد ذلك الشعور ويعالج تلك الصفة بالمثابرة والمواصلة حتى يصل إلى ما وصل إليه غيره، بينما يقوم غيرُ المخلص الذي لم تسلم ذاتُه ببعض الأعمال التي تهوِّن من قدر العالِم وتقلّل من أهمية العلم على أساس استعراض القدرات المالية، البدنية، النفوذ والسيطرة أو غير ذلك ليعوِّض خلوه مما ازدان به غيره. ولكنه وللأسف لا يحصل تعويض؛ فإن من خسر العلم خسر أهم شيء بل وأشرف شيء؛ لأن العلم من صفات الله تعالى وقد ورد الترغيب اليه والتنويه بفضل حامله في الكتاب العزيز[1] والسنة[2] الشريفة مضافاً إلى دلالة العقل بطريقة الحصر والسبر المنطقي بها يسلّط الأضواء على الاتجاه اليه والتكريم لأهله

(١) كما ورد في قوله تعالى ﴿وَلِيَعلَمَ الذينَ أُوتُوا العِلْمَ أَنَّهُ الحَقُّ مِن رَبِّكَ فَيُؤمِنُوا بِهِ فَتُخبِتَ لَهُ قُلُوبُهُم وَإِنَّ اللهَ لَهادِ الذينَ آمَنُوا إلى صِراطٍ مُستَقيم﴾ الحج(٥٤)، وقوله تعالى ﴿وَيَرى الذينَ أُوتُوا العِلْمَ الذي أُنزِلَ إليكَ مِن رَبِّكَ هُوَ الحَقُّ وَيَهدي إلى صِراطِ العَزيزِ الحَميد﴾ سبأ(٦)، وقوله تعالى ﴿اقرأْ باسمِ رَبِّكَ الذي خَلَقَ خَلَقَ الإنسانَ مِن عَلَقٍ اقرأْ وَرَبُّكَ الأكرَمُ الذي عَلَّمَ بالقَلَمِ عَلَّمَ الإنسانَ ما لَم يَعلَم﴾ العلق(١-٥) وغيرها.

وقد ورد في فضل العلماء قوله تعالى ﴿لَّكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاَةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أُوْلَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ النساء(١٦٢)، وقوله تعالى ﴿وَتِلكَ الأَمثالُ نَضرِبُها لِلناسِ وَما يَعقِلُها إلّا العالِمُون﴾ العنكبوت(٤٣)، وقوله تعالى ﴿... قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الذِينَ يَعْلَمُونَ وَالذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلبابِ﴾ الزمر(٦٩) وغيرها.

(٢) كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: (طلب العلم فريضة على كل مسلم ألا إنَّ الله يُحبُّ بُغاة -أي طلاب- العلم) أصول الكافي ج١ (باب فرض العلم ووجوب طلبه والحث عليه) ح١، وعنه صلى الله عليه وآله أيضاً أنه قال: (مَنْ سَلَكَ طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة، وإنّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً به، وأنه يستغفر لطالب العلم مَنْ في السماء ومَنْ في الأرض حتى الحوت في البحر، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر، وأنّ العلماء ورثة الانبياء...) أصول الكافي ج١ (باب ثواب العلم والمتعلم) ح١ ونحوه في سنن ابن ماجه ج١ ص٨١، وأيضاً روي عنه صلى الله عليه وآله أنه قال: (مَنْ يُرِدِ الله به خيراً يُفقهه في الدين) سنن ابن ماجه ج١ ص٨٠ ط دار الفكر، وروي عنه صلى الله عليه وآله انه قال: (فقيه واحد أشدُّ على الشيطان من ألف عابد) سنن ابن ماجة ج١ ص٨١ ط دار الفكر.

ومحبيه.

وقد كان أسلوب المعالجة في هذه الحكمة حكيم ومقبول جداً؛ كونه يصلح قاعدة عامة يؤمن ويصدِّق بها الجميع؛ لأنّ مَن كان عاطلاً عن شيء من الكمالات تتولد لديه عقدة النقص من ذلك فيسمح لنفسه بممارسة ما ينفِّس عنه ويتيح له الفرصة بما يخفّف عن نفسه، ولأجل أن لا تحول هذه التصرفات السلبية في تحديد مسيرة أهل العلم ولئلا يستغربوا للأمر كانت هذه الحكمة تبين أن الناس بحسب الطبيعة لا يرغبون فيما هم عاطلون عنه لأنه يكشف عن فراغ ونقص فيتأثرون من ذلك.

وبعد هذه الحكمة: على أهل العلم أن يواصلوا سيرهم العلمي والتعليمي مهما واجهوا من انتقاص أو محاولات أخرى، لأن تلك المحاولات لا تحدِّد من حركتهم شيئاً بل هي شيء اعتيادي ولا يعني تقرير هذه الحالة أنها إيجابية، بل علينا التعايش معها كأمر واقع وإلاّ فهي مرفوضة والإسلام يدعو للعلم والتعلم.

١٩١- قال عليه السلام:

نَفَسُ(١) المرء خُطاه(٢) إلى أجله.

الدعوة إلى تذكّر الإنسان دائماً أن أنفاسه وما يستنشقه من هواء وعملية الشهيق والزفير إنما هي ممارسة للعد التنازلي في اتجاه الموت والقبر وما فيه من أهوال وحالات، وما بعده من حساب وجزاء حسب العمل بلا ظلم ولا

(١) النَفَسُ جمعه أنفاس: نسيم الهواء، ريح يدخل ويخرج من فم الحي ذي الرئة وأنفِهِ حال التنفس. المنجد ص ٨٢٦، وأقرب الموارد مج٢ مادة (نَفَس).

(٢) الخطى جمع الخُطْوة: مابين القدمين عند المشي... المسافة. المنجد ص١٨٨ مادة (خطا).

حيف.

ولـذا فعـلى الإنسـان أن لا يفرح كثـيراً بممارسـاته اليومية فإنها محسـوبة عليه ومعدودة من عمره فعليه باسـتثمارها وفق المربح والمفيد أخروياً ولا يفرط بفرصـةِ خـيرٍ مهما كانـت قليلة الوقت لأنهـا تنفع بعد الموت في تحقيق الحسـاب وتثقيل الميزانَ بالحسنات.

ولعل المنظور في الحكمة معالجة حالة اجتماعية متداولة شـائعة بين الناس من القديم وهي الاغترار بالمؤاتيات الوقتية من الـمال والصحة والأولاد والجاه وطلاقة اللسـان وسـائر القـدرات البدنية التـي يتفوق بها البعـض على الآخر. وأيضاً حالة الاغترار بطول العمر والبقاء في الدنيا.

فلأجل التنبيه على أن العمر محدود والعمل محسوب مرصود فلابُدَّ من أن لا يغفل الإنسان عن آخرته من خلال تفريطه وتضييعه لعمره في التوافه وصغار الأمور البسـيطة بل عليه أن يغتنم ذلك للتزود والتهيؤ للقاء الله تعالى والمسـائلة الدقيقة عن كل الأعمال يوم القيامة.

فكأن خطوات الإنسـان وما تعنيه من تحركات وسكنات الإنسان وسائر التصرفات انما هي مقربة له نحو الآخرة، مبعدة له عن الدنيا وما فيها من لذائذ ومغريات ومطامع كانت تشدّه إليها وتربطه بها.

فالحقيقة الثابتة هي مفارقة الإنسـان لدنياه ومـا فيها ومَنْ فيها وتفرده في القبر وحالة الحساب فلا بُدَّ له من الاستعداد لذلك جيداً لئلا يتحير ويخذل من الداخل فيكون قد أعان على نفسه، ولا ينفع الندم.

حرف الهاء

١٩٢ - قال عليه السلام:

هلك امرؤٌ لم يعرف قَدْرَه.

لابد للإنسـان العاقل المتدين بدين الله تعالى وشرائعه المقدسـة أنْ يتوازن في أفعاله وأقواله كافة وأن لا ينسى أنه محاسب مسؤول عن ذلك كله.

فإذا لم يتوازن ولم يحاسـب نفسـه ولم يتّبع الخط المستقيم في ذلك وانجرف مـع التيـار وانحرف مع هواه ولم يعتدل ولم يسـتقم كما أُمر فإنـه يندم ويتمنى لو كان قد عرف قدر نفسـه وجعلها في الوضع المناسـب ليبعدها عن ذل المسـاءلة والمعاقبـة، ولجنّبهـا حالـة الحرج والبعد عن سـاحة رضوان الله تعـالى وما أعده للمطيعين الذين لا يميلون مع الرياح العاصفة بل يتحركون بحساب شرعي.

وهـذا الأمـر - أعني عدم معرفة الإنسـان قدر نفسـه - يظهر في مجالات الحياة المختلفة وعند الأفراد المختلفين فلا يقتصر على فئة دون أخرى بل هو بلية الغالبية، فقد يتورط البعض بيده أو برجله أو بعينه أو بلسانه أو بسمعه أو بسائر أعضاء بدنه، بما يجعله مُداناً محاسـباً يُطلب منه تقديم الإجابة والتفسير لقوله أو

فعله.

فالدعوة إلى أن يعرف الإنسان أنه مخلوق لله تعالى مملوك له فلابُدَّ من أن لا يخرج عن ذلك الحد ولا يتجاوزه وإلاّ لكان عاصياً متمرداً فيستحق العقوبة الرادعة.

١٩٣ - قال عليه السلام:

هلك فيَّ رجلان: محبٌّ غالٍ[١]، ومبغضٌ قالٍ[٢].

لزوم موالاة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من القضايا الثابتة عند المسلمين؛ فقد رووا[٣] في ذلك والحث عليه والحض نحوه روايات بشكل مكثف ومتواتر عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى، فيتبع ما يوحى إليه، فلا تحركه في مواقفه العاطفة، ولا تميل به الرحم والقرابة وإنما هو الصادق فيما يبلِّغ ويقول، الأمين على الأحكام والأنفس والأموال، فانه رسول الله وخاتم الانبياء صلى الله عليه وآله.

وتتحقق الموالاة بالمتابعة والمحبة والسير على النهج وعدم الحياد عنه أو المناهضة له أو العمل ضده أو البراءة أو المخالفة في كافة مناحي الفكر والعمل.

ومن منطلق التسليم بذلك وفرضه كفرع من فروع الدين الإسلامي كانت هذه الحكمة تدعو إلى عدم التفريط بالترك والإعراض، وعدم الإفراط

(١) من الغلو غلا في الأمر: جاوز فيه الحد. مختار الصحاح ص٤٨٠.

(٢) من القِلى والقَلاء وهو البغض. مختار الصحاح ص٥٥٠.

(٣) لمزيد الاطلاع يحسن مراجعه كتاب المراجعات والفصول المهمة للإمام شرف الدين قدس سره ودلائل الصدق للشيخ المظفر قدس سره فإنهما تعرضان الروايات بشكل موثق ومفصل، كما يمكن مراجعة سائر المصادر في مبحث الإمامة.

بالمغالاة وتصور حالات أخرى لا تضيف إليه شيئاً، بل تجعل معتقدها خارجاً عن الملة والدين، وقد عبر عليه السلام عمَنْ تَرَكَ وأعَرَضَ وعَانَدَ: بالمبغض القالي.

كما عبّر عن الموالي المفرط: بالمحب الغالي المتطرف المتجاوز الحد الصحيح، وفي الواقع أن المحب الغالي والمبغض القالي كلاهما قد ترك وتطرف وتجاوز الحد الصحيح فيهلك لأنه قد خالف الله ورسوله فيكون مصيره النار.

فالدعـوة إلى الابتعاد عن تجاوز خط الموالاة والمغالاة بحيث يتجاوز الحد الطبيعي والمعقول لشخصية الإمام عليه السلام.

كـما تدعو إلى الابتعاد عن خط المعارضة والمقاطعة بشـكل مسـتمر وعلى طـول الخـط؛ لأنّ كليهـما يعنيـان عـدم التديـن وعـدم الواقعيـة في التعامل مع الآخريـن وإنـما تحـت تأثير المحبـة المفرطـة أو العصبيـة المقيتة فلا يكـون ممتثلاً للأوامر الشرعية فيهلك.

١٩٤ – قال عليه السلام:

الهمُّ نصف الهرم.

إنّ هذه الحكمة تختصر بكلماتها الثلاث جميع عبارات الشكوى والتألم، كما تختزن وتختزل جميع عبارات المواساة ووسائل التسلية والتهدئة المعهودة؛ فإنها تشـخِّص العلة وتشير إلى السبب وتحدد الحالة بما يعطي علاجاً يمكن أي أحد الاستفادة منه بشرط الابتعاد عن الهم.

وللهم أسـباب كثـيرة تؤدي إلى أن يضعـف الإنسـان ويبلـغ أقصى الكِبَر فيكـون بلـغ مرحلـة الهرم بـما تعنيـه من مـؤشرات عـلى العجز والشـيخوخة، وعوارض ذلك المرضية التي يتفاداها الإنسـان بشكل طبيعي تشبثاً منه بالحياة،

ومدة بقاء أطول وأدوم.

فالدعوة لأن يبتعد الإنسان عن الهم والحزن وما يعكر عليه صفو الحياة ليهنأ بحياة بعيدة عن شبح الهرم وما يعنيه من ضعف في الهمة والجسد والقوى العقلية والبدنية وبداية العد التنازلي نحو الموت.

وقد يسأل أحد: عن أن الهمّ يلازم الإنسان أحياناً كثيرة، فكيف يمكن الابتعاد عنه وتفادي العيش معه؟

وجوابه: بأن الحكمة قد شخصت الداء ووضعت الدواء، وليس من مهمتها التطبيق على الحالات وإزاحة الهموم لينجح الدواء؛ لأن شأن جملة من التشخيصات أن يعارضها استدامة الداء وعدم القدرة على التغلب عليه وهو أمر آخر فلا يكون نقضاً أو محلاً للإيراد.

حرف الواو

١٩٥ - قال عليه السلام:

الوفاء لأهل الغدر غدر عند الله، والغدر بأهل الغدر وفاء عند الله.

إن هذه الحكمة تتسم بطابع القانون والمنهج الذي يقوِّم حياة الفرد ويصلح المجتمع فإنّ أفراد المجتمع الواحد - فضلاً عن المجتمعات المتعددة القومية واللغة والدين والعقيدة والتوجهات السياسية التنظيمية - مختلفةٌ متعددة تجعل الاختلاف في الطبائع والضمائر أمراً مألوفاً طبيعياً، مع أنه أمر لا تقرّه الفطرة السليمة إنْ تجاوز الحد؛ لأن الطبائع والضمائر البشرية تكاد تتفق أو تتوافق على شاكلة واحدة وهي التي يعبر عنها بالفطرة السليمة الطيبة والإنسانية وحب الخير الفطري، ونحو هذه التسميات التي تؤدي مضمون فكرة واحدة وهي التعامل الايجابي من دون تكلّف أو تصنّع وإنما يأتي منسجماً مع القناعة الشخصية بضرورة ذلك التعامل الطيب.

وأما خلاف ذلك فيعبَّر عنه باعوجاج السليقة، والفطرة غير المستقيمة،

والانحـراف عن الخـط الصحيـح ونحو هذه التسـميات التي تـؤدي مضمون فكـرة واحـدة وهـي التعدي عـن المرسـوم الصحيح والتجـاوز إلى مـا لا يقبله الطبع البشري المتأصل الذي خلقه الله تعالى في كل فرد مهما كان توجهه ومكانه وموقعه في المجتمع.

ومـن ذلك الغدر وهو أمر معـروف تأباه الطبيعة البشرية السـليمة؛ لأنه يعنـي الخيانـة وعدم الوفاء، ويعني التخلي عن المسـاندة والدعـم، ويعني نقض العهد وعدم الاهتمام به بما يجعل شخصية الغادر مقيتةً منبوذةً اجتماعياً يتحاشاه النـاس ويبتعـدون عنـه ولا يقيمـون لـه وزناً بينهـم، وهذا أشـبه بضربْ طوق يحاصره ليحذره الآخرون ممن لم يكتشفوا فيه هذه الخصلة المذمومة، وقد يضطر البعض لممارسـته أحيانا كوسـيلة دفاع وحماية بمعنى أن يقابل الغادر - الذي لا يهتم بالمواثيق المعتمدة بينه وبين غيره - بالطريقة نفسـها ليجابَه بسـلاحه الذي يستخدمه ضد الآخرين.

فالدعوة تحذّر من أنْ يفي أحد لمن غَدَرَ ونَقَضَ العهد؛ لأن ذلك تشـجيع وإنـماء له، وهو ما يتعارض مع التعاليم الشرعية التي تشـجب الغدر وتعارضه وتعترض على ممارسـيه أشـد الاعـتراض وتدعوهم إلى الإيفـاء والالتزام، فمَنْ يُصرّ على الوفاء للغادر فهو مثله إزاء التعاليم والمواثيق الشرعية التي تقضي على الإنسـان الملتزم وتلزمه بأمور وقضايا معينة، فمَـنْ يخالف يكون غادراً غيرَ وفيٍّ مع ربه وخالقه سبحانه.

كما تبين الحكمة أن الالتزام مع الذي لا يلتزم الغادر لا يشكّل حالة سلبية مطلقاً، بل هو الوفاء بعينه، إذ قد وفى لله تعالى بما أعطاه من ميثاق التدين بشرائعه وتعاليمه الشرعية وكان منها ذم الغدر وما يتصل به.

فالحكمة تدعو إلى أن يلتزم كلٌّ موقعه المناسب في الحياة العملية من أجل

تعميم الالتزام الشرعي والتدين بالأوامر والنواهي الشرعية ولو كان ذلك بصورة عدم الوفاء لمن لا يفي واستعمال الأسلوب نفسه توصلاً إلى ما هو أهم بنظر الشارع الأقدس، وتحقيقاً للعدل.

١٩٦ - قال عليه السلام:

الوِلايات[١] مضامير[٢] الرجال.

إنّ المنصب الذي يحتله الإنسان - مهما كان - يكشف عن مقومات شخصيته ومدى تأثره بالتعاليم والمبادئ القيّمة، أو عدم اهتمامه بذلك أو عدم استيعابه لها إذ لم ينعكس ذلك على سيرته العملية.

فإنّ الإنسان إذا كان له سلطان ونفوذ على شيء معين فسيساعد ذلك على أن يُقيَّم وتكتشف خصاله الذاتية ومؤهلاته الشخصية سواء في ذلك ما يرفعه أو ما يهبط به إلى مستوى وضيع، اذ يكون قد وضع للاختبار والتجربة ثم تعلن النتيجة بعد انتهاء مدة سلطانه ونفوذه.

فالدعوة إلى أن يستغل مَنْ له نفوذ على شيء نفوذَه في صالح الآخرين وعدم التفريط بالأمانة والثقة الممنوحة من خلال الترشيح للمنصب أو القبول بإشغاله إياه.

---

(١) جمع الولاية بالكسر: السلطان والإمارة. انظر مختار الصحاح ص٧٣٧.

(٢) جمع المِضْمَار: غاية الفرس في السباق، الفسحة الواسعة لسباق الخيل وترويضها. المنجد ص٤٥٥ مادة (ضمر). أقول: الملاحظ أن بعض مَنْ عُنِيَ بتفسير هذه المفردة في كلام الإمام عليه السلام اقتصر على ذكر (المكان الذي تضمّر فيه الخيل للسباق) مع أن سياق الحكمة لا يظهر منه هذا المعنى المذكور فان التضمير هو بأن يربط الفرس ويُكثَّر ماؤه وعلفه حتى يسمن ثم يُقلّلان مدة ويُركّض في الميدان فيهزل، ومدة التضمير عند العرب أربعون يوماً - انظر المنجد ص٤٥٥ وغيره - وهو بهذا المعنى غير مقصود له عليه السلام بل المقصود الزمان والمكان للسباق، فلاحظ.

وأن لا تشغله همومه الوظيفية، المحلية، العائلية... عن القضايا التي تحتل مركز الصدارة والأهمية في قائمة المهمات والمسؤوليات التي تناط بمَنْ يشغل المنصب.

وأن لا يستغل المنصب للحصول على المال، إشباع الغريزة، فرض الهيمنة، إبراز العضلات، التسلط على الضعفاء، التشفي من الأعداء والخصوم، تقديم الخدمات للأقارب والأحباب ومَنْ ينتفع منهم و.. و... مما لا يدخل ضمن نطاق الصالح العام للمجتمع والذي لا يحتكر ضمن دائرة معينة أو مستويات خاصة.

والولاية بهذا المعنى واسعة شاملة في معناها التعبيري لكل الفئات والمراكز والمناصب التي يتعرض لها الإنسان صاحب السلطان فلا يختص الأمر بأحد ولا يقتصر على فئة بل يعم الجميع ويشمل الكل ليعيش الجميع ضمن حالة عدل وإنصاف ومساواة في الحقوق والواجبات والامتيازات لئلا تبدو هنا وهناك فراغات وفقاعات هيأ لها الجو المشبّع بالاستبداد والتحكم والسيطرة.

فالدعوة إلى أن يُحْسِنَ صاحب المنصب استخدام سلطته واستعمال صلاحياته واستثمارها لخدمة المجتمع وإصلاحه وتقويمه وتوجيهه والدفع به نحو الأفضل ونحو التكامل لتظهر فائدة وجود الإنسان على الأرض، ولئلا يكون كسائر المخلوقات الأخرى التي لا تساوي الإنسان في خلافته لله سبحانه على الأرض.

حرف الياء

١٩٧ - قال عليه السلام:

يا ابن آدم: إذا رأيت ربك سبحانه يتابع عليك نعمه وأنت تعصيه فاحذره.

أسلوب فذ من أساليب الوعظ والإرشاد إلى الابتعاد عن المعاصي وعدم التورط فيها؛ وذلك لأن من المعلوم أن الله تعالى خالق السموات والأرض وجميع ما في الكون من عجائب وغرائب، وهو قادر لا يعجزه شيء والإنسان من جملة مخلوقاته فلا يخرج عن طوعه وإرادته، فإذا كان الإنسان عاصياً والله يواليه بالنعم ويتابعه بها ولم يقطع عنه فيضه ولم يحبس عنه رحمته فهل يعني عجزاً؟ أو ضعفاً؟ أو خوفاً؟ أو خروجاً عن القدرة والقوة؟ أو.. أو...

ومن المؤكد أن يكون الجواب بالنفي وأنه لا يعني شيئاً من هذه أبداً، فيبقى الجواب: إنّ الله تعالى يقابل إساءات العبد بالإحسان المتواصل تكرماً وتفضلاً وإنعاماً وتلطفاً وتتمةً كما بدأه قبل ذلك منذ لم يكن الإنسان شيئاً مذكوراً إلى أن صوّره وصيّره ويبعثه بعد الموت ليحاسبه فهي سلسلة تفضلات

وقائمة إنعامات لا تحصى ولا تحصر.

فعندئذ يجب على الإنسان أن يحذر من العقوبة ويخاف من السطوة ويتنبه لنزول البلاء عليه من حيث يشعر أو لا يشعر في بدنه، أولاده، زوجته، أبويه، إخوته، بقية عائلته، أمواله، منصبه، جاهه...

فالدعوة إلى أن يتنبه الإنسان الذي يرتكب المعاصي إلى نفسه ويرتدع لأن الله قادر على كل شيء ولا يعجزه شيء مهما كان عظيماً فعدم أخذه بالبلاء وعدم تعجيل العقوبة وترك العبد مع هواه إنما هو استدراج واستمهال لتكمل أوراق إدانته فيأخذه بالعقوبة أخذ عزيز مقتدر.

١٩٨- قال عليه السلام:

يا ابن ادم: كن وصي نفسك في مالك واعمل فيه ما تؤثر[(١)] أن يُعملَ فيه مِنْ بعدك.

الأعم الأغلب من الناس تود إدامة الخير والمثوبة لأنفسهم فيما بعد الموت، وهو أمر مشروع طبيعي ربما ينشأ من حب الذات وتغلب الأنا إلاّ انه يمكن جعله تحت مظلة شرعية وهي الروايات الحاثة على فعل الخير وإدامته لما بعد الوفاة حفظاً لحقوق المنتفعين، ونفعاً للراغبين سواء الأموات أو ذويهم الأحياء ممن يحبون لهم الخير فيشمل جميعَ الأطراف الأجرُ والثوابُ وهذا شأن كرم الخالق وسعة رحمته سبحانه.

إلاّ أنه لا بُدَّ للإنسان من أن لا يعوِّل على الآخرين ولا يعتمد على أولاده أو أقاربه، فإن لهم شغلهم وأشغالهم الصارفة لهم عن ذلك بالمرة أو بشكل

---

(١) أي تحب وتريد.

مؤقت وجزئي فلا يصل الثواب بالمقدار المتوقع والمطلوب.

فلابُدَّ من أن يبادر الإنسان إلى عمل الخير بنفسه بل ويحرص على ذلك كأنه موكل من قبل غيره في ذلك؛ إذ عادةً ما يحرص الإنسان على تأدية الأمانة والخروج من العهدة بالشكل المطلوب وبأسرع فرصة ممكنة. فلا بُدَّ للإنسان من أن يتخذ زمام المبادرة ويتقدم نحو الخير ويسعى اليه في مجالاته كافة ومختلف أشكاله ليضمن لنفسه رصيداً أخروياً يتزود منه عند الحاجة والذي لا يمكن تقديرها لأنها تظهر تدريجيا عند المساءلة والحساب، فلابُدَّ من تأمين غطاء خيري كافٍ له على مختلف الاحتمالات، ولا يكون ذلك إلاّ بالمثابرة على العمل الصالح والسعي الخيري.

ولمّا كان الغالب في تمشية الأمور والتوصل إلى القضايا المرادة عن طريق المال كان التركيز عليه في الحكمة، ولأنه كثيراً ما يحرص عليه الإنسان ويحاول أن لا يفرط في وجوده مهما أمكن إذ قد تسخو نفسه بالسعي وجاهياً ومعنوياً ولا تسخو مادياً ونقدياً.

فكان لابُدَّ من معالجة الظاهرة بشكل جاد حازم فكانت الحكمة تدعو إلى أن يقدم الإنسان لآخرته بنفسه ولا ينتظر من غيره ذلك؛ لأن الشيء المضمون والمؤكد هو ما يعمله هو بينما ما يعمله غيره من الأولاد والأهل والمعارف والأصدقاء فهو غير مضمون ولا يخرج عن كونه توقعاً وتصوراً ولابُدَّ للإنسان أن يكون عملياً في تصرفاته أكثر من ذلك.

١٩٩ - قال عليه السلام:

يا ابن ادم: لا تحمل همَّ يومك الذي لم يأتك على يومك الذي قد أتاك فانه إنْ يك من عمرك يأتِ الله فيه برزقك.

كثيراً ما يتحسب الإنسان لمستقبله ويحاول ضمانه من الناحية المادية وتأمين احتياجاته وتغطية مصروفاته ونفقاته بل يدّخر - أحياناً - مالاً ونحوه ضماناً للمستقبل.

وهذا شيء طبيعي ولا بأس به إلاّ أنَّ الاهتمام الزائد بذلك يؤثر سلباً على جوانب أخرى في حياة الفرد المسلم وقد يؤشر أحياناً على عدم الثقة بالله وعدم التوكل عليه وعدم الاعتماد على تدبيره مضافاً إلى ضعف التدابير المتخذة مهما كانت قوية ومتينة؛ لأن البقاء في الحياة إنما هو بإشاءة الخالق تعالى، وحاجة الإنسان إلى تلك الضمانات والاحتياجات مشروطة ببقائه حياً، إذن لابُدَّ من الاهتمام بالحاضر وعدم المبالغة في الاهتمام بالمستقبل؛ لأن ذلك مصدر همّ نفسي وقلق لا مبرر له سوى التعجّل والجشع وعدم القناعة بالحاضر وعدم الاتعاظ بحال الماضين، وهذا كله ما لا يُحمد أمره ولا يقرّه العقل والطبع السليم.

فالدعوة إلى أن لا يضيف الإنسان على نفسه مصادر الهموم ولا يعدد منافذه بل يواجه الحالة الحاضرة وقد تكفّل له بالمستقبل الآتي مَنْ هو أملك وأقدر منه للمستقبل وعليه، وهو الله الخالق تعالى.

ومَنْ لم يتعايش مع هذه الحكمة فمصيره إلى المصير نفسه مع إضافة التعب وتجميع الأموال للآخرين من الورثة أو غيرهم وتحمل الهمّ النفسي والتعب الجسدي وهو ما لا يريده عاقل.

٢٠٠ - قال عليه السلام:

يا ابن آدم: ما كسبت فوق قوتك فأنت فيه خازن لغيرك.

إنّ هذه الحكمة جاءت امتداداً لسابقتها وتعبيراً آخر عن المضمون ذاته وهو الحث على القناعة والدعوة إلى الاهتمام بالحاضر وعدم المبالغة في الاهتمام بالآتي القادم؛ لأنه من موارد الإجهاد الفكري والعضلي من دون فائدة معقولة وعملية.

وهو تدبير للغير وحفظ وتهيئة لشؤون الورثة أو غيرهم - كالمحتالين أحياناً - وأحسب أن لا أحد يرضى بأنْ يكون مستخدَماً لغيره من دون ما أجر أو جزاء.

وعملية الخزن والتجميع للغير - من الورثة أو غيرهم - إنما تتم كذلك؛ إذ لا يقدِّر الورثة فضلاً عن غيرهم الحالةَ التي جُمعت فيها الأموال وما كابده جامعها وما قاساه من المصاعب والمشاق حتى تكوّنت الثروة أو مجرد المجموعة التقديرية أو العقارات أو سائر ما يدخره الإنسان على أساس أنه لابُدَّ من أن يتركوا شيئاً لأبنائهم كما ترك آباؤهم.

فإن المسألة تكون وقتئذ في إثبات صحة فعل الآباء! ثم جعل ذلك سُنةً تقتدى وتُتبع.

ومن الآثار الحميدة للالتزام بهذه الحكمة أو سابقتها أنّ الكل يأخذ فرصته المناسبة في الحياة ولا يكون أحدٌ على حساب أحد، فإنّ احتكار فرص عمل لشخص أو مؤسَسةٍ معينةٍ مما يخل بأخذ أشخاص آخرين لفرصهم في الحياة العملية الّتي يحتاج الجميع إلى التعايش فيها والسعي وراء القوت وسائر المستلزمات الضرورية والكمالية.

فلو تدبّرنا هذه الحكمة لكففنا أنفسنا عن الادّخار والجمع والخزن فوق ما يُقَدَّر لحياة طبيعية للإنسان الاعتيادي.

٢٠١- قال عليه السلام:

ينزل الصبر على قدر المصيبة، ومَنْ ضرب يده على فخذه عند مصيبته حبط عمله.

قد يظن البعض ممن يبتلى بفقد عزيز أو مال أو منصب أنّ مصيبته فادحة لا تحتمل ولا يمكن تجاوز المحنة ولا العيش بعدها و.. و... مما يكثر ترديده في مثل هذه الحالة بما يؤجج نار الحزن ويضخم الأمر فيعطي فرصةً للشيطان فيعبث بالإنسان المتوازن فيفقد صوابه ويختل توازنه الفكري أو الفعلي.

وهذا أمر كثير الحدوث فكان لا بُدَّ من طرح شيء ينفع في تحجيم المشكلة وتقليص تكررها فكانت هذه الحكمة تبيّن أن الصبر هبة الله تعالى لعباده المبتلين ينقذ به حالتهم ويدبِّر به وضعهم الراهن. ومن الطبيعي أن تكون تلك الهبة وما فيها من علاج ووسيلة إنقاذ وافية بالمطلوب مؤدية للغرض المقصود، ولذا قد عبر عليه السلام بأن الصبر يكون بمستوى حجم المصيبة النازلة فتكون قوة التحمل عند المبتلى بمستوى يؤهله لتجاوز المحنة وعبور الأزمة. وليس بمعنى أن الله يلجئه إلى شيء أو يتحكم به قهراً من دون إرادة، بل بما أودعه عنده من عقل جعله قادراً على الإيمان ومواجهة القضايا والتعامل معها وفق الحالة الثابتة.

كما بينّت الحكمةُ أمراً مهماً آخر وهو أن الاعتراض وعدم التلقي الايجابي للمصيبة إنما يقلّل من فرصة الأجر والثواب ويحوّل القضية لغير صالح المصاب والمبتلى لأنه اعترض ولم يقبل بقضاء الله تعالى وإرادته الحكيمة فيستحق المجازاة بالحرمان من الأجر الموعود به.

ومن الشائع هو ضرب الفخذ أو خدش الوجه أو اللطم أو شقّ الثياب أو الخروج بحالة مزرية اجتماعياً أو بدون حجاب بالنسبة للمرأة أو تطويل الشعر - أحياناً - أو غير ذلك مما تتعارف ممارسته في مختلف البلدان والأماكن احتجاجاً واعتراضاً على ما حدث من مصاب، وهذا كله بلا موجب لما تقدم بيانه.

فالدعوة إلى أن يتلقى الإنسان مصابه بالعزيز أو المال أو أي شيء مهم آخر بالصبر، ولا يظن أنه لا يقدر على ذلك لأن قوته الإيمانية وطريقة تفكيره المستقيمة تؤهلانه للصبر والثبات.

كما تدعو الحكمة إلى ترك العادة الجاهلية المقيتة المتمثلة بضرب الفخذ كونه عدم التسليم بقضاء الله وعدم الرضا بما أراد، وهما من موادّ العقوبة في الآخرة.

٢٠٢- قال عليه السلام:

يوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم.

تجيش النفس أحياناً عندما تتذكر حالات الظلم والتجاوز الذي لحق بها من الآخرين، وقد تثأر للانتقام والنيل من المعتدي، وقد تتطور الحالة إلى أحقاد تبقى في الأعقاب، وعندها تتضخم المشكلة وتتجذر فلا تكون سهلة التناسي أو التسامح أو التغاضي والتحالم، فلأجل ذلك كله ونحوه كانت الحكمة تدعو إلى أمرين مهمين يخصان الطرفين: الظالم والمظلوم، أما الظالم فتهديد بالعقوبة والنهاية الأليمة من خلال بيان أن غصته يومئذ وهو يوم القيامة لا يمكن تجرّعها ولا مفر، ولا يوجد مَنْ يتوسط لرفع العقوبة أو تخفيفها لأنها بإشراف حاكم عادل لا يحيف ولا يقبل بالظلم والتعدي.

وأمـا المظلوم فتهدئة للخواطر وتطييب للنفـوس ومداواة للجروح التي تركهـا الظالم في المظلـوم، وذلك من خلال بيان أنّ الظالم سـيلقى جزاءه من هو الأقوى والأعز، الـذي لا يفوته أحد، المتكفل بنصرة المظلوم، فهو تطمين بعدم ذهـاب الحق، ووعدٌ بأن الغصة المؤقتة تتحـول إلى دائمة على المعتدي الظالم وفي ذلـك تخفيـفٌ للآلام وتقليلٌ من فـرص وقوع الجريمة أو حـدوث الانتهاكات الأخرى التي يلجأ إليها المظلومون المعتدى عليهم وما يستتبع ذلك من تعديات وتجاوزات قد تلحق حتى الأبرياء وهو ما لا يرضاه عقل أو شرع.

فالدعـوة إلى أن يكف الظالم عن ظلمـه، وأن يأمن المظلوم كونه في رعاية الله تعالى وتحت حكمه العادل.

ومـن المؤكـد أن الظلـم يختلف باختلاف الحالات والأشـخاص المعتدين والمعتـدى عليهـم فـلا يأخذ شـكلاً واحداً كالقتـل ونحوه، بل له عدة أشـكال يجمعهـا تجاوز الحق، وعدم الإنصاف لصاحب الحـق، والجور، والتعدي، ولذا كان لزاماً على الجميع في مختلف مواقع المسئولية في الحياة بدءاً من البيت والعائلة والى أرفع المستويات الإدارية - كان لزاماً - التحفظ من الوقوع في - مطبّات - الظلم أو الجور على أحد في قول أو فعل، بالمباشرة أو بالتسـبيب لذلك، بشـكل جدي أو هزلي يؤدي لذلك مع القصد إليه.

الخاتمة

وفي الختام أود أن أشير إلى أن هذه الحِكَم وسواها مما ينسب للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام تشير بوضوح لآيات كريمة تتفق معها في المضمون والمعنى ذاتهما، وهو إن دلّ على شيء فإنما يدل على استقاء الإمام عليه السلام من مَعين القرآن، وقد صَدق القائل في كلامه عليه السلام أنه: فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق، بل كما قال الآخر: كالأخ الصغير للقرآن، فهو من ثمراته ومن الدلائل الواضحة على عظمة القرآن، حتى ليمكن التعبير عن تلكم المعاني المرادة في القرآن بمختلف الألفاظ، ومن أحسنها ما يرد في كلام النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وكلام الإمام علي عليه السلام وهو ما يظهر واضحاً للمتأمل.

والحمد لله رب العالمين الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا فيض رحمته، وجميل عنايته، وفضل تسديده، فأسأله تعالى دوام ذلك، وأن يأخذ بأيدينا جميعاً لما فيه خيرنا في ديننا ودنيانا، وأن يجعلنا من العاملين بما علمنا لنضمن صلاح الحال والمآل، وان يتقبل هذا العمل بلطفه وكرمه.

وأتمنى أن أكون قد ساعدتُ القارئ الكريم على استخلاص ما ينفعه

في حياتـه العامـة والخاصـة، كما أتمنـى أن نصل معـاً إلى فهـم صحيـح أو مقبول لهـذه الكلـمات الحَكَميـة الحكيمـة فلسـت أدّعي شـيئاً سـوى أني حاولت هذه المحاولـة تقرّباً لله تعـالى، وولاءً لأمير المؤمنين عليه السلام وأداء لواجب حق الإخوان والأخوات لئلا يقولوا ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذا غَافِلِينَ﴾[1]، وغاية المُنى أن نكون جميعاً مرضيـين لديه تعالى، والله الموفق، عليه توكلت وإليه أنيب، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

---

(١) سورة الأعراف، آية (١٧٢).

المحتويات

تمهيد الطبعة السادسة.. ٥
مقدمة.. ١٧
توطئة.. ٢٥

شرح المختار من حكم الإمام علي عليه السلام

حرف الألف

اتقوا معاصي الله في الخلوات فان الشاهد هو الحاكم........................ ٥٥
أحبب حبيبك هَوْناً ما، عسى أن يكون بغيضك يوماً ما........................ ٥٥
احذروا نِفار النِّعم فما كل شاردٍ بمردود........................ ٥٦
احذر أن يراك الله عند معصيته، ويفقدك عند طاعته........................ ٥٨
أحسنوا في عَقِبِ غيرِكم تُحْفَظوا في عقبِكم........................ ٦٠
احصد الشرّ من صدر غيرك بقلعه من صدرك........................ ٦٠
إذا احتشم المؤمن أخاه فقد فارَقَه........................ ٦١
إذا أَرْذَلَ الله عبداً حَظَرَ عليه العلمَ........................ ٦٢
إذا ازدحم الجواب خفي الصواب........................ ٦٢
إذا أملقتم فتاجروا اللهَ بالصدقة........................ ٦٤
إذا تمَّ العقلُ نَقَصَ الكلام........................ ٦٦

إذا حُييّت بتحية فحَيِّ بأحسن منها ٦٧
إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه........................ ٦٩
إذا وصلت إليكم أطرافُ النعم فلا تُنَفِّروا أقصاها بقِلّة الشكر. ٧٠
إذا هبْتَ أمراً فَقَعْ فيه، فإنَّ شدة توقِّيه أعظم مما تخاف منه. ٧١
اذكروا انقطاع اللّذات وبقاء التبعات........................ ٧١
أُزْجُرْ المسيء بثواب المحسن........................ ٧٢
أزرى بنفسه مَنْ استشعر الطمع، ورضي بالذل مَنْ كشف عن ضُرِّه........................ ٧٣
ازهد في الدنيا يُبَصِّرْكَ الله عوراتِها ولا تغفل فلستَ بمغفول عنك........................ ٧٥
الاستغناء عن العذر أعزّ من الصدق به........................ ٧٦
استنزلوا الرزق بالصدقة........................ ٧٨
أشد الذنوب ما استهان به صاحبه........................ ٨٠
إضاعةُ الفرصةِ غصةٌ. ٨١
اعتصموا بالذمم في أوتادها. ٨٣
الإعجاب يمنع من الازدياد. ٨٥
أعجز الناس مَنْ عجز عن اكتساب الإخوان ٨٧
اعقلوا الخبر إذا سمعتموه عقل رعاية لا عقل رواية........................ ٨٩
إغضِ على القذى وإلاّ لم ترضَ أبداً........................ ٩١
أفضل الأعمال ما أكرهت نفسك عليه........................ ٩٢
أفضل الزهد إخفاء الزهد........................ ٩٣
افعلوا الخير ولا تحقّروا منه شيئاً، فإنَّ صغيره كبير وقليله كثير ٩٤
أقل ما يلزمكم لله أنْ لا تستعينوا بنعمِهِ على معاصيه........................ ٩٦
أقيلوا ذوي المروءات عثراتهم، فما يعثر عاثر إلاّ ويدُ الله بيده ترفعه. ٩٧
أكبر العيب أنْ تعيبَ ما فيك مثلُهُ. ٩٩

الأمر قريب والاصطحاب قليل. ٩٩
امشِ بدائكَ ما مشى بك........................ ١٠١
إنَّ للقلوب إقبالاً وإدباراً، فإذا أقبلت فاحملوها على النوافل ١٠٢
إنَّ للقلوب شهوةً وإقبالاً وإدباراً، فأتوها من قِبَل شهوتها وإقبالها ١٠٤
إنَّ الله افترض عليكم الفرائض فلا تضيّعوها وحدَّ لكم حدوداً ١٠٥
إنَّ الله سبحانه فرض في أموال الأغنياء أقواتَ الفقراء........................ ١٠٦
إنَّ الحقَ ثقيلٌ مرئ، وإنَّ الباطل خفيف وبئ. ١٠٨
إنَّ أعظم الحسراتِ يوم القيامة حسرةُ رجلٍ كَسَبَ مالاً في غير طاعة الله.... ١٠٩
إنَّ مع كل إنسان مَلَكَين يحفظانه، فإذا جاء القَدَر خلّيا بينه وبينه ١١٠
أوضَعُ العلم ما وقف على اللسان، وأرفَعُهُ ما ظهر في الجوارح والأركان ... ١١١
أولُ عوض الحليم من حلمه أنَّ الناسَ أنصارُهُ على الجاهل. ١١٣
أهل الدنيا كركبٍ يُسارُ بهم وهم نيام. ١١٤
الإيمانُ أن تُؤثرَ الصدقَ حيثُ يضرك على الكذب حيث ينفعك........................ ١١٥

حرف الباء

بئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد. ١١٧
البخلُ جامعٌ لمساوئ العيوب، وهو زمامٌ يُقاد به إلى كل سوء ١١٨
البخلُ عارٌ، والجُبْنُ منقصةٌ، والفقرُ يُخرسُ الفَطِنْ عن حجتِهِ ١٢٠
بَقيّةُ السيفِ أبقى عدداً وأكثر ولداً. ١٢٤
بكثرة الصمت تكون الهيبة، وبالنَصَفَة يكثر المواصلون........................ ١٢٦

حرف التاء

تذلُّ الأمور للمقادير حتى يكون الحتف في التدبير. ١٣٠
تركُ الذنب أهون مِنْ طلبِ التوبة........................ ١٣١
التُقى رئيسُ الأخلاق........................ ١٣٢

تكلّموا تُعرفوا، فإنَّ المرء مخبوء تحت لسانِه........................ ١٣٢
تنزل المعونة على قدر المؤنة........................ ١٣٣
التوحيدُ: أنْ لا تتوهمه، والعدلُ: أنْ لا تتهمه........................ ١٣٤

حرف الثاء

ثمرةُ التفريطِ الندامةُ، وثمرةُ الحزمِ السلامةُ........................ ١٣٦
الثناء بأكثر من الاستحقاق ملق، والتقصير عن الاستحقاق عيٌّ وحسد. ١٣٧

حرف الجيم

الجود حارس الأعراض، والحلم فِدام السفيه، والعفو زكاة الظفر........................ ١٣٨
الحَجَرُ الغصيب في الدار رهنٌ على خرابها........................ ١٤٤
الحدّة ضَرْبٌ من الجنون لأنَّ صاحبها يندم........................ ١٤٥
الحذر الحذر فوالله لقد ستر حتى كأنه قد غفر........................ ١٤٦
الحكمة ضالّة المؤمن، فخذ الحكمة ولو مِنْ أهل النفاق........................ ١٤٧
الحلم عشيرة........................ ١٤٨

حرف الخاء

خالطوا الناسَ مُخالطةً إنْ متُّمْ مَعَهَا بَكَوا عليكم، وإنْ عشتم حَنّوا إليكم..... ١٥٠
خذْ من الدنيا ما أتاك، وتولَّ عما تولّى عنك........................ ١٥١

حرف الدال

الداعي بلا عمل كالرامي بلا وَتَر. ١٥٣
الدنيا دار ممر إلى دار مقر، والناس فيها رجلان، رجل باع فيها نفسه ١٥٤

حرف الراء

رأي الشيخ أحبُّ إليَّ مِنْ جَلَد الغلام. ١٥٦
الراضي بفعل قومٍ كالداخلِ فيه معهم........................ ١٥٧
رُبَّ قول أنْفَذْ من صول. ١٥٨

رُبَّ مستقبلٍ يوماً ليس بمستدبرِه، ومغبوطٍ في أولِ ليْلِه قامت بواكيهِ ١٥٩
رُدّوا الحجر من حيث أتى، فإنَّ الشر لا يدفعه إلاّ الشر.................... ١٦٠
الرزق رزقان: رزق تطلبه، ورزق يطلبك فانْ لم تأته أتاك ١٦١
رسولُك ترجمانُ عقلك، وكتابُك أبلغُ ما ينطق عنك.......................... ١٦٣
الركون إلى الدنيا مع ما تعاين منها جهلٌ..................................... ١٦٤

حرف الزاي

زهدُك في راغبٍ فيك نقصان حظٍ، ورغبتك في زاهدٍ فيك ذل نفس......... ١٦٧

حرف السين

السخاءُ ما كان ابتداءً فأما ما كان عن مسألة فحياءٌ وتذممٌ.................... ١٦٩
سوسوا إيمانكم بالصدقة، وحصنّوا أموالكم بالزكاة ١٧٠

حرف الشين

شاركوا الذي قد أقبل عليه الرزق فإنه أخلق للغنى وأجدر ١٧٣
شَتَّان ما بين عملين: عمل تذهب لذته وتبقى تبعته ١٧٥
شرُّ الإخوان مَنْ تُكلِّفَ له. ١٧٦
الشفيعُ جناحُ الطالب.. ١٧٨

حرف الصاد

صاحب السلطان كراكب الأسد يُغبط بموقعهِ وهو أعلم بموضعِهِ........... ١٧٩
الصبرُ صبران: صبرٌ على ما تكره، وصبرٌ عما تحب........................... ١٨١
صحة الجسد من قلة الحسد.. ١٨٣
صدرُ العاقلِ صندوقُ سرِّه، والبشاشة حِبالة المودة ١٨٤
الصدقة دواء منجح، وأعمال العباد في عاجلهم نصب أعينهم ١٨٦

حرف الطاء

الطمع رقٌ مؤبد. ١٨٨

طوبى لِمَنْ ذَكَرَ المعاد، وعمل للحساب، وقنع بالكفاف ١٨٩
طوبى لِمَنْ ذلّ في نفسه، وطاب كسبُه، وصَلُحتْ سريرته ١٩١

حرف العين

عَاتِبْ أخاكَ بالإحسان إليه، وأرْدُدْ شرَّه بالإنعام عليه ١٩٦
عجَبُ المرء بنفسه أحدُ حُسّادِ عقلِهِ ١٩٧
عجبت للبخيل يستعجل الفقر الذي منه هرب ١٩٨
عجبت لِمَنْ يقنط ومعه الاستغفار ٢٠٢
عرفت الله بفسخ العزائم وحلِّ العقود ونقض الهمم ٢٠٣
عِظَمُ الخالقِ عندكَ يُصغِّر المخلوق في عينك ٢٠٤
العفافُ زينةُ الفقر، والشكر زينةُ الغنى ٢٠٥
العلمُ علمان: مطبوعٌ ومسموعٌ، ولا ينفع المسموع إذا لم يكن المطبوع ٢٠٧
العلمُ مقرونٌ بالعمل فمَنْ علم عمل، والعلمُ يهتف بالعمل ٢٠٧

حرف الغين

الغنى والفقر بعد العرض على الله ٢٠٩
الغِيبَةُ جهد العاجز ٢١٠
غَيرةُ المرأةِ كفرٌ، وغَيرةُ الرجلِ إيمانٌ ٢١١

حرف الفاء

فاعلُ الخيرِ خيرٌ منه، وفاعلُ الشر شرٌّ منه ٢١٦
فوتُ الحاجةِ أهونُ مِنْ طلبها إلى غير أهلها ٢١٧
في تقلبِ الأحوالِ علمُ جواهر الرجال ٢١٩

حرف القاف

قَدْرُ الرجلِ على قَدرِ همته، وصدقُهُ على قَدرِ مروءته ٢٢١
قُرِنَتْ الهيبةُ بالخيبة، والحياء بالحرمان، والفرصة تمرُّ مرَّ السحاب ٢٢٣

القناعةُ مالٌ لا ينفد. ٢٢٥
قيمةُ كل امرئ ما يُحسِنه........................... ٢٢٦

حرف الكاف

كفى بالأجل حارساً........................... ٢٢٧
كفى بالقناعة مُلْكاً وبحُسنِ الخُلُق نعيماً. ٢٢٨
كفاك أدباً لنفسك اجتناب ما تكرهه من غيرك........................... ٢٢٩
الكلام في وثاقك ما لم تتكلم به فإذا تكلمتَ به صرت في وثاقِهِ ٢٣١
كلّ مُعاجَلٍ يسأل الإنظار، وكلّ مؤجَّلٍ يتعلّل بالتسويف. ٢٣٣
كلُّ مقتصَرٌ عليه كافٍ........................... ٢٣٤
كم من أكلة منعت أكلات. ٢٣٥
كم من مستدرَج بالإحسان إليه، ومغرورٍ بالستر عليه........................... ٢٣٦
كنْ سَمْحاً ولا تكن مبذّراً، وكنْ مقدِّراً ولا تكن مقترًّا. ٢٣٨
كن في الفتنة كابن اللَّبُون لا ظهر فيُركب ولا ضرع فيُحلب ٢٤٠

حرف اللام

لا تجعلنَّ ذَرَبَ لسانك على مَنْ أنطقك، وبلاغةَ قولِكَ على مَنْ سدّدك ٢٤٢
لا تجعلوا علمكم جهلاً، ويقينكم شكاً، إذا علمتم فاعملوا ٢٤٤
لا تسأل عما لم يكن، ففي الذي قد كان لك شغل........................... ٢٤٥
لا تستحِ من إعطاء القليل فإنَّ الحرمان اقلُّ منه. ٢٤٦
لا تصحَبِ المائق فإنه يزيّن لك فعلَهُ، ويودّ أن تكون مثله. ٢٤٨
لا تظُنّن بكلمة خرجت من أحدٍ سوءً وأنت تجد لها في الخير محتملاً. ٢٤٩
لا تقل ما لا تعلم، بل لا تقل كل ما تعلم........................... ٢٥١
لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق........................... ٢٥٢
لا غنى كالعقل، ولا فقر كالجهل، ولا ميراث كالأدب ٢٥٣

لا قربة بالنوافل إذا أضرّت بالفرائض........................ ٢٥٧
لا يترك الناسُ شيئاً من أمر دينهم لاستصلاح دُنياهم إلاّ فَتَحَ اللهُ عليهم ٢٥٩
لا يُزَهِّدَنَّك في المعروف من لا يشكرُ لك ٢٦١
لا يستقيم قضاء الحوائج إلاّ بثلاث: باستصغارها لتعظُم........................ ٢٦٣
لا يصدق إيمان عبدٍ حتى يكون بما في يد الله أوثق منه بما في يد غيره...... ٢٦٥
لا يُعدم الصبور الظفر وإن طال به الزمان. ٢٦٦
لا يقلُّ عملٌ مع التقوى، وكيف يقلُّ ما يُتقبل........................ ٢٦٧
لا يُقيمُ أمرَ الله سبحانه إلا مَن لا يُصانعُ ، ولا يُضارعُ ٢٦٨
لا يكون الصديق صديقاً حتى يحفظ أخاه في ثلاث: في نكبته، وغيبته ٢٦٩
لا ينبغي للعبد أن يثق بخصلتين: العافية والغنى........................ ٢٧١
اللَّجاجة تسلُّ الرأي........................ ٢٧٤
اللسان سَبُعٌ اذا خُلي عنه عقر........................ ٢٧٥
للظالم من الرجال ثلاث علامات: يظلم من فوقه بالمعصية ٢٧٧
لكل امرئ في ماله شريكان الوارث والحوادث........................ ٢٧٨
لم يذهب منَ مالِكَ ما وَعَظَك........................ ٢٨٠
لو رأى العبدُ الأجلَ ومصيرَه لأبغض الأملَ وغرورَه........................ ٢٨٠
لو لم يتوعد الله على معصيته، لكان يجب أن لا يُعصى شكراً لنعمِه. ٢٨٢
ليس بلد بأحق بك من بلد، خير البلاد ما حملك........................ ٢٨٣
ليس من العدل القضاء على الثقة بالظن. ٢٨٥

حرف الميم

ماء وجهك جامد يقطره السؤال، فانظر عند مَنْ تقطره. ٢٨٦
ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى اخذ على أهل العلم ٢٨٧
ما أضمر أحد شيئاً إلاّ ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه ٢٩٠

ما ظَفَرَ مَنْ ظَفَرَ الإثمُ بِهِ، والغالبُ بالشرِ مغلوبٌ. ٢٩١
ما المبتلى الذي قد اشتد به البلاء بأحوج إلى الدعاء ٢٩٣
المرء مخبوء تحت لسانه........................ ٢٩٤
مسكين ابن آدم: مكتوم الأجل، مكنون العِلل، محفوظ العمل ٢٩٥
مقاربة الناس في أخلاقهم أمنٌ من غوائلهم. ٢٩٧
مَنْ أبطأ به عملُهُ لم يُسرِع به نسبُهُ. ٢٩٨
مَنْ اتجر بغير فقهٍ فقد ارتطم بالربا. ٣٠٠
مَنْ أحَدَّ سنان الغضب لله قويَ على قتل أشدّاء الباطل. ٣٠٣
مَنْ استبدَّ برأيه هلك، ومَنْ شاور الرجال شاركها في عقولها........................ ٣٠٥
مَنْ استقبل وجوه الآراء عَرَفَ مواقع الخطأ........................ ٣٠٦
مَنْ أسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه بما لا يعلمون........................ ٣٠٧
منْ أشرف أعمال الكريم غفلته عما يعلم. ٣٠٨
مَنْ أصلح سريرته أصلح الله علانيته، ومَنْ عمل لدينه ٣٠٩
مَنْ أطاع التواني ضيّع الحقوق، ومَنْ أطاع الواشي ضيّع الصديق. ٣١١
مَنْ أطال الأمل أساءَ العمل........................ ٣١٣
مَنْ أيقن بالخَلَف جادَ بالعطية. ٣١٤
مَنْ تذكرَ بُعْدَ السفرِ استعدَّ. ٣١٥
مَنْ ترك قول لا أدري أُصيبت مقاتله........................ ٣١٧
مَنْ جرى في عنان أمله عثر بأجله........................ ٣١٩
مَنْ حاسب نفسه ربح، ومَنْ غفل عنها خسر، ومَنْ خاف أَمِنْ........................ ٣٢٠
مَنْ حذَّركَ كمَنْ بشّركَ........................ ٣٢٣
من الخُرق المعاجلة قبل الإمكان، والأناة بعد الفرصة........................ ٣٢٤
مَنْ صارَعَ الحقَ صَرَعَهُ........................ ٣٢٥

مَنْ ضيَّعه الأقرب أُتيح له الأبعد.. ٣٢٧
مَنْ ظَنَّ بك خيراً فصدِّق ظنه. ٣٢٨
مَنْ عَظَّمَ صغارَ المصائبِ ابتلاه الله بكبارها.. ٣٣٠
مَنْ قضى حق مَنْ لا يقضي حقه فقد عَبَدَه. ٣٣١
مَنْ كتم سرّه كانت الخِيَرة بيده.. ٣٣٣
من كفارات الذنوب العظام: إغاثة الملهوف، والتنفيس عن المكروب ٣٣٤
مَنْ كرمت عليه نفسه هانت عليه شهواته. ٣٣٥
مَنْ كساه الحياءُ ثوبه لم ير الناسُ عيبَهُ. ٣٣٦
مَنْ لم ينجه الصبر أهلكه الجزع. ٣٣٧
مَنْ نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره ٣٣٨
مَنْ وضع نفسه مواضع التهمة فلا يلومنَّ مَنْ أساء به الظن. ٣٣٩
مَنْ يُعْطِ باليد القصيرة يُعْطَ باليد الطويلة.. ٣٤٠

حرف النون

الناس أعداء ما جهلوا.. ٣٤٣
نَفَسُ المرء خُطاه إلى أجله. ٣٤٥

حرف الهاء

هلك امرؤٌ لم يعرف قَدْرَه. ٣٤٧
هلك فيَّ رجلان: محبٌّ غالٍ، ومبغضٌ قالٍ.. ٣٤٨
الهمُّ نصف الهرم.. ٣٤٩

حرف الواو

الوفاء لأهل الغدر غدر عند الله، والغدر بأهل الغدر وفاء عند الله ٣٥١
الوِلايات مضامير الرجال. ٣٥٣

حرف الياء
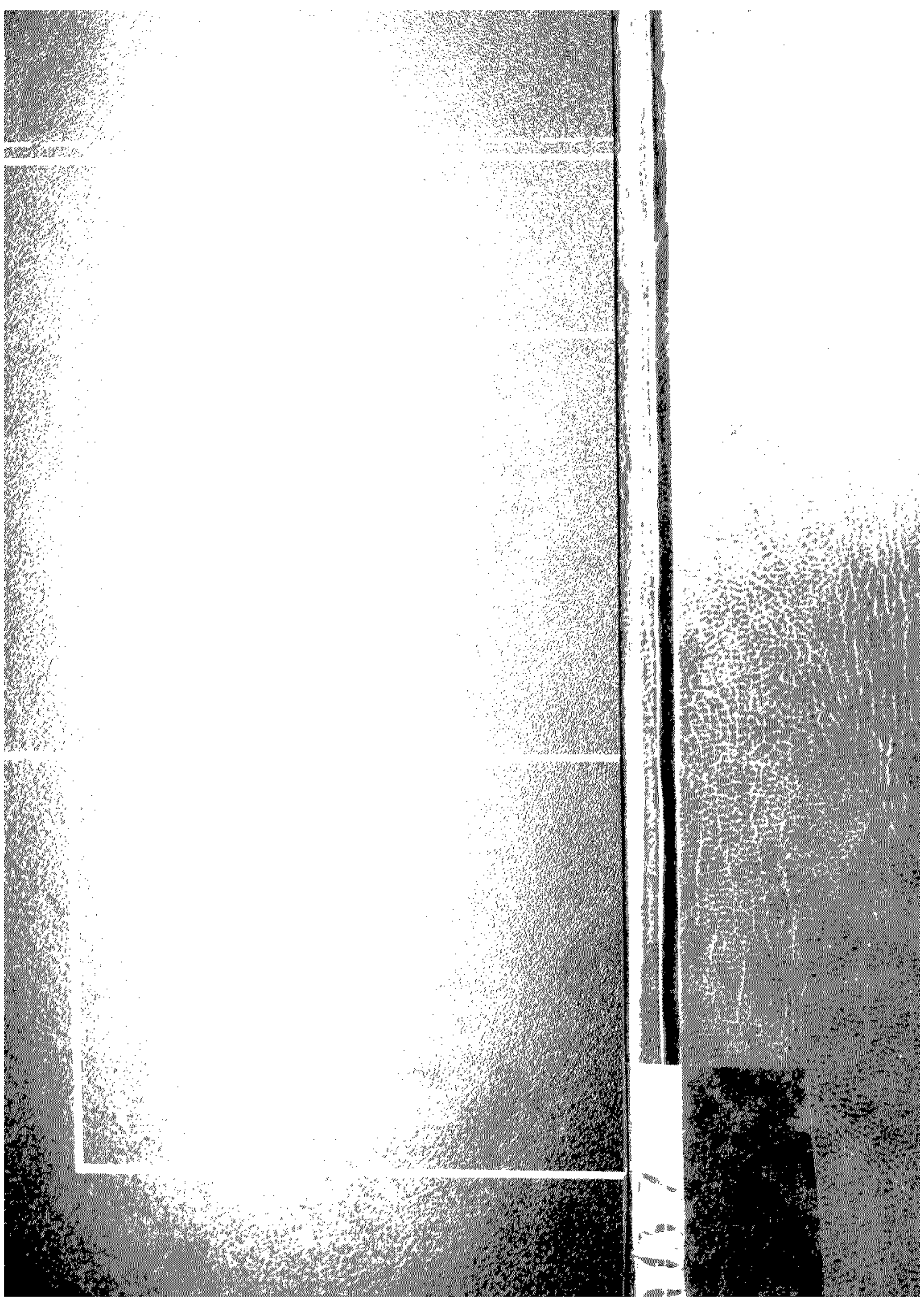
يا ابن آدم: إذا رأيت ربك سبحانه يتابع عليك نعمه وأنت تعصيه فاحذره... ٣٥٥
يا ابن ادم: كن وصي نفسك في مالك.................................... ٣٥٦
يا ابن ادم: لا تحمل همَّ يومك الذي لم يأتك على يومك الذي قد أتاك...... ٣٥٨
يا ابن آدم: ما كسبت فوق قوتك فأنت فيه خازن لغيرك...................... ٣٥٩
ينزل الصبر على قدر المصيبة ٣٦٠
يوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم.................. ٣٦١
الخاتمة... ٣٦٣
المحتويات... ٣٦٥